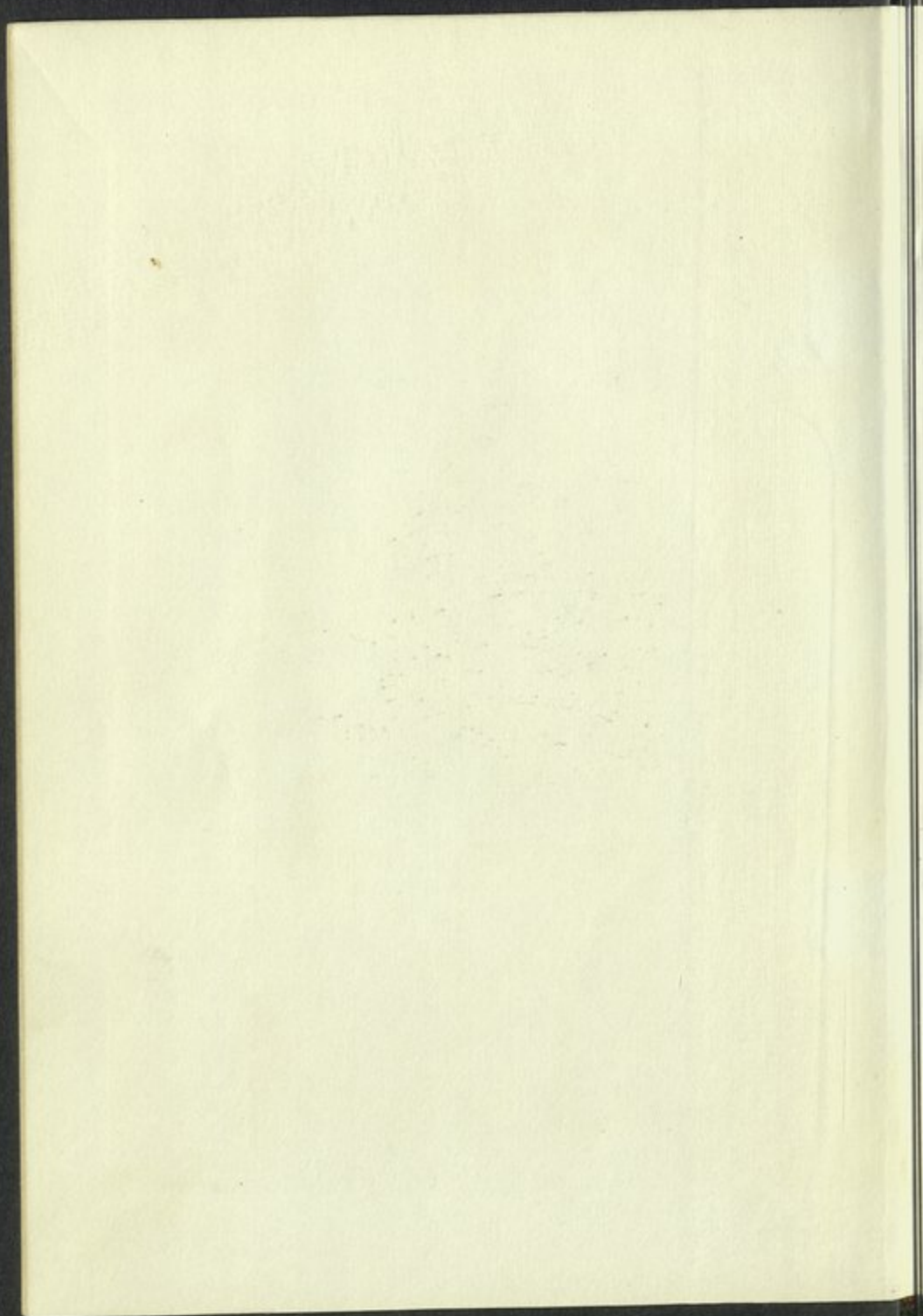
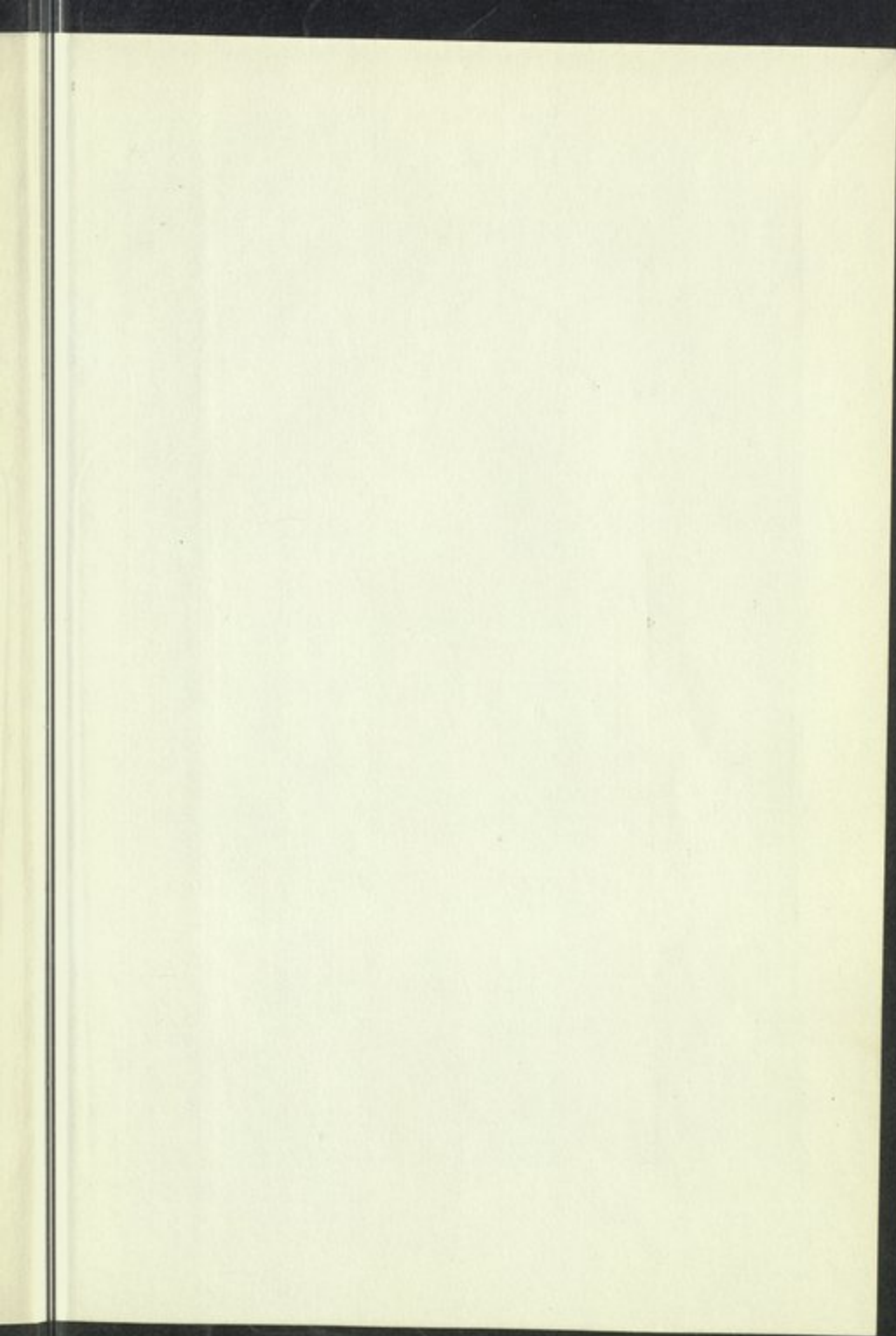
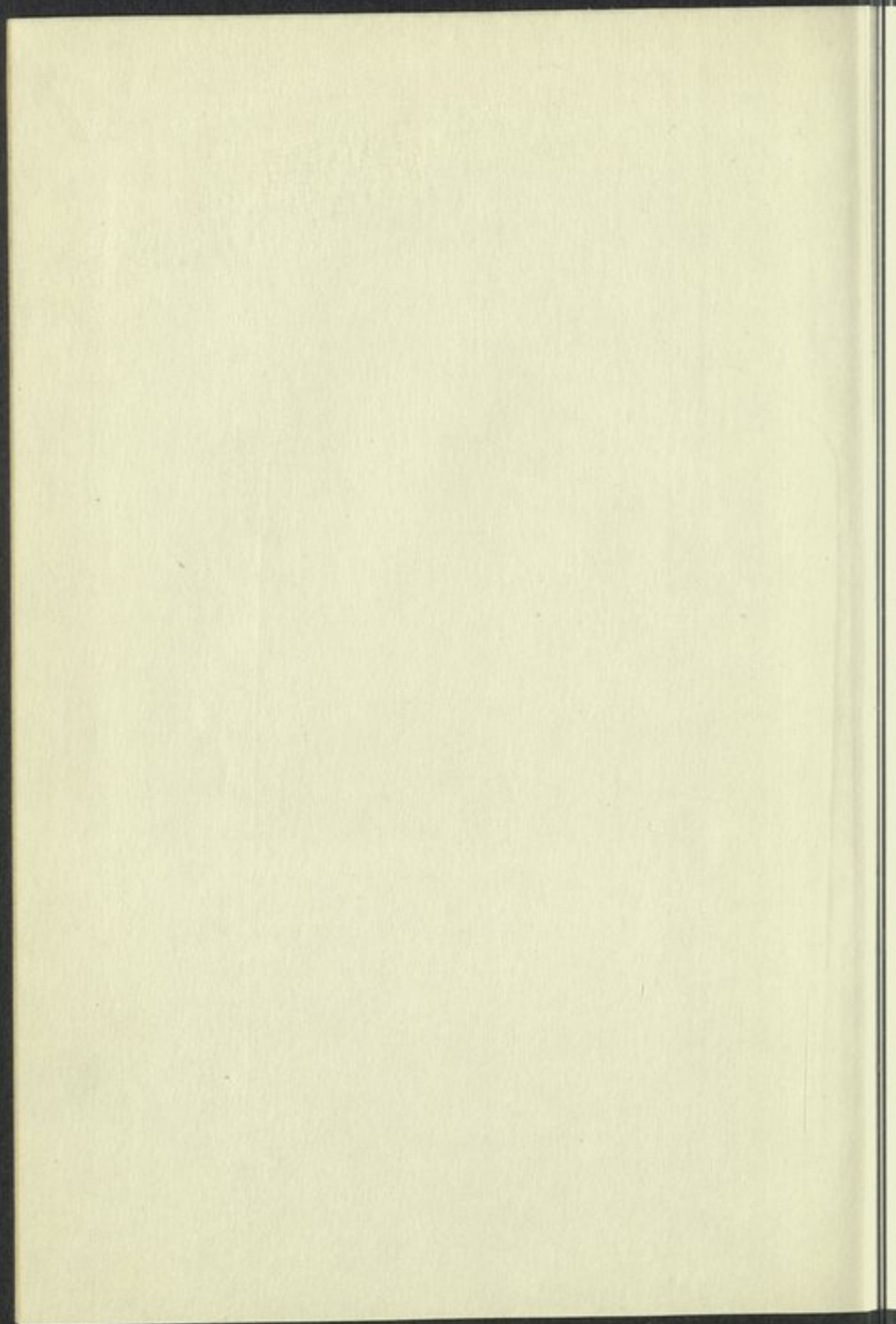


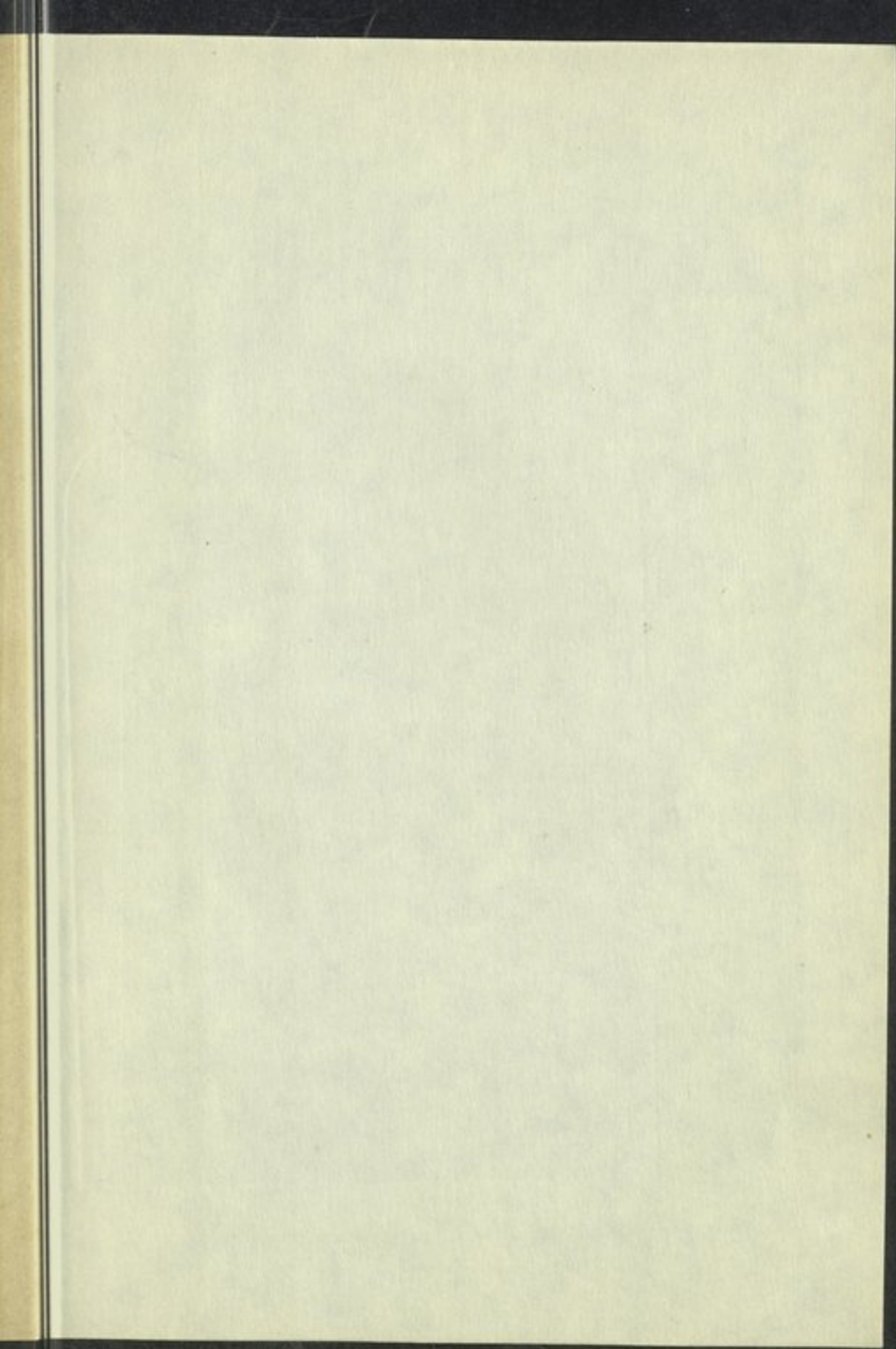
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

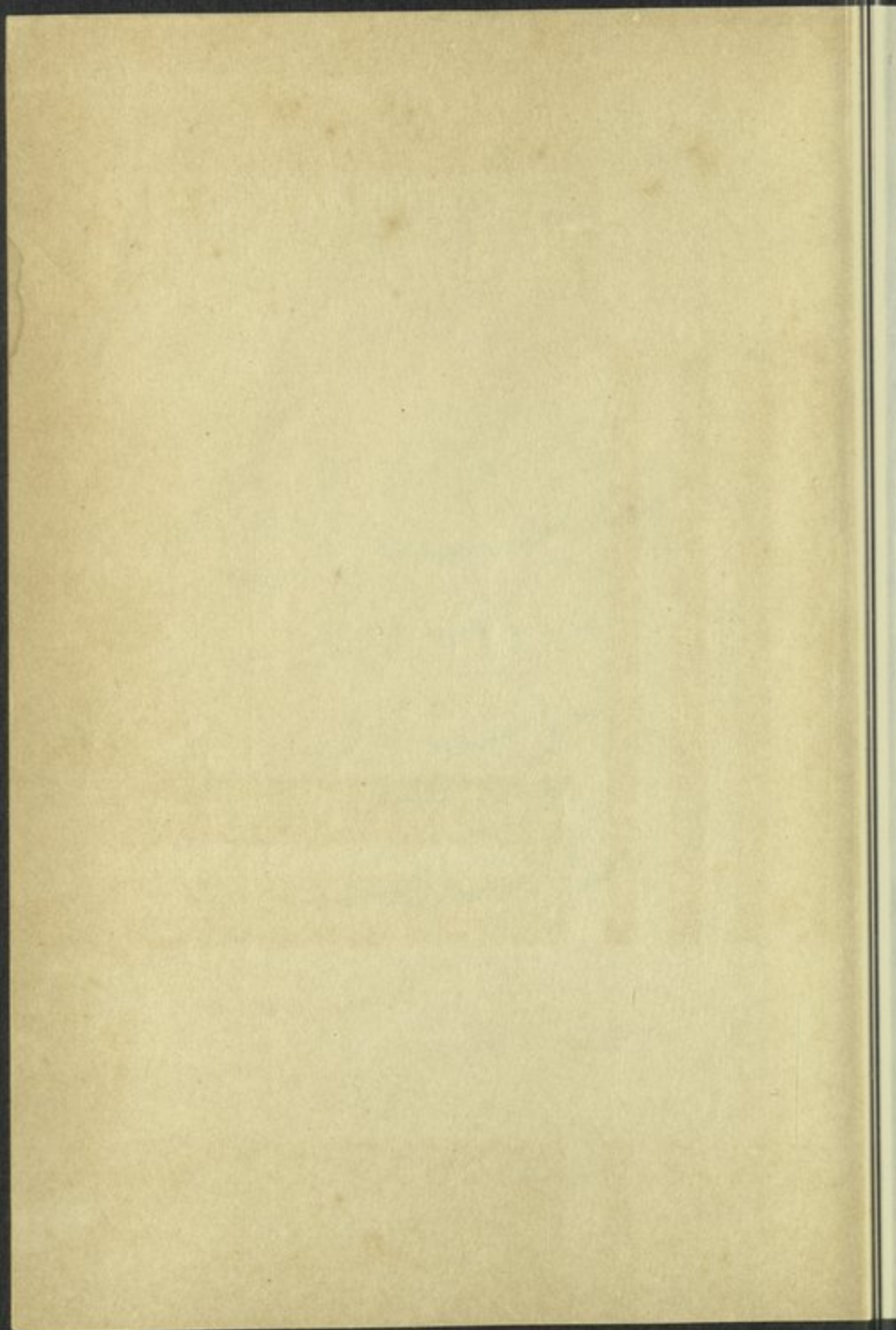












سَعِيدُ تَقِيّ الدِّينِ

لَوْلَا الْحَمْدُ ١٩٢٤

مُؤَلَّفٌ وَنَحْبُ الْعَدُوِّ ١٩٣٧

892.78

T1753 WA

C.1

حَفَنَةُ رِيحِ

الْبَابِ

مَهْزَلَةٌ فِي فَصْلِ وَاحِدٍ

مَوْجِبَةٌ نَارٍ

بِمَجْمُوعَةٍ قَصَصَ

مَرَاتِلَاتٍ

١١٨٦٣-١١٨٦٣

حقوق الطبع والتشيل والاذاعة محفوظة

كانون الثاني ١٩٤٨

بيروت

- ٤ -

الاهـداء

- الى التي نادت بي ، يوم كنت كسبجاً : « هيا انفض فاستبق
الناس فانت في ميدان الحياة مجلّ . »
- الى التي آمنت بي يوم هزىء الناس واوشكت ان اسخر
بنفسي .
- الى التي جعلت جهنم حياتي جنة .
- الى التي تحت عن وجهي ميسم الضعة ، وابدلت به منطح
التفوق .
- الى التي طوت كفي المتزلزلتين ، فجعلت منها قبضتين فولاذيتين
اصرع بها الجبابرة .
- الى التي ملأت قلبي حباً وأملأ واغاريد .
- الى رفيقة اسفاري ، بين القصر والكوخ ، والكوخ والقصر .

الى زوجتي
بياتريس تقي الدين

اهدي هذا الكتاب - مجاناً - يضحك ملكة

هذا اول كتاب يصدر عن مطبعة تدار محرراتها
على القوة الذرية ، التي اكتشف سرّها
عبقري الاجيال ، مواطننا النابغة :

وديع البقاعي

المعروف في عالم الكيمياء بالاستاذ مَبْك
مَرْسَر دُورِكْ ، والذي تلقبه المجالات
العلمية بـ « فلة الدهر » .

طبع هذا الكتاب على نفقة امير المحسنين ، وسيد
المهاجرين ، الذي رفع اسمنا عالياً وراء البحار ، صاحب
معادن النحاس في « بوليفيا » ومعامل النسيج في
« سان باولو - البرازيل » ، والمساهم الاكبر
في خطوط سكك الحديد « المكسيك
- روزاريو » :

العلامة الفيكونت غندور باشا الثريات

رسالة

تفضل عليك البحث والاستقراء وبادشاه المؤرخين، سمو البرنس
حمد باشا السبكي، فأرسل للمؤلف كتاباً هذا بعضه :

« أخي الشيخ سعيد بك آل تقي الدين

... كذلك لم أدر حين دفعت بك عن شريط القطار المدهام
انني انقذ للبشرية عبقرياً يتحف الادب الخالد بمثل «حفنة ربح»...
فيا للنبوغ الموهوب بقتون بكياسة الصناعة التمثيلية، ويا للرائعة
لم يجذ بمثلها الاولون ولا المعاصرون، من زمن «فاجعة الاغريق»
الى يومنا هذا في صخب «برودواي» ولغبه... وبقيني ان صلابه
اخلق فيك لن تلين فتستمر في الابهاء بان تبيع ادبك - على وفرة
ما عرضوه عليك - الى معمل السخافة والتبذل الذي يسمونه
«هيليورد» .

سلمت يا مولير لبنان، وشكسبير العرب . .

(١) اشارة الى فاجعة كادت تنزل بالمؤلف اذ ماشى سمو البرنس في
شيكاجو، فكاد ان يدممه قطار مسرع لو لم يقذف بالمؤلف عن طريق القطار
سمو البرنس السبكي .

لمحة تاريخية

يقول المتهجمون الذين يريدون التنقّص من الادب العربي القديم ان العرب لم يعرفوا الدراما .

ونحن لسنا نحاول في هذه الكلمة المقتضبة التبسيط في تكذيب هذا المفتري ، غير اننا نريد ان نثبت ان الدراما ذات الفصل الواحد ، هي من مخترعات العرب الاقدمين ، وكانوا يطلقون عليها اسم « مثال » للمغزى الذي يجب ان تؤديه . جاء في « الحواشي السفولية »^١ :

« كان للبطورة ، وهم فخذ من قبيلة ثعلبة ، عادة كمالا اكتمل القمر ان يمثلوا رواية في فصل واحد ، فينتحون هضبة يجعلونها مسرحاً ويحجبونها عن القوم^٢ بستر يعلق جانبا على رأسي بعيرين واقفين ، بينها عشر فسخات واربعة اشبار . فاذا احتشد القوم صاح الحقريرف^٣ وأناخ الجملين ، فهبط الستار وابتدأ التمثيل . فاذا انتهت الرواية ضرب الحقريرف البعيرين بعصا فنهضا فحجب الستار المسرح عن القوم وانتهت الرواية . »

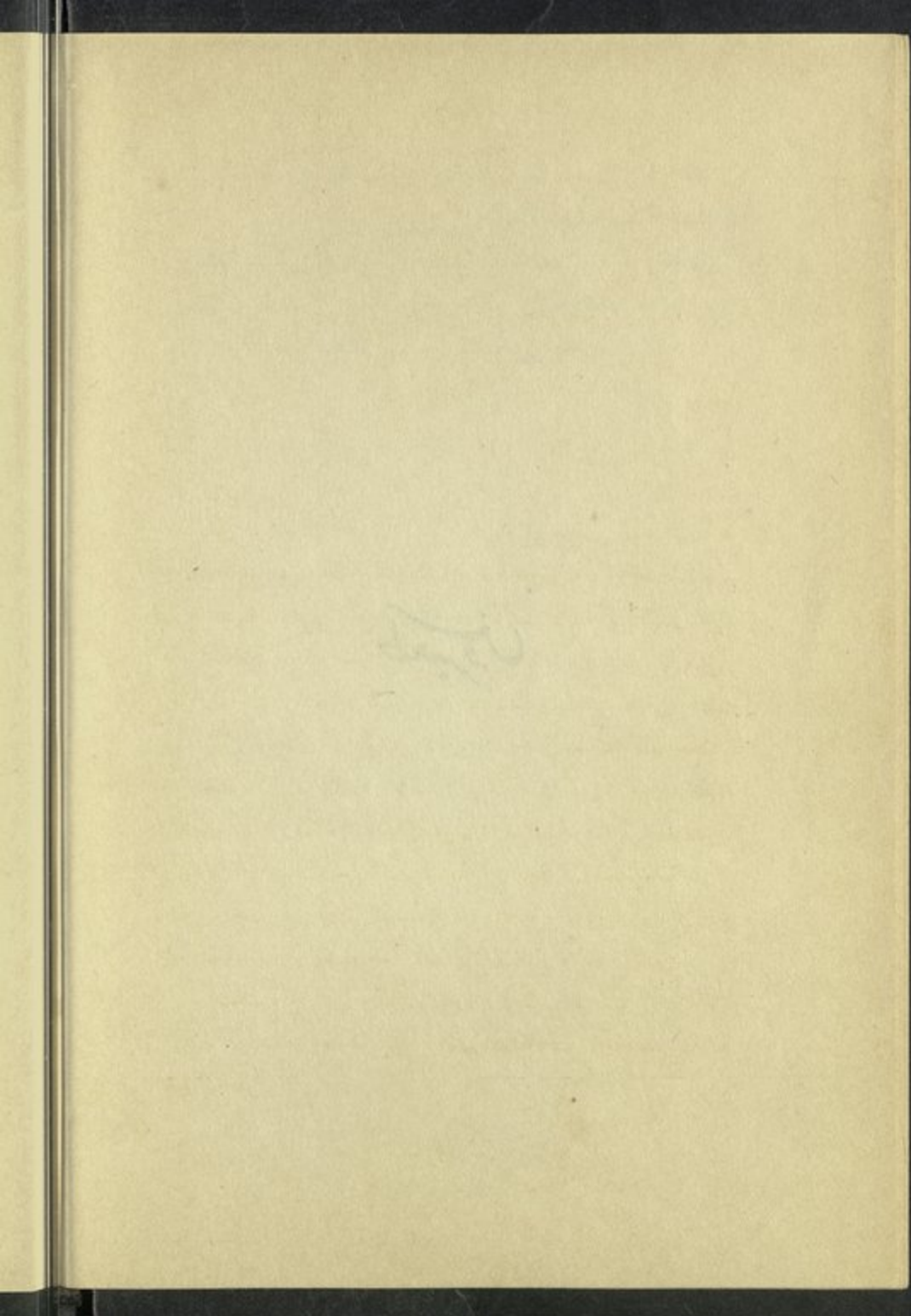
(١) صفحة ٢١ الجزء الرابع (هي المخطوطة القيمة التي يملكها الاستاذ اسعاف النشاشيبي)

(٢) ما نسميه اليوم : نظارة

(٣) مدير المسرح

وقد اشار الى هذه العادة أبو العيث الشوفاني في موشحته
الاندلسية الشهيرة التي مطلعها :
يا شوق قلبي لـ « مثال » يا ليلةُ البدر فيها قد استدار
والجمع حشد كـالرمال يا صرخةً تعلو اذا هبط الستار
ويدي على كتف الجيب تلاعبه

طعبروس



نهض عريف الآلهة عن كرسية الحريري وتمطى تعباً فرحاً ،
 ثم انتزع من جيبه الهائل محرمة الحريرية الخضراء ، وراح ينظف
 صولجانه الذهبي متكلاً فيما هو ينظف « ياله من يوم غني
 الحوادث ! » فاجابه صدى من متملقي البلاط « ياله من نهار غني
 الحوادث ! » وتابع العريف كلامه « لقد انزلت عن عاتقي معظم
 عناء شؤون حكم الكرة الأرضية . ان الحكم المباشر كان خطأ .
 لقد اجهز كنتفي . واني وجدت الانسان مثلاً هو في قرارة نفسه
 يهوى تعدد الزوجات ، كذلك هو في صميم مشاعره يؤثر تعدد
 الآلهة . لقد ارسلت لبني البشر سرباً من آلهة - واحداً للمواسم ،
 وآخر للحب ، وغيره للصواعق - لكل شعور ، وغريزة ،
 وحادثة الهأ ، ولم يبق لي الا ان اقرأ التقارير واصدر الاوامر .
 وامسك مدير البروتوكول السترة ، فأنشبت عريف الآلهة في
 كميه ذراعيه ، وفيما هو يتنهد للانصراف ، سمع نامة من زاوية
 الديوان تقول :

— لماذا اهملتي ياسيدي ؟

فقطلع عريف الآلهة فرأى جسداً هائل البطن ، وعينين مائعتين
بالشر ، وبدأ مرتفعة علتهأ أفذار كأنها برّص ، وكاد عريف
الآلهة ان يبتسم ويمشي اذ استأنف الصوت نأماته :

— انا رجلك ياسيدي . انا طعبروس ، أنسيتني ؟ ألا تذكر
الانتخاب الماضي منذ مليون سنة ، كيف كانت « ابولو »
و « ادونيس » يتخطيانك بالاصوات ، وكاد « ابولو » يفوز ، لو لم
ازور لك اصوات الكوكب حيث كنت رئيس الاقتراع ؟ انظر
الى يدي وقد دنست باثم التزوير ! لقد غمستها بالبحر الف سنة
وغسلتها بحمم البراكين مئة عام ، ودفنتها في البحيرة الملتهبة
عشرين جيلاً ، وقمت لها تعويذة ديوان المتنبي ، وروايات
شكسبير ، والباذة هوميروس ، وعلقت في زندي حرزاً ملائته
بدساتير دول الارض ، وتصريحات بالطا ، ونقاط ويلسون الاربع
عشرة ، وقوانين جمعية الامم ومنظمة الدول ، فما محوت من
اقدارها ذرة ، وها انت قد نثرت الوظائف على سواي ، واهملتني
انا الذي وبيء في الجهاد من اجل انتخابك .

وليس آلم على الكبير من معروف سابق يذكره به صغير ..
فعبس عريف الآلهة واجاب طعبروس :

— ألم اهبك برميل نفط بعد الانتخاب ؟ ولئن كنت فاقماً
عليّ فلم لا تلتحق بصفوف المعارضة ؟

قال طعبروس :

— اني معجب بك يا مولاي ، واني اوثر جهنم الحاكمين التي

اعرفها على جنة المعارضة التي لا اعرفها . ثم انت المعارضة لامتلك شيئاً تهيه ، اما مولاي ...

قال عريف الآلهة :

- اني آسف لما انت فيه ، ولقد فرقْتُ الوظائف وانتهي

الامر ...

واجاب طعبررس :

- ايعجز مولاي عن خلق وظيفة لأحد محاسبيه وهو الذي

ملاً الدنيا وظائف ؟ وظفني في السلك الخارجي ... أسمع انت دولاً كثيرة نشأت في الكرة الارضية حديثاً فهل اعتمدتني لاي منها ؟

فهرّ العريف رأسه وقال :

- كيف ارضى ان يمثلني شخص موبوء ؟ !

فاجاب طعبرروس :

- أنسيت ياسيدي اني أملك برميل نقت ، وان هذا السائل

من الذهب الاسود مرهم يلوّن الامور والاجساد بالوان زاهية تستجيبها الناس ؟ ثم ان الطبيب اعطاني وصفة ، هي ان آخذ براءة تعييني في الوظيفة فأحرقها ثم اسحق رمادها ، فأذره في العيون فلا ترى بي غير الجميل ! اني مؤكد لمولاي ان مرهم النفط ورماد البراة 'يحجّـلاني حتى ليخلط البشري بي وبين ادونيس !

وكان عريف الآلهة من تلك الشخصيات السياسية التي بلغت

القامة بعد الف معركة في الوادي وعلى السفح ، ولقد صار من القوة بحيث امسى في وسعه ان يتناسى الانصار ورفاق الجهاد ،

ولكنه نظر الى طمبروس ثانية وذكر حادثة الكو. كب حيث
ترأس طمبروس الاقتراع ، وكيف جاءه بصندوق الاقتراع وفيه
١٥٣ مليون صوت للعريف ، و٣٥ صوتاً لأبولو ، و٤٨ لأدونيس .
فابتسم ومرت به رعشة السطوة في القوي اذ يمنح او يمنح ، فصاح
برئيس المواصلات ان يسأل لطمبروس سيارة او « جيب » للكرة
الارضية ، فطمبروس ذاهب الى هناك بصفة غير رسمية ، عليه يحتمل
بذكائه على ان يخلق طائفة تؤمن به فيكفي بذلك العريف مؤونة
تعيين إله جديد . وكان وزير المواصلات مكتباً على دفتر يلقب به
وقد تجرّ رجه ، فاقترّب من عريف الالهة وهمس باذنه :

— لتكلم بصوت خافت مخافة ان نسمعنا الصحافة . انت في
دفترتي قيداً بـ ٨٤ سيارة و ١٢٥ « جيب ! » . وتذكرون ان
سلفي باع اكثرها ولما نزل نطالبه بثمنها ، ثم ان بعضها تخرّب ،
وما بقي فقد ارسلته لاستقبال ابن عمي ، وهو راجع من زحل
مصطحباً هدية ثمينة لمولاي .

فسأل العريف :

— اليس عندنا من مخلفات الجيش ما نقدر ان نستعمله ؟
فتناول الوزير دفتر « المستحيلات » وقلب صفحاته واجاب :
— بلى ياسيدي . عندنا مظلة هوائية يستعملها القافز من
الطيارة . انما انما

وصار الوزير يتلعثم ، فحنق العريف وصرخ :

— انما ... ماذا ؟ .

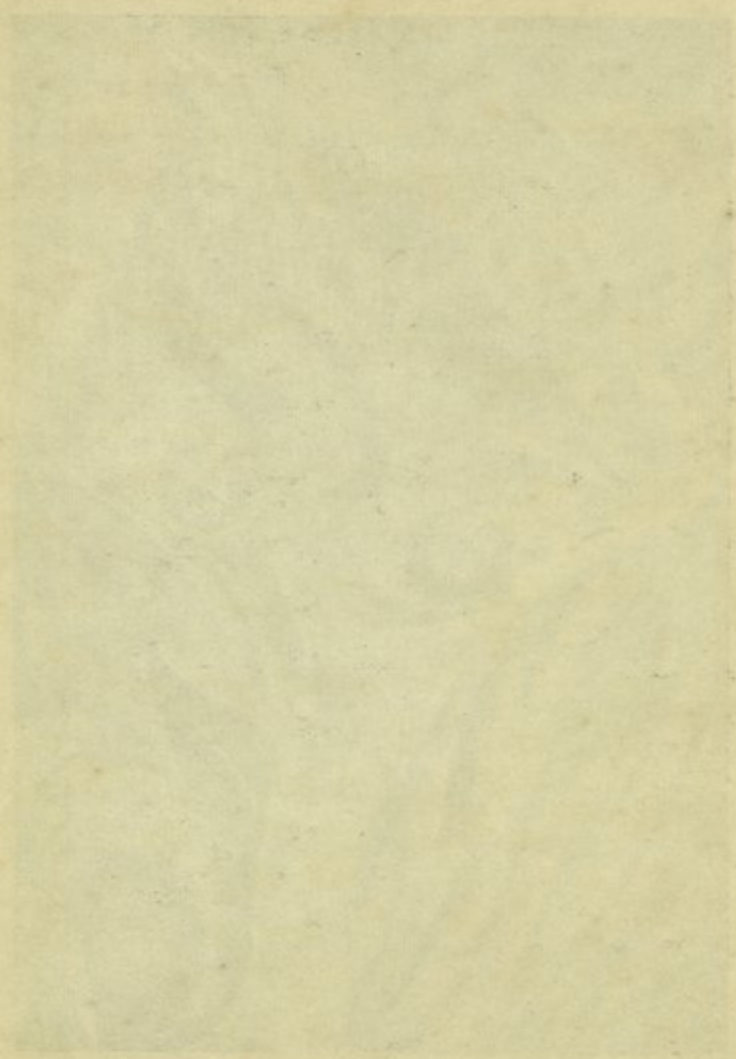
اجاب الوزير :

طعبروس



إله الغلو والادعاء

1845



1845

- لقد اقتطعنا من نَيْلِ دُونِهَا سرّوالاتٍ أهديناه الى رئيس بلدية
« الثريا » . انت تذكره يا مولاي : رجل مخلص . كذلك انتزعنا
الكثير من حبالها لنشر غسيل الوزراء يا مولاي ، اذ ان الصحافة
ترش عليهم الوحول ، فاثوابهم ابدأ قدرة يلزمها التنظيف . واني
اخاف ، ان نحن اعطينا المظلة لطعبروس ، ان لا تنفتح حين يقفز
فيهلك ، وان انفتحت - ذلك الحرق ... سرّوالاتٍ رئيس البلدية
يا مولانا ...

وسرعان ما دار عريف الآلهة وخاطب طعبروس :

- معاذاً ان ينسى عريف الآلهة رجاله المخلصين . اني لا اريدك
ان تذهب الى الكرة الارضية كرجل عادي في سيارة أو
« جيب » . انزل اليهم كبطل . لقد جهزت لك مظلة هوائية
جديدة من مخلفات الجيش ومن صنع الاميركان وانت تعرف انهم
لا يصنعون الاّ الأجل والافخم والأمن .

فشكر طعبروس للعريف حنانه وشدة المظلة الى كتفيه
وففز . وراح العريف يتطالع من كوة السماء مقبهاً فرحاً ؛ انه
تخلص من شخص يذكره بمعاركه الماضية ، واستفاقت « سادته »
فحدق بالارض يريد ان يرى طعبروس يلتطم بالارض فيتمزق .
غير ان طعبروس حيناً وقع ، لم يصطدم الاّ بكومة
ومال ، فسرعان ما انتصب واقفاً على قدميه سالماً ، فاحرق مظلته
وتأبط برميله ومشى صاحباً يحدث نفسه بالفتك والاخذ بالثأر ،
ويحلف بان يثير على العريف سكان البسيطة . وما طال سيره
حتى لمح بدويّاً شرس الوجه ، يعى جمالاً ويحمل بارودة ، فلهع

طعبروس وصاح :

— انا بوجهك يا بدوي .

اجاب البدوي :

— كنت على مهمة ان ارديك برصاصة . ولكنك سبقني الى الاستجارة ، فما انا بقاتلك . ولكن قل لي من انت وما تريد ؟
وهات اعطني خيلة من هذا البرميل الذي تحمله فاني عطش .
ومد البدوي يده وقلب البرميل الى شفتيه ، وسرعات ما
بصق ما دخل فمه ، وشم طعبروس الشرير الذي يحمل ماء لا يشرب .
قال طعبروس :

— رويدك يا بدوي . انا جئت هذا المكان لاسعافك .
ما صنعتك ؟

اجاب البدوي :

— انا راعي جمال .

— ومن هو شيخ القبيلة ؟

— درداح الغمدوش .

— ولماذا هو شيخ القبيلة وانت راعي جمالها ؟

— هذه ارادة الله . واحد يرأس القبيلة ، وآخر يرعى جمالها .

قال طعبروس :

— ما انا بمن يخالفون مشيئة الله . صدقت ؛ انه تعالى قسم المهين
والارزاق ، وجعل للقبيلة شيخاً يدير امورها ، وراعياً يتعهد جمالها .
ولكنك يا بدوي اشجع من درداح الغمدوش ، فلماذا لا تحاول ان
تكون شيخ القبيلة وتترك هذه الابل لدرداح ؟

فلمعت عينا البدويّ وعض على شفتيه ، وشع وجهه بحلم جميل - الخيمة الكبرى هو يملكها ، و وتطلع بطبروس من جديد وأجهم وجهه وقال :

- - اسمع يا مخلوق ، ان كلامك معقول . غير اننا هنا في البادية نصغي الى من يقول لا الى ما يقال . نحن هنا لا نخاف الاعصار ، والجوع ، والعطش ، والامراض ، ورصاص العدو . ولكننا نخشى اللسان الذرب ... إخال كلامك شبيهاً بيوملك ، تنظر اليه فتحسب فيه ماء يروي ، فما ان تنهل منه حتى تعرف طعمه الكريه ، وكلامك تسمعه ، فاذا هو مقنع ، وفي يقيني ان من اراد السير على ما انت به تبشّر ، سيعثر . لقد امنتك على روحك ، ولكنني اخشى ثورة غضبي فاكفر بتقاليد قومي . هيّا انصرف عني . رح الى هناك ، الى بلاد الحضر الملاعين ، في القرى والمدن حيث الرجال ذوو أيدي ناعمة ووجوه حليلة معطرة . هناك يحبون اللسان الذرب ، واحسب ان ستكون بينهم ذا شأن .
- وكان طبروس من اولئك القلائل الذين يفهمون الحكمة من أيّ سمعوها ، ويعرفون ان يلتقطوها حيث كانت ، لذلك أعجب بقول البدوي ، فودّعه وراح يقطع البادية ميمماً قري الحضر ومدنها ، فادّى به التسيار قبيل الغروب الى ضاحية قرية ، فرافق بعض فلاحيها ، وكانوا منصرفين من حراثة اراضيهم وعائدين الى قريتهم . وسمع الفلاحين يتحادثون فرحين ، وادّى بهم الحديث الى الدعابة ، والدعابة الى قول « القرّادي » فزجّ طبروس نفسه بينهم وسألهم :

— ما هذا الذي تنشدون ؟

اجابوا بشيء من الحُجل :

— نحن اناس اميون ننظم القرّادي في بعض الاحيان
للبساطة وللغناء في الافراح والمآتم .

اجاب طعبروس :

— انكم لا تعرفون اي شيء قيم تملكون . ما هذا «قرّادي» ؟
هذا شعر . انتم شعراء . انتم الشعراء .

فراحت قلوب اولئك الفلاحين تدق جذلة كأنها اجراس
الكاندراية في يوم العيد، ونفخوا صدورهم ورموا بمعاولهم وآلات
الحراثة وطفقوا يصيحون في القرية :

— نحن شعراء . نحن الشعراء .

وسرت الصبحة في القرى المجاورة ومدن البلاد ، وصار كل من
نظم في حياته ، او هم بنظم « قرّادي » او اي كلام عامي
مقفى ، يقف على سطح بيته او شرفة منزله ويصرخ « انا شاعر »
واجتمع الشعراء فانتخبوا لهم اميراً وشيخاً ، وفرّقوا الالقاب
والاوسمة فرحين .

اما طعبروس فقد هزه فوزه السريع ، فلم يلبث تلك الليلة ، شأن كل
من ينعم ببكر انتصاراته . وفي فجر اليوم الثاني طفق يطوف في
طول البلاد وعرضها ، ولقي من الصحافيين اعواناً له ، فاذا لاعت
فرقة من بيروت بالقوتبول فرقة من حلب سموها « مباراة دولية »
واذا فاز تلميذ بدروسه سموه « النابغة العبقرى » . وأشار على
الناس ، فاسسوا الجمعيات والمنظمات ، التي هي في حقيقة مراميها

ابواق لطعبروس . وتحالف مع رأسمالي ، فبنى مصنعاً للمرايا
المقعرة متى تطلع فيها الرأي وجد نفسه عظيماً ، فراجت تلك
المرايا ، واغت صانعها . ومن ارباح ذلك المصنع بنى الرأسمالي
مصانع للابواق والطبول ، واخذ طعبروس بدور على البيوت فيبيعه
بدون ربح ، حتى اصبح كل من السكان يحمل مرآة مقعرة في جيبه ،
وبوقاً في يسه ، ويعلّق طبلًا في رقبته ، تضرب لحناً واحداً :
« ما اعظمي ! » وكان طعبروس شديد المراقبة ، فلمح في تطوافه
ان الاسلحة كثيرة في البيوت ، فخشي على نفسه ان يؤلف الشعب
جيشاً ، والجندي جنرالاً كان ام نقرأ ، هو مثال الطاعة ، والنظام ،
والدعة ، والتواضع ، وهذه صفات ان فشت قتلت نفوذ طعبروس ،
فحمل تلك الاسلحة اصحابها وصاح بهم : « هيا اطلقوها في الجو ! »
ففعولوا وطربوا لدويها . إذ ذاك قام طعبروس فيهم خطيباً وقال :
- انتم الابطال الصناديد . من غيركم يقوى ان يطلق الاسلحة
في الهواء ؟

فصاروا يطلقون الرصاص لاية مناسبة ، فيصم آذانهم عن ضحك
شرذمة من الشذاذ جابتهم غازية واغتصبت بعض دورهم ، ووقفت
متسلحة يقظة توسع تخوم مغتصباتها شيئاً فشيئاً ، وقد وجدت تلك
الشرذمة في « طعبروس » اعظم حليف ، إذ شغل القوم عن الدفاع
عن دورهم بالاعجاب بنفوسهم ، ونفخ ذاتيتهم المتضخمة .
واصبح طعبروس كلما كثرت انتصاراته اشتد دأبه ، فبنى
حول تلك البلاد سوراً عالياً واقنع الناس ان ليس وراء السور من
بلدان . بل هو شيد حول كل قرية وشارع وضاحية سوراً ، وقال

للسكان « هذه هي الدنيا » فضيَّق الآفاق على الناس ، وقصر
طموحهم . ولم يعف عن معبد أو مدرسة ، فزين للتلاميذة ترك
دروسهم والمشغبة في الاسواق املاً بالترغم ، وصرف من كان شأنه
تعمد المعبد ، عن الاغاني الروحية ، الى الصخب السياسي وجاء
التسود .

وذات يوم طاف طعبروس بملكته - وقد استحسن انه امسى
فيها ملكاً مطلقاً ، فوجد فيها شخصاً واحداً قانعاً يُعنى بتربية
النحل ، ولا يأبه لشيء غيرها . وعبثاً حاول طعبروس ان يُقنع مربّي
النحل انه شاعر . أو انه خليق بان يرشح نفسه للنيابة . واخيراً
جاء طعبروس وهمس باذنه :

- اني اريد ان امرّ اليك اكتشافاً... فقد قرأت في « الحواشة
السّخفولية » ان نابليون هو جدّك الاعلى ، وان الملكة اليبابات هي
ابنة خالتك لجدّ جدّك . فما بالك تربي النحل وانت يليق بك ان
تتربع دست الوزارة ؟

فباع المسكين منحلته ، وراح يشاغب على الوزراء وجاء ان
يُستبدل بواحد منهم .

وأصدر طعبروس طبعة جديدة - ملايين النسخ - من « الحواشة
السّخفولية » وفيها توارىخ عائلات البشر ، واشادة بذكر جدد
الناس اجمعين . فمن عدم شيئاً يتبجح به في نفسه ، وجد في تاريخ
اجداده موضوعاً للتباهي بصرفه عن الجهود المفيدة .

هكذا نعم طعبروس في ملكه فكثرت الالقاب ، والاوسمة ،
والحفلات ، والمآدب ، ونفخت الابواق ، وقرعت الطبول ، وكان

من الطبيعي ، متى ازدحمت الافدام وضخمت الذاتيات ، ان ينشأ
العداء . وكان الحُصام على اشده في « شارع النيابة » حيث تقاطر
الناس باجمعهم يريدون ان يجتازوه طريقاً الى « القبة » حيث علق
اكبر بوق واضخم طبل ، في قاعة حيطانها مرابا مقعرة .

واختفى الحب ، وضاعت الاخلاق ، وانحى التسامح والحلم ،
وتكالب الناس على الظهور بمظاهر التفوق ، ولم تعد الاسلحة
تطلق في اهواء فحسب ، بل صارت تطلق في الصدور احياناً .
ونقم الناس على الناس ، وكفروا بما كانوا يؤمنون . اذ انهم قبل
طعبروس كانوا يؤمنون بامور منها سخيفة أو ساذجة ، ومنها
كريمة شريفة ، ولكنها كانت في مجموعها ايماناً يملأ النفس ثقة
واقداً ، ويفسحها من ادراكها ، « وثقة ولز » عناصرها . اما حينما
ضخمت ذاتيتهم فقد فرّ الايمان من صدورهم فماعت شخصياتهم .
الا ويل لقوم نفوسهم كهوف خالية هجرها الايمان .

اما الآلهة فقد ساءم اعراض الناس عنهم ، فما يرتاد
مفوضياتهم وسفاراتهم الزائرون ، وضعف شأنهم فما يسمعون
صلاة ولا ضراعة . فعادوا الى العريف يشكون امر طعبروس ،
ويخبرونه ان البشر انصرفوا اليه يعبدونه ، في حين انه ليست له
صفة رسمية . وان الامر اذا استمر هكذا ، فقد يضطر العريف
الى سحب تمثليه من الكرة الارضية وشطبها من خارطة
مستعمراته .

والحق انواع اشده تلك الجم التي تقذفها النفس اذ تغضب
على نفس كانت لها مروؤسة . لذلك نادى عريف الآلهة على مدير

البوليس ، وامره ان يرمي كل كتب القانون في النار ، وان يختار
من رجاله اشدهم بأساً واوسعهم حيلة ، وان يهبط الى الكرة
الارضية فيرجع منها بطعبروس او بجثة طعبروس .

وانتصب مدير البوليس بعد لحظة امام العريف فسأله هذا :

— ما بالك لم تذهب بعد ؟

— سيدي .. اني رجعت ولم اجد من آثار طعبروس الا

برميله الفارغ ! اما هو فقد عثش في رؤوس الناس ، لذلك ، لم اوفق
بالعودة به حياً ، اذ انه مختلف ، واني خشيت ان انا قتلته ان
اقضي على الناس اجمعين فهو في كل رأس ، وطبي كل قلب ، وعلى
كل لسان .

ونطقى الاله « فرنسوا » وهو الآله العملاق الذي قتله الاله
« جرمانوس » بضربة من قبضته ، واعادته الى الحياة الآلهة التي
تكاثرت على « جرمانوس » فدحرته . ولكن « فرنسوا » وقد
قتل عملاقاً بُعث قزماً بدون ذراعين . قال « فرنسوا » لعريف
الآلهة :

— سيدي ! أعدني الى البشر حاكماً عليهم ، واني أعدك بان
امزق اعلامهم ، واذلل نفوسهم ، واطرد طعبروسهم ، وافتل
السننهم ، فلا يتكلمون الا اللغة التي تريد . واني فوق ذلك منتزع
من كوارثهم ما فيها من مؤونة ينعم بها مولاي العريف واصفياؤه .
من الحاشية .

غير ان عريف الآلهة اعتاد ان لا يصغي إلى « فرنسوا » .
ولكن اذنه اشرأبت اذ سمع كبير الحكماء يقول :

— مولاي ... متى دخل القلب المرء ورأسه ، وسرى على
لسانه ، فمن العبث محاولة طرده برجال البوليس . اني على ثقة انه
لن يطرد هذا المارق طعبروس الا فتأنونا . اني اشير على سيدي
ان ينادي على النحاتين يبنون التائيل لطعبروس لتتصب في
ساحات الكرة الارضية ، ثم فليوسمه نبغاء مصورينا ولتعلق
صورته في كل بيت . كذلك ليصفه كتبنا وشعراؤنا .

فقلب عريف الآلهة شفتيه ساخرأ غاضبأ وقال :

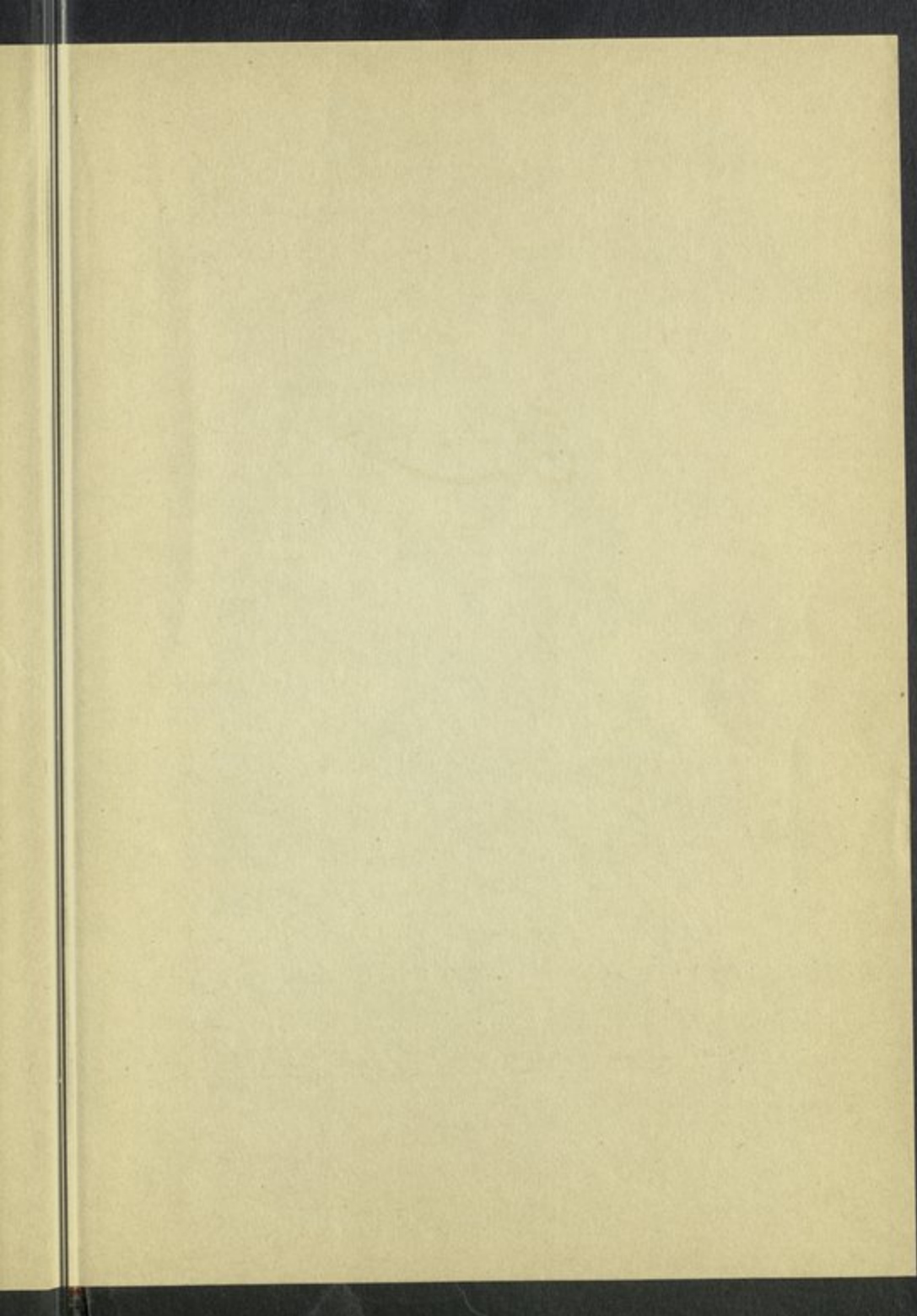
— ما كنت أحلم ان اعيش الى يوم اسمع فيه الحق من فم كبير
الحكماء . ها انا اريد الفلك ما له شرير يعبدونه ، وانث تقترح
التمثال والصورة والقصة والقصيدة لتفخيمه ؟

اجاب كبير الحكماء :

— اني ابغي من ذلك اظهاره للناس ليروه . ان الناس
لا يعبدون ما يرون ... انهم يعبدون ما لا يرون !

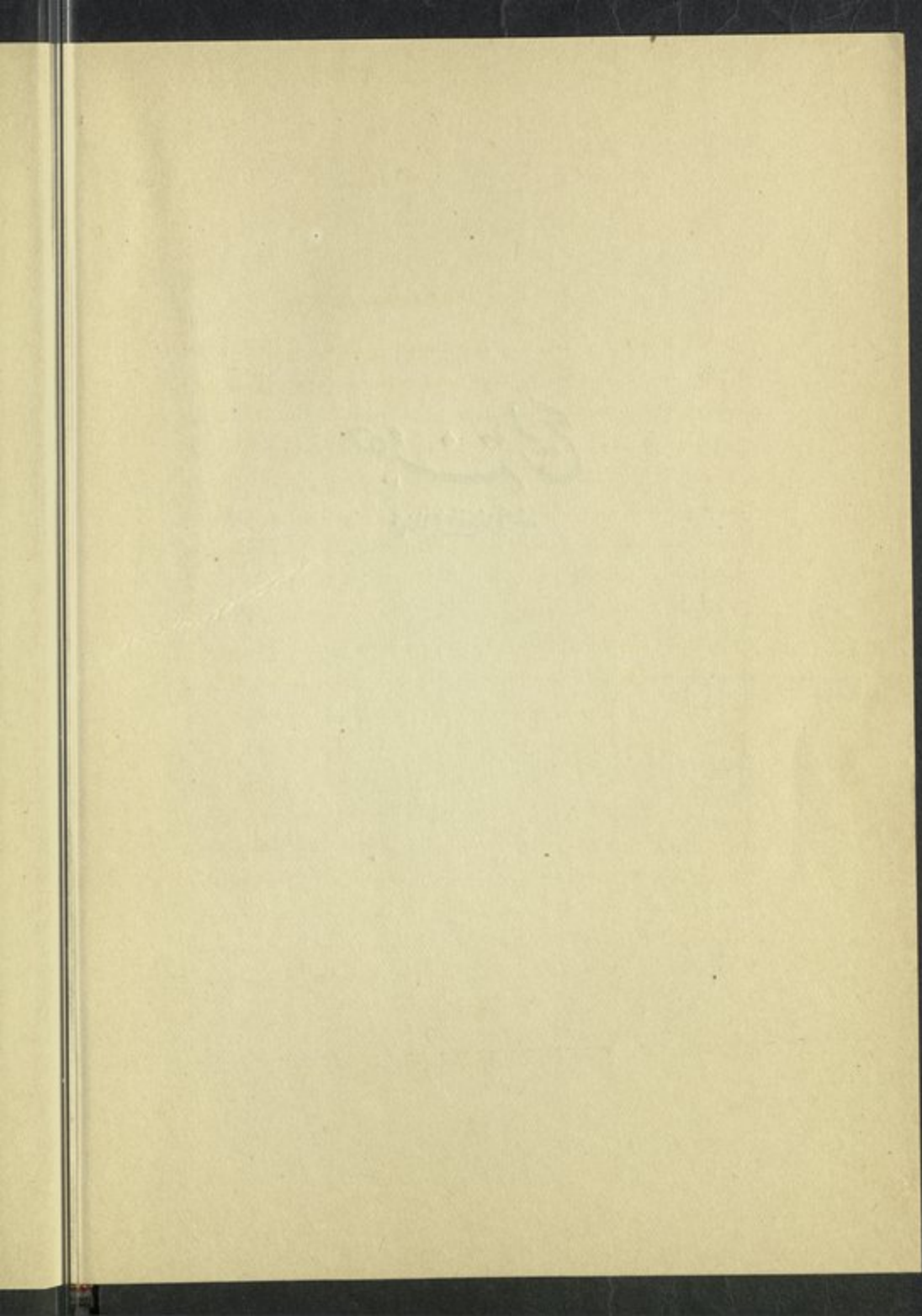
وغطس عريف الآلهة في بحيرة التفكير ، وراح يسبح حيناً ثم
خرج منها مبتهجأ واعلن ان رئيس الحكماء على صواب ، فمتى رأى
الناس طعبروس طردوه لا سيما وقد فرغ برميله من النفط ، فلن
تحفى اقذار يده ، وخلت يده من براءة توظيف يذّر
رمادها في العيون . ونادى على الفنانين ففرق عليهم جبال
المرمر ، واوتار قلوب البلابل ، وحفنة من قوس القزح ، ونفخة
من ريش الحساسين ، وعبأ جراباتهم باغاريد اطفال الملائكة ،
وصاح :

— عليكم بطعبروس . هذا عتاد الحرب والنصر بين اناملككم .



حَفْزِ تَرْجِيحِ

مَهْرُ لَا وَفَصْلٍ وَاحِدٍ



بيروت سنة ١٩٥٠

[غرفة اثاثها غوغاء . في منتصف المسرح - الى الامام - صحارة قائمة على جانبا الضيق وفوقها قطعة خشب ضخمة تستعمل في المطابخ ، اذ يقطع عليها اللحم ، والحضار . على قطعة الخشب سكين مطبخ ، واشياش عازية . وخلف تلك الطاولة (الصحارة) فوتويل مثلث المقاعد ، ممزق ، خاس الكثير من معارك الحياة . على يمين المسرح طاولة (صحارة) ثانية عليها آلة تلفون . على يسار المسرح فتى موسيقي يدوزن عوده . بضعة كراسي مبعثرة هنا وهناك بعضها مقلوب . في منتصف الحائط الذي يواجه النظارة باب صغير عليه ستارة ممزقة . الى يمين النظارة ، يلاصق الحائط الخلفي سرير هو ثلاث الواح خشبية متددة على ثلاثة صحاير . ناموسية السرير مرفوعة . على جوانب السرير وعلى الناموسية كلسات ، وريطة رقية ، وطربوش ، وبنطلون وكلسون . الى اليسار ، فيما يلاصق الحائط ، حذاء الباب الخلفي ، مقبلة مهشمة عليها امرأة مكرسكوية وعلى المقبلة فرشاة اسنان ، وفرشاة ثياب ، وبعض ادوات الزينة . في منتصف المسرح ، طاولة صغيرة عليها مزهرية بدون زهور . على الارض بقايا سكاكر وقشر ليمون وزجاجات فارغة .

على السرير ، يتقلب وجهه في بيجامته .
على المقعد المثلث يجلس فتى انيق الثياب قصير نحيل ، يلبس طربوشاً مخرباً . يكاد يغطيه حتى أخمص قدميه . بين يديه عصا مذهبة المقبض ، تعلم من كثرة تقليبه اياها ، انه اشتراها منذ ساعتين فقط . اسمه الشيخ نسيب وهاب . يسمع دق على الباب الايسر ويدخل نهاد العسكري . شاب في الثلاثين ، خفيف الخطى ، زواغ النظر ، لطيف]

نهاد - صباح الخير يا اخوان .

العواد { الشيخ نسيب
صباح الخير .

نهاد - أين وجهه ؟

الشيخ نسيب - صار لي نصف ساعة انتظره وهو (يشير الى السرير)
فأبم .

العواد - صار لي (متطلعاً الى ساعة اليد التي يلبسها) ساعة ورابع .
من ينتظر وجهه ان يفيق من نومه كمن ينتظر عنقود
عنب يصير زيبياً .

نهاد - مسكين ... وجهه تعبان . ليلة البارحة القى خطاباً
هز البلد . جئت اطلب نسخة منه . عدم المواخذة
(يقترب من العواد مصافحاً) داعيك اسمع نهاده العسكري .
العواد - (معجباً) صاحب جريدة « نهضة الفجر » ؟ ! حصل
لنا الشرف . داعيك « شوقي الحياك » صاحب
اوركسترا « جوقة لبنان » .

نهاد - حصل لنا الشرف . سمعت جوقتك عدة مرات
على الراديو .

الشيخ نسيب [يقترب منها بخياء من يركبه ميسم الضعة (١) يمد يده
لنهاد] - انا نسيب وهّاب .

نهاد - (هازأ يده) وهّاب ... وهّاب ... حضرتك
« الشيخ » نسيب وهّاب .
(الشيخ نسيب يضحك منفرأ)

(١) تعريب « Inferiority Complex »

نهاد - الشيخ فرج الله مدير الجمرك هو صديقي - هل هو قريبك ؟

الشيخ نسيب - عمي أخو أبي .

نهاد - والشيخ عبدالله مدير جمرك الناقورة ؟

الشيخ نسيب - ابن خال عمي .

نهاد - والشيخ شفيق ... مفتش المعارف ؟

الشيخ نسيب - ابن خال عمتي .

نهاد - والشيخ عادل مهندس بلدية صيدا ؟

الشيخ نسيب - ابن عمّة خالي .

نهاد - وحضرتك ؟

الشيخ نسيب - البارحة صدر امر بتعييني مفتشاً في جمرك بيروت

نهاد - (يأخذ ورقة من جيبه وقلماً) هذا خبر هام (يكتب) :

« يسرّنا ان نرف الى القراء الكرام بشرى تعيين

صديقنا الاوفى الاستاذ الشيخ نسيب وهّاب مفتشاً في

جمرك بيروت . والشيخ نسيب هو العبقرى المتخرج

من ... » (الى الشيخ نسيب) من اي كلية تخرّجت

حضرتك ؟

الشيخ نسيب - انا لم اتخرج . اولاد صفى تخرجوا .

نهاد - « والشيخ نسيب من خيرة شبابنا المثقف ،

وعبقريّ (للشيخ نسيب) لم تتخرج ؟

الشيخ نسيب - لا .

نهاد - « من خيرة شبابنا المثقف وناطقة وقاد

الذكاء...» (الى الشيخ نسيب) لا تؤاخذني ان قلت
« نابعة » فقط لاني لا احب المبالغة! (يعيد الورقة والقلم
الى جيبه ويمشي الى السرير مخاطباً النائم) وجيبه ...
وجيبه ... ثم . ثلاثة ارباع البلد في انتظارك .
(مخاطباً العواد والشيخ نسيب) هل ام ظريف هنا ؟
(يتقدم من الباب الخلفي ويصيح) يا ام ظريف ! يا ام
ظريف ! اهلاً وسهلاً بعروستي ام ظريف (تظهر ام
ظريف كهلة في حوالى الخمسين ، صلبة العضلات ، ضخمة ، بارزة
العينين على رأسها عصابة . وفي وجهها نظرة حنان تنكرت
قسوة ، تستشف من خلال خشونتها نعومة الانوثة . يضع نهاد
ذراعه على كتفي ام ظريف ويمسحها الى مقدم المسرح)

نهاد - هل قرأت ما كتبته عنك في عدد امس ؟
(يربها الجورنال)

ام ظريف - (بخلاء) الحمد لله اني اجهل القراءة والكتابة .

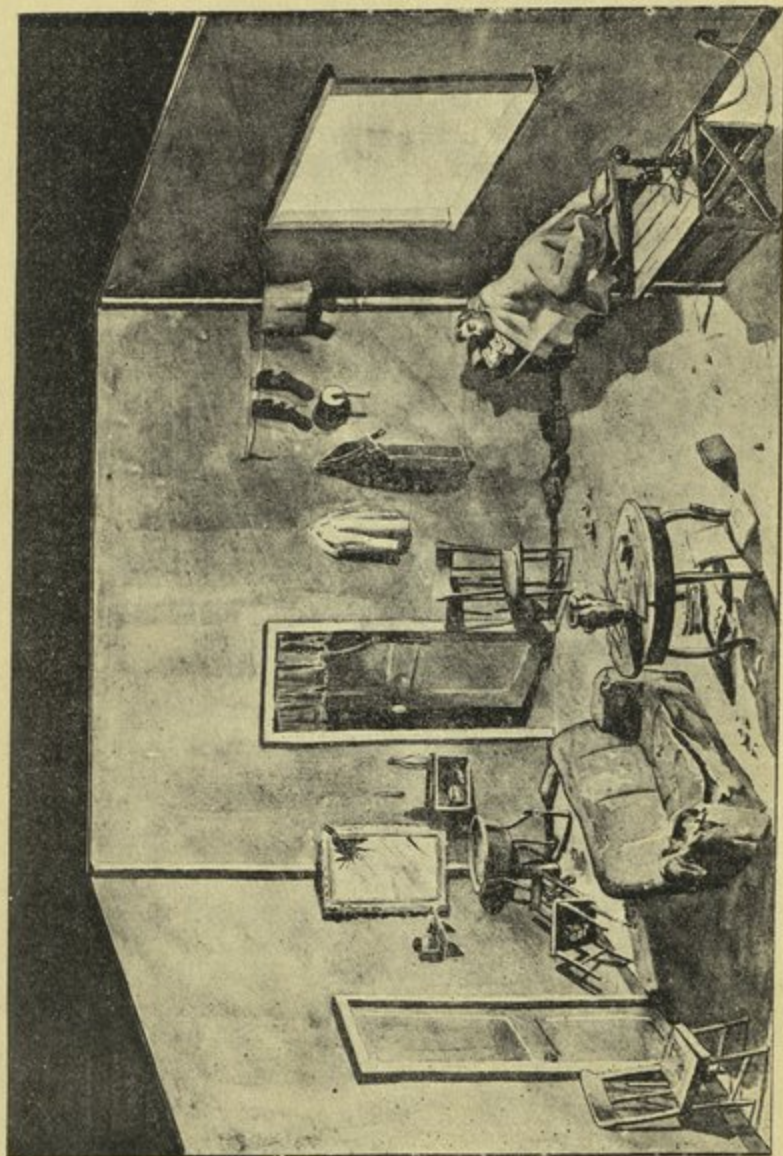
نهاد - هل ترك لي وجيه ورقة معك ؟ او وصية ؟

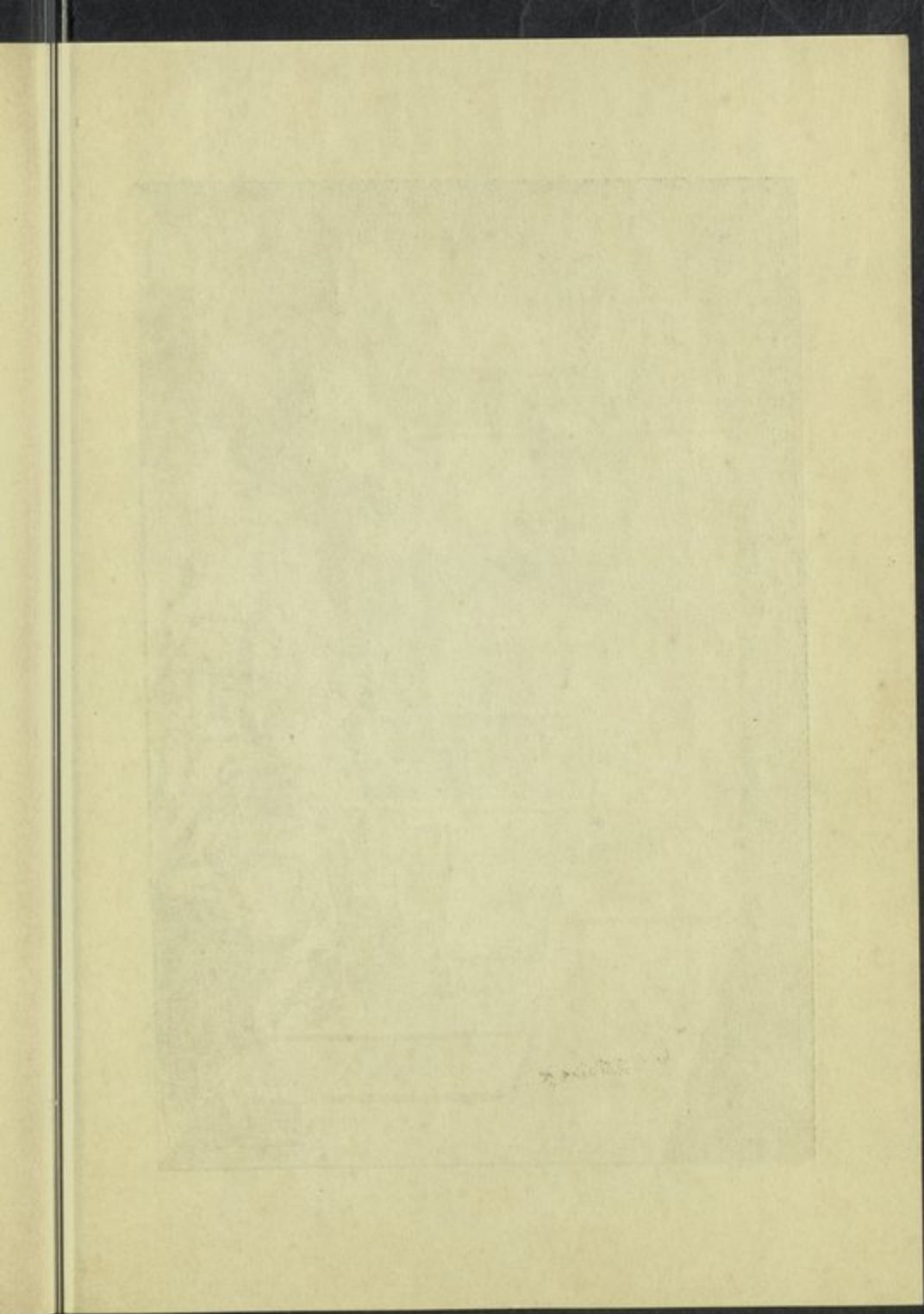
ام ظريف - ترك لك وصية . قال يجب ان ترجع قبل ان تبدأ
بطبع الجريدة لأن عنده عجائب غرائب من الاخبار .

نهاد - طيب ، قولي له اني راجع في اقل من ساعة . ألم يترك
نسخة خطابه عندك ؟

ام ظريف - (تغمي الى المزهرية وتزع منها اولا كلمات ثم اوراقاً)
ترك هذا .

نهاد - هذا هو ؟ سلم الله يديك يا ام ظريف . هذا





خطاب وجيه .

ام ظريف - اوصاني وجيه ان اسألك ان كنت تحب ان
تدفع ثمن الخطاب .

نهاد - وجيه يعرف اني لا ادفع ثمن خطابات . اما اذا
كان عنده اخبار فهدء ادفع ثمنها . بخاطرك يا ام
ظريف . بخاطر كم .

نهاد - (للشيخ نسيب) نسبت انت اسألك عن معاش
الوظيفة .

الشيخ نسيب - انا لا يهمني المعاش . حالتنا المالية حسنة بحمد الله .
نهاد - خطر على بالي امر . احب ان انشر صورتك .
تفضل معي . عندنا مصور في الادارة .

الشيخ نسيب - (يقترب من المرأة فيصلح من شأنه ويلوح بالعصا مزدهياً)
ولكنني اريد مقابلة وجيه .

نهاد - تقدر ان ترجع بعد ربع ساعة .

نهاد - } بخاطرك يا استاذ .
الشيخ نسيب - }

العواد - بخاطر كم يا اخوان .

نهاد - (على الباب) يا ام ظريف ، قولي لوجيه ان تلك
العجائب - الاخبار التي وعدها - يجب ان تكون
حوادث حقيقية ، لا حوادث رأها في المنام .

الشيخ نسيب - اخبرني الاستاذ وجيه اني راجع (نهاد والشيخ نسيب
ينصرفان - يرجع العواد يدوزن عوده ويتغنى بـ « يا ليل » مرة

بعد مرة - ام ظريف تخرج من الباب الخلفي وترجع بمكنسة
ومجرد فتلطف في الغرفة مقومة كرسياً هنا ومتاعاً هناك .
تلتقط اكواب السكاير خفية وتخبئها في تنورتها . تظهر اسمترازها
من العواد ، اذ هي تسد اذنيها مرة ، وهم بان تنزل على رأسه
بالجبرود والمكنسة الخ... يرن اثلثون فتضع ام ظريف الساعة
على اذنها .)

ام ظريف - ... تضرب بعينك (ترجع الساعة)

العواد - ماذا جرى ؟

ام ظريف - هَلُّو ... هَلُّو . من قال له اني احكي فرنساوي

(تقترب من سرير وجيه وتهزه حاتقة)

ام ظريف - انهض . م .

(ينهض وجيه ثم يعود الى السرير مثائباً . في دون الثلاثين ،

قصير ، شاحب ، طويل الأنف بارز العينين . نحيل ، عصي

المزاج ، كلامه نبر ، ولهجة حديثه ثورة واحتجاج وسخرية)

العواد - بقي لي في انتظارك اكثر من ساعة يا استاذ وجيه .

وجيه - كم الساعة الآن ؟

ام ظريف - الساعة العاشرة والنصف من صباح ٣١ ك ٢ . هذا

٣١ الشهر . اتدري ماذا يجري في آخر الشهر ؟

وجيه - آه من آخر الشهر . آخر الشهر يقبض الموظف

معاشه . ولكن اين انا من الوظيفة ؟

ام ظريف - (متوعة) آخر الشهر يدفع المستأجر الاجار .

أفهمت ؟ خمسة عشر شهراً وانت ساكن هذه الغرفة ،

اين الاجار ؟

- وجيه - يا أم ظريف
- أم ظريف - (مقاطعة) آخر الشهر تقول لي «ادفع في أول الشهر . أول الشهر تقول ادفع في آخر الشهر .
- وجيه - يا أم ظريف... هذا زمن لا يعرف أوله من آخره .
- أم ظريف - كيف تريد أن تعيش في هذه الدنيا ؟ لا ابن ولا ابنة ولا زوج ولا قريب . أنا وحيدة .
- وجيه - الله معك يا أم ظريف .
- أم ظريف - هذه غرفة سكن جعلتها مطبخاً (ترفع أشياء اللحم وتضعها على الخشبة) لحم مشوي الصبح . لحم مشوي المساء . لحم مشوي نصف الليل . لحم ...
- وجيه - الأسود لا تأكل ملفوفاً ، والنمور لا تمضغ البطاطا .
- أم ظريف - ضيوف وضيوف . جماهير تدخل وجماهير تخرج . انظر الى الأرض واقذارها . انظر الى قشر الليمون . اهذه غرفة سكن أم ياخور (اصطبل) .
- وجيه - ياخور (اصطبل) ... يسكنه جواد كريم !
- أم ظريف - خطب وأشعار . وهبسة وصباح ، والآن (تقترب الى خلف العواد صارخة) «يا ليل» (يحفل العواد) .
- وجيه - فنجان قهوة يا أم ظريف . «موتور» دماغى لا يشتغل بدون قهوة .
- أم ظريف - قهوه ؟!! خمسة عشر شهراً بدون أن تدفع أجار الغرفة ، والآن تطلب قهوة ؟! والقهوة سعرها بالجوّ .
- وجيه - ما هذا بعذر . القهوة سعرها بالجوّ . الطحين سعره

بالجو . الثياب سعرها بالجو . الشعب طائر في الجو .
الوزارة والحكومة بالجو . كلنا بالجو .

ام ظريف - وفنجان القهوة بالجو .

وجيه - (مؤنباً عانياً) هذا جزاء المعروف ! كم مرة نشرت

الجرائد صورتك ؟ ! كم مرة كتبوا عن ام ظريف

وغرفة ام ظريف ؟ عرفتك الى الوزراء ، والنواب ،

والصحافيين ، غرفة ام ظريف في بيروت اشهر من

قلعة بعلبك في بعلبك . انت اشهر رجل في بيروت .

ام ظريف - (على الباب) انا اشهر رجل في بيروت لاني الرجل

الوحيد الذي يؤجر غرفة ولا يقبض اجارها (تنصرف)

العواد - من فضلك يا استاذ . صار لي اكثر من ساعة انتظر .

وجيه - (بعد ان يفتش جميع انحاء الغرفة وجيوبه) معك سيكارة ؟

العواد - (يعطيه سيكارة) تفضل .

وجيه - (بعد ان يفتش) معك كبريته ؟

(العواد يولع له السيكارة)

وجيه - تشكرات . هل اعددت اللحن ؟ هل اقتضيت ؟

العواد - نعم . فعلت ما تريد . سيعجبك اللحن .

وجيه - وستعجبك الاغنية .

العواد - ان شاء الله .

وجيه - ومتشترها مني .

العواد - ان شاء الله . انما من فضلك عجل . صار لي ساعة

انتظر .

وجيه - (يطوف الغرفة مفتشاً عن شيء لا يجده) اسمح لي ان

اغسل وجهي اولاً . على فوقه ، معك صابونة ؟

العواد - صابونة ؟!!

وجيه - طبعاً ما معك صابونة . سؤال سخيف . (منادياً)

يا ام ظريف اين الصابونة ؟

ام ظريف - (من الداخل) أي صابونة ؟

وجيه - اي صابونة كانت . حمراء او بيضاء . طويلة او

قصيرة ... سمينة او نحيلة . فتية او عجوز . شيوعية

او ديمقراطية . سلافية او انكلوسكسونية . بشرط

ان تكون صابونة .

ام ظريف - آخر صابونة اشتريتها ذابت في ايام الصيف .

وجيه - (يقترب من المغسلة ويتكلم اذ هو يغسل وجهه) هل

لاحظت ان اكثر الصابون مغشوش في هذه الايام ؟

يعني انه يوسخ اكثر مما هو ينظف ؟

العواد - (متبرماً) نعم لاحظت . من فضلك صار لي ساعة

انتظر .

وجيه - (وقد فرغ من غسل وجهه وبن شعره) معك منشفة ؟

طبعاً ما معك منشفة . (ينشف بالستارة التي تزين الباب الخلفي)

معك مشط ؟

العواد - (يأخذ المشط من جيبه ويعطيه لوجيه) تفضل !

وجيه - (ممسكاً شعره . هنا يستحيل وجيه من فتى ماجن الى فنان يقظ)

اسمعي النغم . اريده خظفاً كله حياة . نعم ناعم ولكنه

ليس بنائم .

العواد — الاغنية يا استاذ . صار لي ساعة انتظر .

وجيه — (يفش بين الامتعة فلا يجيد الاغنية) لعلها هنا

(تحت الفراش) لا . هذه رواية تمثيلية . (يأخذ الحذاء

وينزع منه ورقة) لا هذه مقالة للمقتطف . ها . ها .

(يأخذ الطربوش وينزع من تحت الاطار الجلدي الداخلي ورقة

يعطيها للعواد) هذه هي . (فيا يلعب العواد هذه القطعة

ويغنيها ، وجيه يلقي كلماتها شطراً شطراً بحيث يفهمها الجمهور)

عاش تعساً من شكاً آلامه

وتناسى امد العيش القصير

صهر اللذة من اوجاعه

كل من يضعك منها ويسير

اللازمة

ماذا لو غاب القمر

ماذا لو صد الحبيب

ماذا لو طال السهر

ماذا ان تمسي غريب

هذه الدنيا سراب بطلها مثل الصحيح

هي حلم شارد بين مهد وضريح

اسرفت في الصمت عن امرارها ما ان تبيح

كل ما نخبه من اعصارها حفة ربح

هي نار العيش من يعبدها احرقته وهجها ما ان ينير
من جفا الاحلام لم يفجع بها وازدرى الاموال لا يمسي فقير
اللازمة

لا تباع مثلاً علياً فلا تطالب في الناس نبلاً ووفاً
ذاك نهر العيش لن تشربه نهلةً ترويك منه وكفى

(خلال الغناء تظهر ام ظريف في الباب الخلفي ، فاذا انقطع
الغناء تجلس في البكاء ، فتمسح عينيها بمريلها وتنفخ انفاً به
وتنهزم الى الداخل)

وجيه - اعجبتيك الابيات ؟

العواد - ابيات بديدة . شعر رفيع .

وجيه - اعتقد انك مستعجل . الافضل ان لا تضيع وقتك .

مئة ليوا (تظهر ام ظريف)

العواد - (يعيد القصيدة لوجيه وينتهي للانصراف) آسف ان لا

اقدر ان اشتريها .

وجيه - هاه ؟ لم تعجبك ؟

العواد - قلت لك انها بديدة .

(ام ظريف من خلف العواد ترسم باصابعها علامة الحسين)

وجيه - اذا كانت المئة ليوا مبلغاً كبيراً فيكفي خمسون .

العواد - لا . آسف ان لا اقدر ان اشتريها .

(ام ظريف ترسم باصابعها علامة العشرين)

وجيه - يا سيدي نحن ابناء الفن اخوان . عشرون ليوا

تكفي .

العواد - لا تؤاخذني ...

- (ام ظريف ترسم علامة الخمسة) .
- وجيه — خمس ليرات كافية .
- العواد — الحق يا استاذ اني لا اقدر ان اغني هذه الابيات في حفلة .
- وجيه — لماذا ؟
- العواد — اولاً ما فيها « يا ليل » .
- وجيه — زد عليها الف « يا ليل » ، بدون ان ارفع عليك السعر .
- العواد — ثم ... ثم ... ينقصها كثير من الشعر . العيون . النهود . اللعاب . الحُدد . الشعر . الجبين . الشفاه .
- وجيه — (متيكما) العيون . النهود . اللعاب . الحُدد . الشعر . الجبين . الشفاه . حضرتك تطلب اغنية شعرية ام محاضرة فسيولوجية ؟
- العواد — اريد شيئاً من القلب .
- وجيه — هل تحفظ السر ؟
- العواد — بالطبع .
- وجيه — (هامساً بعد ان يتطلع حواليه كأنه يتأكد ان ليس من يسمعه) لا تخبر احداً . انما انا لا اقدر ان انظم شيئاً من القلب .
- العواد — صحيح ؟! لماذا ؟
- وجيه — لانه ليس لي قلب ! [حانقاً] اللعاب ... النهود . صدقت اني ابيعك هذه الابيات بخمس ليرات ؟! هاه . عندي مشترٍ بخمسين !

- العواد - ان شاء الله !
 وجيه - ومشتتر غيره بجمسية .
 العواد - ان شاء الله !
 وجيه - وغيره . وغ ... يره بالف ليرا .
 العواد - إن شاء الله . إن شاء الله . بخاطرك . (يخنفي في الباب الأيسر) .
 وجيه - (صارخا خلفه) إن شاء الله تقع على الدرج وتكسر عودك ورقبتك . (الى ام ظريف) اسمعت القصيدة ؟
 ام ظريف - قصيدة عظيمة . عظيمة . ما فهمت منها ولا كلمة .
 وجيه - هذه القصيدة سينقشونها على صخرة الجلاء ، ويحفرونها على جبين « السفنكس » ، ويطبعونها على مياه الفرات والاردن . ولكن لا يشترونها بخمس ليرات (يرمي السبكرة فتلتقطها ام ظريف وتبدأ في تدخينها . وجيه يرتجى على المقعد المثلث فتقرب منه ام ظريف موأسية تلاعب شعره)
 ام ظريف - آه يا بني . آه يا وجيه . لماذا انت هكذا ؟ ما انت اقرع ولا اعور ولا اعرج ولا غبي ولا امي . الناس يحبونك .
 وجيه - الناس يحبون الفاشلين ، وضعف الحائنين يظهر ما في الناس من قوة .
 ام ظريف - (مكلمة دون ان تفهم ما نطق به وجيه) لماذا غيرك يتنعم بالاوتوموبيلات ...
 وجيه - وانا عائش على اللحم المشوي ؟ اسمعي يا ام ظريف !

أرأيت هذا العمود يدوزن عوده؟ بعض الناس يدوزن
عوده بلحظة . بعضهم بسنة ، والبعض يولد وعوده
مدوزن . اما انا فكلما حاوات دوزنة عودي وجدته
مقطع الاوتار .

ام ظريف — هذا غضب الله عليك ، لانك كفرت به وقسوت على
احدى مخلوقاته .

وجيه — هل 'جنت'؟ عن تكلمين؟

ام ظريف — انكلم عنك ، وعن خطيبتك عابدة . ميبيض
شعرك قبل ان تتزوج .

وجيه — هذا اوفق من ان يبيض شعري بعد ان اتزوج !

ام ظريف — مسكينة عابدة . هي ملاك . لم اسمع بابنة بقيت
مخطوبة سبع سنوات الا عابدة . عجّل وتزوج . كم
عمرك الآن ؟

وجيه — تسعة وعشرون تشريناً اولاً ، لولا الغرام ، لولا
عابدة لكانت تسعة وعشرين ثانياً .

ام ظريف — عابده ! يا لها من فتاة جميلة ، مہذبۃ عاقلة (تبكي)
كل رفيقاتها اصبحن زوجات وامهات ، وهي في
انتظارك . لماذا لا تتزوجها ؟ ما عيبها ؟

وجيه — فيها عيب كبير .

ام ظريف — (تحدها) عابدة ملاك . كذب كل من نقل عنها
خبراً . عيبها كبير ؟! ما هو ؟!

وجيه — عيبها ان لها امّاً . اخترعوا طيارة بدون جناح ،

وقلم حبر يكتب بدون حبر - لماذا لا يخترعون زوجاً
بدون حمة ؟

ام ظريف - ام عايذة ، مدام زعرور ، سيدة فاضلة . ما
اعتراضك عليها ، ألعها تعارض في الزواج ؟!

وجيه - يا ليتها تعارض . كان الامر هيناً . لكنهما تريد
شيئاً مستحيلاً . تريد مصاغاً . اسمعي ماذا تريد ان
اشترى . (يعني الى يمين النظارة ويقرأ من الحائط هناك)
١ - خاتم خطبة ، ثم خاتم زواج .

٢ - زوج حلق كوكيتيل .
من يفهم علاقة الحلق بالكوكيتيل ؟ لا ام ظريف
تفهمه ، ولا انا افهمه ، ولا ابو حنّاً تولستوي يفهمه !..
٣ - دبوس بلاتين .

٤ - اسوار الماس .
٥ - (متعجّلاً) بَ . نَ . دَ . نَ . ط . . . بندنظيف .
ها لطيف ! وانا من انواع الجواهر ، لا اقدر ان اقدم
الا لحم مشوي . (يرن التلفون)

وجيه - (على التلفون) هلو ... هلو ... نهاد . آسف ان
كنت نائماً . عندي اخبار تهز البلد . لا اريد ان
اقولها على التلفون . الاخبار لها ثمن يا استاذ . اي
ساعة تبدأ بطبع الجريدة ؟ مرة عليّ بعد نصف
ساعة . لا تنس ان تجلب معك عملة . انا احب
الاشتغال بالنقدي . بخاطرك (يقفل التلفون - الى ام ظريف)

هذا نهاد العسكري صاحب « نهضة الفجر » .

ام ظريف — ما هي الاخبار التي تهز البلد ؟ اخبرني . انا لا
اخبر أحداً .

وجيه — انا ما عندي اخبار . وانت هل عندك اخبار ؟

ام ظريف — ولماذا كذبت عليه ؟

وجيه — ولماذا يكذب غيري علي غيره ؟ للضرورة .

للحاجة . وبعض الاحيان بحكم العادة . على كل حال ،

مدام زعرور ستشرفنا بعد قليل ، وهي دائماً حاملة

اخبار (يأخذ المكواة من الصعارة فيحملها بيساره ، ويضع

بنطلونه على كتفه) لا تخافي على الاجار . سأصير غنياً .

سأبني بناية كبيرة اسكن في غرفة منها وانت تتولين

قبض الاجارات . (في الباب الخلفي ورافعاً المكواة)

سأبني الف بناية . وسأحتج على قانون الاجار .

نحن نغامر برأسمالنا ونبذل مئات الالوف ونبني فوق

رؤوس الناس سقفاً يقيهم المطر ، والشمس ، والبرد

والصواعق ، والرعود ، ثم في آخر الامر نمسي عرضة

لاستبداد هؤلاء . . . هؤلاء . . . مستأجرين

(ينصرف)

ام ظريف — (تلتقط القصيدة وتحاول قراءتها وغناءها) . . . ا . . . ش .

تيساً من جفا . . . ا . . . لا . . . مه . . . أمه . . . عاش تيساً

من جفا أمه (فيما هي تعيد الاغنية يدخل صانع اللحام من

الباب الايسر ويقترب ويتحنن فتحفل ام ظريف وتصرخ خائفة
(غضبى)

ام ظريف - من انت وما تريد ؟

صانع اللحام - انا مسعود صانع اللحام . معلمي توفيق ارسلني لكي
احصل من وجيه افندي .

ام ظريف - تحصل ماذا ؟

مسعود - احصل فلوس . عملة . ثمن اللحم . منذ ثلاثة أشهر
وجيه افندي ما دفع .

ام ظريف - وجيه ليس هنا .

مسعود - (يدير عينيه في الغرفة غير مصدق ثم يعطيها ورقة) على

كل حال سلميه - هذه قائمة الحساب وهذا مكتوب
لوجيه افندي .

ام ظريف - كم هو الحساب ؟

مسعود - ١٢٥ ليرا و ١٤ قرشاً .

ام ظريف - والمكتوب ماذا يقول ؟

مسعود - اقرأيه ..

ام ظريف - (بفخر) انا لا اعرف القراءة والحمد لله . اقرأه انت

مسعود - (يقرأ) - حضرة الاجل الابطح سريّ المهم

وجيه افندي المحترم : بعد تقديم واجب الاحترام

لشخصكم الكريم ، يلعن دين ساعة بعث لحم بالدين ،

ويلعن دين ...

ام ظريف - (مقاطعة) رح الله يلعنك ويلعن معلمك (تطرده وتدفنه)

اطلع .. اخرج ... تَحْيَّيْب ..

مسعود ١ - (على الباب) الله يلغني اذا جلبت لكم لهما .
ام ظريف ٢ - الله يلغنيك ان جلبت لهما ، والله يلغنيك ان
لم تجلب لهما .

(ترجع ام ظريف الى المقعد تتم لنفسها وتضرب كفاً على كف
حزينة قلقة) من يوم مات زوجي تزوجني ، الشيطان -
شيطان الفقر . ما آلم انيابك اذ تعض ، واسمها اذ
تلسع . مرض لا يقتل ولا يشفى . نحس ان في
عروقك الف ثعبان وعلى لسانك افة فلفل ؛ وعلى
عينيك نظارات تريك الدنيا جهنماً والناس ابالسة .
(تتخاطب شيطان الفقر كأنه جالس الى جانبها) ابتعد عني .
من جاء بك الى هذه الدار يا لعين ؟ ابتعد قلت لك
اخرج ! (تركض الى حذاء الباب الخلفي وتأخذ المكنسة
والمجرود واذ ترجع ترى ان الشيطان قبالتها) انت دائماً
لاحق بي . ما ألام هذه الابتسامة على وجهك !
سنطردك من هذه الدار - انا ووجهي . فهمت ؟ الله
يلغنيك ! (تنزل بالمجرود والمكنسة ضرباً على الشيطان الذي تنوهم
انه قبالتها صاحبة شائمة - تدخل مدام زعرور)

[بعد هذا المشهد وفي الاوقات المناسبة ام ظريف تتخاطب الشيطان
وتضربه متممة كلاماً غير مفهوم]

مدام زعرور - ام ظريف !

ام ظريف - مدام زعرور !

مدام زعرور - ماذا جرى ؟ من تقاتلين ؟

ام ظريف - اقاتل الـ . . برغش .

مدام زعرور - كيف حالك ؟

ام ظريف - كيف حالك ؟

(تعيدان هذا السؤال بضع مرات)

مدام زعرور - حالي في الوبل ، يا ذلتي على عابدة .

ام ظريف - سلامتها . ماذا جرى ؟

مدام زعرور - جرى كل شيء . يا ذلي ! (تنتحب . ام ظريف .

تهديء روعها بـ « طولي بالك . خير ان شاء الله . . » ثم كأنها

فطنست لأمر فتصرخ « جرى كل شيء ؟ ! » وتروح تنتحب .

وتلبث الاثنتان في لعب من دموع ونشيق وشهيق وعصافين .)

ام ظريف - هل عابدة بخير .

مدام زعرور - بخير والحمد لله . تركتها عند الحياطة . وستكون

هنا بعد قليل . انما يا ام ظريف خربنا . صرنا اضحكة

الناس . سبع سنوات خطبة !!! اين وجهه ؟

ام ظريف - وجهه في المطبخ (مشيرة الى الداخل) يكوي .

بنطلونه . كنا نتحدث في موضوع الزواج هذا

الصباح . وجهه مستعد للزواج .

مدام زعرور - مستعد للزواج ؟ بدون صيغة ؟ الموت اهون .

لا خاتم (ترجع للنحيب) ولا اسوار !

ام ظريف - (منجبة) ولا حلق !

مدام زعرور - ولا كستاك ذهب !

ام ظريف - ولا ساعة !

مدام زعرور - ولا دبوس !

ام ظريف - ولا عقد !

مدام زعرور - زواج ابنتي مستحيل !

ام ظريف - وعدم زواج ابنتك مستحيل !

مدام زعرور - ما العمل يا ام ظريف ؟

ام ظريف - لماذا لا نجرب الغيرة ؟

مدام زعرور - ماذا تعنين ؟

ام ظريف - اسمي . الرجال خلقهم الله غيورين . قولي لوجيه

ان عابدة ستتزوج رجلاً - اي رجل - تربته يسحب

الحوام من بزر البطيخ والخلق من قشر الباذنجان .

(متذكرة) المرحوم زوجي رفض ان يدفع لأبي ليرتين

انكليزيتين مهري - حين علم ان لي طالباً ، دفع ليرتين

انكليزيتين وريال مجيدي .

مدام زعرور - (سكري بالاعجاب) الله ما اوfer عقلك ! لو ان

دماغك ترابة افرنجية «شمنتو» لكان رأسك اكبر من

معامل «شكا» . صحيح - الرجال غيورون . رحم

الله زوجي : ما فاتح ابي وامي بالزواج حتى ابتداء ابن

عمه يسهر عندنا . انما اي رجل نقول لوجيه انه

سيتزوج عابدة ؟

ام ظريف - اي رجل كان . (قرع على الباب الايسر) تفضل !

(يدخل الشيخ نسيب)

ام ظريف { (بعد ان تقبلا النظرات ذات المعنى) اهلاً وسهلاً! اهلاً
مدام زعرور

وسهلاً! تفضل . اجلس هنا ، على هذا المقعد .

الشيخ نسيب - (مستغرباً هذا التأهيل غير المنتظر) نهاركم سعيد .
الاستاذ وجيه ينتظرنى ؟

مدام زعرور { نحن ننتظرك .
ام ظريف

الشيخ نسيب - خير ان شاء الله!

مدام زعرور - هياتك ابن عائله، ابن اوادم . انت شاب، شريف،
مهذب ...

ام ظريف - ... انت اعزب ، اليس كذلك ؟

الشيخ نسيب - بلى انا اعزب .

مدام زعرور - اسمع يا ابني ، انا ارملة

ام ظريف - وانا ارملة

الشيخ نسيب - (مرتعبا) انالست طالب زواج ... في الوقت الحاضر

مدام زعرور - لم تفهم قصدنا . ابنتي . ابنتي ...

الشيخ نسيب - الله يرسل لها عريس . انا لا اطلب الزواج .

مدام زعرور - اسمح لي ان اشرح لك ...

الشيخ نسيب - اشرحي ما تريدن - بدون زواج .

ام ظريف - اصبري حتى اقول الابواب . [تقفل الباب الخلفي

والباب الايسر]

مدام زعرور - يا ابني . عندي ابنة اسمها عابدة . ابنة وحيدة ،

مهذبة ، جميلة ، عصرية ، تطبخ ، ترقص ، تغني ،
تلعب بيانو ...

الشيخ نسيب - الله يخليها ويرسل لها عريس - غيري .
مدام زعرور - صار لها مخطوبة لوجيه سبع سنوات .
الشيخ نسيب - (كن رمي عن كنفه حملاً) ، الحمد لله ! مخطوبة . شي جميل !
مدام زعرور - انما كلام الناس غير جميل . صرنا اضحكة وموضع
الجزء والسخرية . نريد ان نعتل الزواج . وجيه دائماً
يؤجل يوم العرس . نرجوك ان تتظاهر انك خطبت
عايدة . هكذا وجيه تلذعه الغيرة فنعتل بالزواج .
ارجوك بل اتوسل اليك . هكذا تكون عملت معي
معروفاً ، انا الارملة الشقية ، ومع صديقك وجيه .
احسبها دور تمثيل . احسبها مزحة ...

الشيخ نسيب - بعض مرات عاقبة المزاح وخيمة ...
ام ظريف - شاب مثلك وفي عمرك يخاف العواقب ؟
مدام زعرور - ارجوك ، اتوسل اليك (تنتحب)
الشيخ نسيب - طيب . سأنتظر . انما اذكرك ان المسألة هي
تمثيل فقط .

(صوت قرع من الباب الخلفي ووجيه يصيح : « افتحي يا ام
ظريف ، لماذا اقلقت الباب ؟ » ام ظريف تفتح الباب)

وجيه - (لابساً البطلون مكوياً كياً مضحكا . يخرج وهو يصلح من
ساقى البطلون) لا يفهم هندسة هذين الخططين الا
البروفسور آنتشين . (ينهض يبصره فيرى مدام زعرور

والشيخ نسيب) أهلاً بخالتي هدى! (يقبل يديها. هذه
تقف وقفة مقاتل) كيف حالك؟ ابن عايدة؟ كيف
حال عايدة؟

مدام زعرور - (كلامها مشدد ذو معنى) عايدة والحمد لله بالف واربعماية
وستين خير. ستكون هنا بعد قليل، تركتها عند
الحيطة.

وجيه - (متابعا) وانت يا الشيخ نسيب؟ أهلاً وسهلاً
بك. اشكرك لمجيئك. تفضلوا! (الشيخ نسيب يقتعد
كرسي العواد، ومدام زعرور الكنباية، ويجلس وجيه على
حافة الكنباية. ام ظريف كلها عيون، وآذان، تجلس قرب
آلة التلفون).

وجيه - (للشيخ نسيب) - بالطبع، لا بأس بفنجان قهوة؟
الشيخ نسيب - اشكرك. انا ممنوع عن القهوة.

ام ظريف - ووجيه ممنوع عن القهوة!

الشيخ نسيب - ارسلت في طلبي - خير ان شاء الله!

وجيه - يا شيخ نسيب؛ فهمت من مصدر حكومي عال
انك تعينت في الجمر.

الشيخ نسيب - (مدغذجا جيبه) نعم صدر الامر!

وجيه - لذلك سألتك ان تأتي الى هنا. اولاً لاهنتك
بالوظيفة...

الشيخ نسيب - اشكرك.

وجيه - ... وثانياً لاسألك ان تستعفي من الوظيفة.

الشيخ نسيب (مبهوتا) -- هاه؟!
وجيه -- اريد ان اخبرك اني انا كنت موعوداً بهـ هذه
الوظيفة . وان المرجع الحكومي العالي قال لي انك
اذا استعفيت انت ، يعطوني الوظيفة لي . انت فتى
تحب عائلتك؟!

الشيخ نسيب -- بالطبع احبّ عائلتي .
وجيه -- اذاً فاعلم انّ عائلتك في خطر . ان الناس بدأوا
يشمئزون من احتكاركم وظائف الحكومة . حذار !
حذار من الرأي العام ! من خلع القباصة عن عرش
موسكو ؟ الرأي العام . من طرد سلاطين بني عثمان ؟
الرأي العام . من اعدم لويس السادس عشر ؟ الرأي
العام . فياشيخ نسيب اريد ان اصارحك ان الرأي
العام بدأ يثور على عائلتكم !

الشيخ نسيب -- بلادنا ليس فيها رأي عام . ابن هو ؟ انا لا اراه .
وجيه -- خطر الرأي العام في انه لا يرى ، شبه الرصاصة لا
تراها حتى ولو خرقت رأسك . افتكّر ، تمعّن في
الامر . المسألة مسألة موت وحياة .

الشيخ نسيب -- سأسأل خالي . اذا اراد ان استعفي ، استعفي .
وجيه -- ثم انا استغرب ان فتى نجيباً مثلك يدفن نفسه في
الجمرك . بالطبع انت اديب ؟

الشيخ نسيب -- آ...
وجيه -- يعني انك تنظم الشعر وتجيد النثر ، وعندك

طموح ان تصبح اديباً كبيراً .

الشيخ نسيب - ... بالطبع !...

وجيه - هل سمعت بأديب توظف في جمرک ؟ امرؤ القيس

هل كان موظفاً في جمرک ؟ ابو العنابية ، حافظ

ابرهیم ، خليل مطران ، الفرزدق ، جرجي زيدان ،

هل توظفوا في الجمارک ؟ هل تريد ان تدفن عبقریتک

ونبوغک بين بالات الخام والعنبر کيس ؟

الشيخ نسيب - اسمح لي بسؤال . لماذا حضرتک راغب في هذه

الوظيفة ؟

وجيه - لأن الله خلقتني غيوراً على المصلحة العامة .

الشيخ نسيب - وانا ...

وجيه - انت ! في عمرک ! في نبوغک ! غامر ! هاجر ! من

أسس الهلال ، والمقتطف والاهرام والمقطّمْ ؟ فتیان

مثلک هاجروا . من جمع الثروات الکبرى في مشارق

الأرض وغاربها - فتیان في عمرک هاجروا . لم لا

تهاجر ؟ .

الشيخ نسيب - وحضرتک لم لا تهاجر ؟

وجيه - ان سافرنا کلّنا - من يبقى هنا لاستلام حوالات

المهاجرين ؟ آء يا الشيخ نسيب ، ان الغمار ، والهوى ،

تملاً الدنيا حيث ادرت عينیک - لو فتحت عينیک

(يأخذ جريدة عن الطاولة) خذ مثلاً هاتين الفتاتين

الاميرکيتين - هذه اللابسة قميص السباحة . شيء

جميل آه ؟ (يقرأ) : الآنسة نانسي كلارك كس ابنة
صاحب اكثر فبركة مسامير في اوهايو ، الولايات
المتحدة . وهذه اللائحة البنطلون (يقرأ) : الآنسة
اليزابت وُوكِر ابنة صاحب فبركة ملاعق في
« شيكاغو » . هما هنا في بيروت في لوكندة « زهرة
بيروت » . هل تعرف الانكليزية ؟

الشيخ نسيب - اتكلم الانكليزية .

وجيه - ماذا تنتظر ؟ اذهب الى اللوكندة . اقرع الباب
هكذا (مثلا) « نهارك سعيد يانانسي . أنا احبك » .

Good Morning Nancy - I love you .

الشيخ نسيب - (كمن يترن على تمثيل دور)

Good Morning Nancy - I love you .

وبعدها ماذا يصير ؟

وجيه - بعد ذلك تصير صاحب فبركة مسامير !

الشيخ نسيب - يا استاذ وجيه - بخصوص الاستعفاء ، ساستشير
خالي واخبرك . (مدام زعرور وام ظريف تومثان اليه ان
يخبر وجيه بالخطبة) . على ذكر فبركة المسامير احب ان
ان اخبرك انني خطبت .

وجيه - خطبت ؟ برافو ، ما اسم الخطيبة حتى ننشر الخبر
في الجرائد ؟

الشيخ نسيب - اسمها ... (ام ظريف و مدام زعرور تهجان الاسم صامتين)
اسمها عابدة .

وجيه - غريبة هذه الصدفة ! اسم خطيبتك عابدة ايضاً . امر
غريب !

الشيخ نسيب - الامر اغرب من هذا بكثير !

وجيه - !!?!

الشيخ نسيب - خطيبتك عابدة ، هي خطيبتك عابدة .

وجيه (فوار الفرح) - ما اجمل هذه الصدفة ! خالتي هدى ؟
(يقبل يدها ثانية) اهنتك . شباب ، وغنى ، ووظيفة ،
ومشيخة .

الشيخ نسيب - لا تصدق . هذا تمثيل ! هذه لعبة . مزاح . بخاطرك .
سأستشير خالي وارداً عليك الخبر بشأن الاستعفاء .
(على الباب لمدام زعرور) قلت لك ان عاقبة المزاح
وخيمة (مدام زعرور ترتجى بين ذراعي ام ظريف وتجهش
الانثتان بالبكاء)

وجيه - بعرضكم ! عندي دواء لكل داء ، الالبكاء النساء .
مدام زعرور - خربت بيتنا يا وجيه . صيرتنا اضحوكة بيروت .
ابنتي فتاة جميلة .

وجيه - اجمل من حوالة دولارات على National City Bank
مدام زعرور - ابنتي طلابها كثار .

وجيه - اكثر من طلاب الوظائف !

مدام زعرور - ابنتي فتاة مهيبة شريفة عفيفة نادرة !

وجيه - اندر بمن جمع قرش الفقير وسلمه للفقير .

مدام زعرور - يا لك من مجرم قاس . ان ابنتي هي روحي

واملي وحياتي ، انا ارملة ، وهي يتيمة . ولقد عضنا
الفقر وبرحت بنا الفاقة ، ولكن يد الدنس لم تلمس
عفافنا . وجيه ، انك تطعن ابنتي في شرفها وعرضها
اذ تطيل امد الزواج . ليت ابنتي عشقت جدياً ولم
تعشقتك !

وجيه — (في جد) اسمعي يا خالتي هدى . انت تعرفين اني
احب عايده . ان نفسي كثيبة تتستر بالعبث والدعابة
ولكنك أمّ جاثرة ، اذ تصرّين على المصاغ . اي علاقة
بين الحب والجواهر ؟ انا رجل فقير . من اين لي ثمن
مصاغ ؟ لن تزوج غداً . لن تزوج بعد هذا الظهر .
واتركي امر المصاغ لبعدهم الزواج . تتطلعين : خواتم ،
واساور ، وساعات ، وانا لا املك ثمن عقرب ساعة !
مدام زعرور — (ناجبة) يا ذلي ! زواج بلا مصاغ ؟ هذا مستحيل !
الموت افضل !

وجيه — (مؤاسياً) انظري يا خالتي هدى (ينتشل علبة صغيرة
مخلفة من الصحاره)

مدام زعرور — (يكاد يغى عليها) مصاغ !!
وجيه — علب للمصاغ . (يقرأ عن الحائط) هذه علبة لحاتم
الخطبة (كلما أظهر علبة تنظر مدام زعرور الى داخلها
وتصبح « فارغة ! ») هذه لحاتم الزواج . هذه خلقي
الكوكتيل . هذه لدبّوس البلاتين . هذه لاسوار
الاماس . هذه للبندنظيف . اليوم عندنا علب وغداً

نشتري مجوهرات !!

(يدخل خادم اللعّام)

- مسعود
- * - قبل ان تشتري مجوهرات ، ادفَع ثمن اللعّامات !
 - * (يدخل اللعّام توفيق ولهائه يكاد يطير سقّف الغرفة . يلبس لباس اللعّامين ، اذ يتدلى عن عيّنه سكين اللعّام الهائل وعن يساره المسن . يرتقي الى المقعد عيًّا ، ويتلفظ بكلام ناري غير مفهوم .
 - * هيئته مخيفة . مدام زعرور ترتعب وتلوح بمنديلها . ام ظريف تهاجم مسعود بالمكنسة فينهزم . ام ظريف ومدام زعرور تخفيان في الباب الخلفي)

وجيه

- (منفرّجاً) اهلاً وسهلاً بالعم توفيق . اسمح لي ان اتلفن . (يتقدم من التلفون بهدوء وبعد ان يطلب نمرة ٣٤ - ١٢ يتكلم هامساً) هلو ... امين ... اسمع امين ... تلفن لي مرة كل ربع ساعة . فهمت ؟ ان تلفنت ولم يجيبك احد ، اخبر البوليس ان هنا قتيلاً . قتل ، فهمت ؟ اخبرهم ان الاسباب مالمية . تلفن مرة كل ربع ساعة . بخاطرك (يقفل التلفون) كيف حال العم توفيق ؟

اللعّام

- حالي بالويل . يا استاذ وجيه (يأخذ من جيبه دفترًا) في الثلاثة الاشهر الاخيرة اشتريت مني ٤٣ رطل لحم و ١٤ اوقية ثمنها ١٢٥ ليرا و ١٤ قرشاً . (صائحاً) يا استاذ ! بالعربي الفصيح ، بالعربي الطويل ، بالعربي العريض ، بالعربي المبلطح ، ادفَع الحساب ! ..

وجيه

- بالطبع سأدفعه .

الحمام - صاحب بنك انا؟ أنا لست بصاحب بنك . مليونار
انا؟ ما انا مليونار . جعفر البرمكي انا؟ ما انا بجمعفر
البرمكي !

وجيه - انكرت الحساب انا؟ أنا ما انكرت الحساب .
الحمام - نحن ندفع ثمن البقر والحرفان بالنقدي . اجرة
الدكان بالنقدي . اجرة الخادم بالنقدي . حسابك
عمره ثلاثة شهور .

وجيه - ثلاثة شهور؟! ما اسرع مرور الايام ! كم عمرك
الآن يا عمي توفيق؟!

الحمام - (مفكراً) لما ماتت امراقي كان عمري ٤٧ . الآن
(بعد على اصابه) ٥١ . (حاتفاً) لماذا تسألني هذا
السؤال ؟

وجيه - لأنني قلق عليك . ما سبب هذا الالهاث ؟
الحمام - (مشيراً الى الخارج) الدرج . صار صعباً عليّ صعود
الدرج . (متذكراً متأمناً) راحت ايام الشباب !
وجيه - آه على ايام الشباب !

الحمام - (كمن تذكر امرأ) حسابك يا استاذ . حسابك لم يعد
في ايام الشباب . (ضاربا الدتر باصابه) لقد هرم
وطالت لحيتي وابيضت ...

وجيه - اتدري يا عمي توفيق ان الشيخوخة ليست بعدد
الايام؟! قل لي مثلاً اي شيء كنت تفعله في ايام
الشباب وتعجز عن فعله اليوم ؟

اللحام - (مقهياً) اي سؤال خبيث ! امور كثيرة اعجز

عن فعلها اليوم و كنت اقوى على فعلها في ايام الشباب !
- مثلاً ؟ وجيه

اللحام - مثلاً ؟! (يقهقه من جديد) مثلاً ... درج هذه السلم

في ايام الشباب ... كنت افقره كالارنبه ولا اتعب .
اليوم اتسلقه كالبطه . انظر إلي ... كيف اهت .

وجيه - (متشياً مفكراً) انا لا اقصد الامور الجسدية . الفتوة

في الروح . قل مثلاً في ايام شبابك كيف كنت
تعامل الخادmates في بيع اللحم ؟

اللحام - (ضاحكاً متذكراً) في ايام الشباب ... ان كانت

الخادمة حلوه اعطينها احسن اللحم ...
- وان كانت بشعة ... وجيه

اللحام - ... اعطينتها الجلد والعظام .

وجيه - مثلاً في ايام الشباب ، لو عجز زبون عن دفع

حسابه ، ماذا كنت تفعل معه ؟

اللحام - كنت اقول له بوجهه « الله يساحك » ومتى أدار

ظهره ، العن دين أب خال اخت عم جد خالة صهرامه .

اما اليوم (متهدداً) فاني من اجل عشرة قروش اقتل
٢١ رجلاً .

وجيه - عمي توفيق ! سر الفتوة هو ان تفعل في كهولتك

ما كنت تفعله في ايام شبابك . تقهر المال ان كان

المال يقتل فتوتك ويجعل منك رجلاً شيخاً وانت في

الحسين ، قل لي « الله يسأحك بالحساب » تر كيف
تشد عضلاتك وتلمع عيناك وتخضر الدنيا وتشع .

— (مشدوهاً) ها ؟!

اللحام

— اخرج هذا السم من جهاز روحك . قل « الله
يسأحك بالحساب » ... قلها لا تخف .

وجيه

— (بصوت خافت) الله ... يسأحك بالحساب .

اللحام

— اعدّها !

وجيه

(اللحام يعيد العبارة وكل مرة بصوت أعلى من مرة ثم هو يجس
عضلات ذراعيه ويعرض ب صدره ويبتسم)

— ها انك اكتشفت سر الخلود . لقد صار الانسان

وجيه

وحشاً يعبد نفسه ونسي الحب والتسامح والحلم . خذ

هذه الرسالة وبشر بها في هذا الوطن . ارجع الى

دكانتك ، واعطِ اللحم للجميلات ، وبع العظم والجلد

للقبيحات . قل للناس اعطوا ... ساعوا ... هكذا

تبقون قتياناً . اعطوا ! ساعوا ! (يصفق كعلم الرياضة

واحد ... اثنين ... ثلاثة) اعطوا ، ساعوا ! واحد ..

اثنين ... ثلاثة ... الله ... يسأحك ... بالحساب .

(اللحام في سكرة روحية يقوم بالعب جيمناستكية على وقع

تصفيق وجيه وتغنيه . التلفون يرن . حيناً يدير هذا ظهره ،

يمشي اللحام نحو الباب الأيسر ثم ينهال بالشتائم مطلقاً ايها نحو

وجيه ، بحيث لا تسمع النظارة تلك الشتائم ولكنهم يفهمون

انه يفوه بها . اللحام ينصرف)

— (على التلفون) لا يوجد قتيل بعد ، انما داوم على التلفنة

وجيه

مرة كل ربع ساعة . (الى ام ظريف ومدام زعرور وقد

ظهرتا في الباب الخلفي) اين العم توفيق ؟

ام ظريف — سافر ...

(وجهه يسرع الى الباب الخلفي فيقفله بعنف)

وجهه (الى ام ظريف) — لا تفتحي لأحد حتى نعرف من هو . الحمد

لله .. هذا حساب وفينا ! (يتمدد على المقعد المثلث)

وجهه — (يخاطب ام ظريف بالإشارة ان تسأل من الطارق)

ام ظريف — من انت ؟

صوت من الخارج — انا الاستاذ الكعب بن الحميد
الطهنشاوي .

وجهه — (يمثل ان مصيبة وقعت على رأسه ويشير الى ام ظريف ان

تقول للطارق انه غير موجود)

ام ظريف — وجهه في البلد .

الصوت — هلاً فتحت الباب سيدتي ؟ !

مكوت —

الصوت (بعد سماع قرع على الباب) هلاً فتحت الباب سيدتي

فاني لتارك لوجه رسالة .

(وجهه يهرب من الباب الخلفي آخذاً معه السكين الكبير ومهدداً

ام ظريف بأنه يقتلها ان افشت سر وجوده في الداخل . ام ظريف

تفتح الباب فيدخل الكعب)

الكعب — عمّا صباحاً يا سيدتي القعرتين . (يدير نظره في الغرفة)

يا بهجة العيد ! يا لها من حجرة ولا قصور الزهراء او

الجمراء . واني يا سيدتي في غدي الى بغداد ظاعن .

ام ظريف - لا تؤاخذني انا لا اعرف فرنساوي .

الكعب - (ضاحكاً) يا بهجة العيد ! وانه لزام عليّ ان اكل الى حضرتكما هذه الاخطوطة - يجوز ان يقال مخطوطة انما الاصح ان يقال اخطوطة . لقد وعدني الاستاذ وجيه بان يجد لها ممولا ينشرها ، يجوز ان يقال رأسالي انما الاصح ان يقال ممول . يا بهجة العيد ! (يضع نظارته على انفه ويتكلم فيما هو ينتشل مخطوطات هائلة) استقراء مخضوضر مزبطر . (يقلب المخطوطات) الجزء الاول : امرؤ القيس ، اسمه وكنيته . الجزء الثاني ، في ان حقيقة امرئ القيس هو « جيدج » . يا بهجة العيد ! الجزء الثالث « في ان امرأ القيس لم يكن اسمه جيدج بل جيدج » . الجزء الرابع « سر الاسرار ودعش الاخبار في حقيقة امرئ القيس » . سيدتي ، ان في هذه الاخطوطة ما لم يره ابن بطوطة . هنا سر الاسرار ، وسفر الاسفار . ان هذا المؤلف يجيء ببرهان حنطفوش قاطع ان امرأ القيس لم يكن اسمه جيدج ولا جيدج . ان امرأ القيس كان اسمه امرأ القيس .

مدام زعرور {
ام ظريف { يا بهجة العيد !

الاستاذ - (يسلمها المخطوطات) سيدتي ! وهل لي ان اسألكما

عن فتى بافع غص الاهاب ، اسمه الشيخ نسيب وهاب ،
تراه مرة بهذه الدار ؟!

مدام زعرور - (تربه الجريدة) تقدر ان تراه في هذه اللو كندة .

الاستاذ - يقال فتدق ولا يجوز ان يقال لو كندة ..
(يدخل حيمور) - نهاركم سعيد .

الاستاذ - عم صابماً سيدي (مقدما يده) انا الاستاذ الكعب
بن الحميد الطهناوي .

حيمور - انا نايف حيمور مهاجر عائد من غرانيلا .

الاستاذ - يجوز ان يقال مهاجر انما الاصح ان يقال مغترب ..
ألا روى الغيث ضريح الشاعر اذ قال :

يضي ولا حلية الا عزيمته

وينثني وحلاه المجد والمال

(يعيد « والمال »)

ام ظريف - يا حضرة الاستاذ ، لقد فلقنتني !

الاستاذ - (على الباب منصرفاً) يجوز ان يقال فلقنتني ، انما
الأصح ان يقال فججنتني . لان فعل فجج ورد في
مقامات الحريري ، اما فعل « فلق » فانه ماورد في مقامات
الحريري . عتم صباحاً (ينصرف)

(يطل وجهه من الباب الخلفي فيأكد ان الاستاذ رحل)

وجهه - أو ... و ... ف . ز ين حضرتك ؟

نايف حيمور - ارساني اليك صاحب جريدة « نهضة الفجر » .

وجهه - حضرتك نايف افندي حيمور ؟

نايف - سي سنيور !
 وجيه - رجعت من « غرانبلا » في الاسبوع الماضي .
 نايف - سي سنيور !
 وجيه - بعد غياب ٣٤ سنة ؟
 نايف - سي سنيور !
 وجيه - (بلهجة خطابية) ان المهاجرين هم سواعدنا ، وآمالنا ،
 والجزء المتمم لوطننا . فيهم قوانا وعليهم اعتمادنا .
 « يمضي ولا حلية الا عزيمته وبشني وحلاه المجد والمال »
 (يعيد « المال »)

وجيه - سي سنيور !
 نايف - سي سنيور !
 وجيه - (يفتش بين اوراقه في منتصف الصحاره عن اوراق منها
 جريدة كلها بيضاء الا صورة وبضعة اسطر مطبوعة)
 وجيه - هذه صورتك . ستظهر في الصفحة الاولى . وهذا
 ما سيظهر تحتها (يقرأ) « عاد من المهجر بعد نيف
 وثلاثة عقود ، المهاجر الكبير نايف افندي حيمور مثقالاً
 بثمار جهاده . وسيستقر في مسقط رأسه بلدة « عين
 الخروب » . شي جميل هاه ؟! اعتقد ان ٣٠٠ ليرا
 تبرع كافية . هنا مكنتني (مشيراً الى الغرفة) مكتب
 دعاية . كل شي غالي ، هذه الايام . خذ اجار هذه
 الغرفة ، اتدري كم هو اجار هذه الغرفة ؟
 نايف - 'نو سنيور !

- وجيه - لو اخبرتكَ لا تصدق .
- نايف - (متأملاً في الرسم) أحب ان يظهر اسمي في
الاسبنيولية . نايف جيمور في العربي هو
Nicola Hayme بالسبنيولي . هل يمكنكم الطبع
بالسبنيولي ؟
- وجيه - سي سنيور !
(صنت)
- وجيه - مسألة الثلاثية ليرا...؟! -
- نايف - يا استاذ وجيه ، هذه الصورة ، وهذا الكلام -
شيء جميل . انما هذا امر عادي . كل مهاجر يعود ،
تنشر صورته ويقال عنه انه مهاجر كبير . الذي
اريد هو لقب .
- وجيه - نايف بك ؟
- نايف - نو سنيور !
- وجيه - الشيخ نايف ؟
- نايف - نو سنيور !
- وجيه - الامير نايف ؟!
- نايف }
وجيه } نو سنيور !
- نايف - (يفتح حقيبته ويأخذ منها ورقة) اسمع ! في بلادنا
(يقرأ من الورقة) ١٢٣،٥١٤ امير ، ٨٧،٦٤٣ بك ،
٢٢٤،٥١١ شيخ . انما لا أريد مثل هذه الالقاب .

اريد لقباً - مثل امير الشعراء يعرف انه شوقي -
شاعر القطرين ، يعرف انه خليل مطران . اريد
هكذا لقباً .

وجيه - ما رأيك باسم « الحيمور الأكبر » ؟ (نايف يشتر) وجيه
بالطبع هذا لا يوافق . اسمع . انت تنظم الشعر
بالطبع ؟ . اسمعني شيئاً من نظمك .
نايف (بدلال) - حينما أرسلت صورتي لحالي شاهينة كتبت نايف
تحتها بيتين :

اهدي اليك صورتي يا خالتي يا رجوتي
من بعد هذي الغربة قلبي يحن للرجعة
- جميل ! جميل ! بديع . انت من « عين وجيه
الحروب » واسمك بلبل « عين الحروب » !
- لا بلبل ولا حسون (يقرأ من الورقة) يوجد في نايف
بلادنا ٨٤١١ بلبل و ٦٤١٥ حسون . اريد شيئاً غير
اعتيادي . (بعد صمت وتفكير يتطلع الواحد بالثاني)

نايف {
وجيه

وجيه - الم تشغل بالامور الوطنية ؟
نايف - نعم وقعت بوقية احتجاج على الصهيونية ، وتبرعت
بثلاثة دولارات للمكتب العربي في نيويورك .
وجيه - لنسّمك « المجاهد الاكبر » او « ملك المحسنين » !

- نايف } نو سنيور !
وجيه
- (بعد تفكير وحك رأس وصمت)
وجيه - في « عين الحروب » يوجد مدرسة ؟
نايف - مدرسة عظيمة فيها ٥٦ تلميذاً .
وجيه - (كمن اكتشف امرأ عظيماً) نطلق على المدرسة اسم
« الجامعة الحروبية » ، والجامعة الحروبية تمنحك لقب
دكتوراه - دكتور جيمور ... اسمح لي ان اكون
اول المهنيين .
نايف - اشكرك . اشكرك .
وجيه - دكتور جيمور !
نايف - اشكرك (ثم تراخى ابتسامته الى عبوسة ويصبح)
'نو سنيور !
وجيه - ولماذا ؟
نايف - دكتور ؟! ربما يفتكروني طبيب بيطري ...
وجيه - لماذا لا تشرح نفسك للنيابة ؟
نايف - ما الفائدة ؟ سأخسر بدون ريب .
وجيه - تشرح نفسك للنيابة ثم تخسر ، وبصير لقبك
« المرشح للنيابة سابقاً » .
(نايف يظهر اسمه ترازه) .
وجيه - اسمع . ألم يولّغ معك الغرام ولا مرة في حياتك ؟
نايف - (متذكراً ضاحكاً) بلى . ولّغ الغرام معي مرة .

- وجيهه — وماذا كان اسمها ؟
- نايفه — 'تو' ما صا Tomasa .
- وجيهه — ما قولك بمجنون 'تو' ما صا Tomasa مثل « مجنون ليلى » ؟
- نايفه (يظهر اشمزازة)
- وجيهه — نو سنيور !
- وجيهه (اشرق وجهه وانفعل حماساً كمن حل معضلة) وجدتها !
- وجدتها ! نسيميك « نابغة النوابع » ...
- نايفه — (باباء وكبر وغضب) ما هذه الالهانة يا استاذ وجيهه ؟
- هل دعوتني الى بيتك حتى تحقرني ؟! ابن عمي اسعد حيمور دكانه ببايين سمته جرائد المهجر « عبقر العباقره » وانا دكاني بستة ابواب وتريد ان تسميني « نابغة النوابع » فقط ؟!
- وجيهه — (مراضياً) لا تؤاخذني يا اخي . الذنب ذنبي . حين لا اشرب القهوة في الصباح تخمل قريحتي .
- نايفه — ولماذا لم تشرب القهوة ؟
- وجيهه — (مشيراً الى الداخل) لاني ممنوع عن القهوة ! طبعاً لقب « نابغة النوابع » غير موافق ، ولكنك لو ذكرت لي سيرة غمارك في المهجر — في غرانيلا — ربما استوحيت لك لقباً موافقاً . ذكرت ان دكانك كان بستة ابواب . اخبرني كيف جمعت هذه الثروة ؟
- نايفه — والله يا استاذ وجيهه ، لما وصلت الى غرانيلا كان

لي خال في العاصمة - سائتاً كروز - عاصمة غرانيلا .
فتح لي دكاناً في البرّ في بلدة اسمها « سائتاً آنا » -
وكان خالي يرسل لي مجوهرات ، صيغة . الكلام بيني
وبينك كانت الصيغة مقلّدة . كنت جمعت ثروة
عظيمة لولا غلطة . كان الشغل جيداً والارباح واهية .
كان خالي يقبّد عليّ كروس الخواتم باربعة دولارات ،
وكنا نبيع الخاتم الواحد باربعة دولارات .

وجيه - تشتري الكروس باربعة دولارات ، وتبيع الخاتم
باربعة دولارات ؟ ! هذه تجارة غائقة .

نايف - تجارة غائقة لولا تلك المصيبة .

وجيه - اي مصيبة ؟

نايف - كنت ادفع لخالي على حساب الكروس ١٢ خاتماً
ولم اعرف ان الكروس ١٢ دزينة خواتم .

وجيه - وخالك ، الم يحاسبك بالفرق ؟

نايف - يا استاذ وجيه - في التجارة الحال لا يعرف ابن

اخته . بلي كانت طيبة تلك البلاد - كم بعنا من
خواتم كذّابة ، ذهبها نحاس ، والماسها زجاج ،
واساور وساعات مزيفة . (متهدأ) التجارة يا استاذ
وجيه تحتاج الى مقدرة .

وجيه - الظاهر هكذا .

نايف - ما كنت رجعت لهذه البلاد لولا حكومة غرانيلا .
الله يلعن تلك الحكومة راحوا انتخبوا رئيساً

للجمهورية شاباً متحمساً . أتدري ماذا فعل ؟ الله
يلعنه ! الله يلعنه !

وجيه — ماذا فعل ؟

نايف — ففتح في كل بلد مدرسة .

وجيه } الله يلعنه !

نايف

نايف — فحملت مجوهراتي واقفلت دكاني ورجعت الى
« عين الحرّوب » .

وجيه — يعني جلبت مجوهراتك معك ؟

نايف — نعم (يفتح الحقيبة ويناول وجيه الكثير من الحلوى
والساعات والحوام)

وجيه — هل تقدر ان تبيعها هنا ؟

نايف — هنا لا يشتريها احد . لذلك انا افرقها هدايا .

تفضل يا استاذ خذ منها ما تشاء . هدية مني .

وجيه — اشكرك . اشكرك . سانتقي كم قطعة .

(كلما انتقى قطعة يسير بها نحو الحائط حيث كتبت قائمة المصاغ)

ثم يرجع ويأخذ سواها . نايف يقفل حقيبته ويتبأ للرحيل .

وجيه يرجع الى نايف (يلزميني ساعة يد نسائية .

نايف — تكرم . هذه كنا نشتريها بالكيلو (يعطيه ساعة) .

وجيه — يا نايف ، ان سيرة حياتك أوحى لي اللقب الذي

يليق بك . انت عصامي . أعترف ما هو لقبك ؟

نايف — صار لنا ساعة نفتش عليه .

- وجيهه - انت لا تريد لقباً عادياً . انا لا الوملك . بلادنا كلها
- امير ، بك ، شيخ ، باشا ، مقدم ، افندي ، خواجه ،
- امير الشعر ، امير الزجل ، عميد المهاجرين ، المجاهد
- الاكبر ، حسون ، بلبل ، بطل الابطال ، الوطني
- العظيم ، العبقري ، النابغة ، العلامة ، المهذب الاعظم ،
- لقبك انت هو اسمك المجرد .
- نايف - صحيح ؟
- وجيهه - هكذا تكون الشخص الوحيد في هذه البلاد
- الذي ليس له لقب . لقبك نايف حيمور .
- نايف - (فرحاً) لقبى نايف حيمور !!
- وجيهه - اسمك نايف حيمور فقط لا غير .
- نايف - اسمي نايف حيمور فقط لا غير .
- وجيهه - سنذيع هذا الخبر في الجرائد وعلى الراديو ...
- (نايف يفتح حقيبه)
- نايف - ثلاثمائة ليرا تكفي ؟
- (ام غلريف تظهر في الباب الخلفي)
- وجيهه - كل شيء غالٍ هذه الايام . اتعرف كم ادفع اجار
- هذه الغرفة ؟ اتدري كم ثمن كيلو اللحم ؟ اتعرف كم
- يكلف فنجان القهوة ؟
- نايف - صحيح كل شيء غالٍ (يسحب دفتر الشكاك ويكتب)
- هذا التشاك بنحسماية ليرا .
- وجيهه - كثير الله خيرك (نايف يناول التشاك لوجيه فيمد هذا

يدله ليأخذه . نايف يسترجع التشاك بغضب ويزقه)
 نايف — 'نوسنيور . انت عملت معي معروفاً كبيراً ولن
 ادفع لك ثمنه . هكذا تصبح الشخص الوحيد في هذه
 البلاد الذي عمل معروفاً ولم يقبض ثمنه . بخاطرك .
 (حينما يصبح على الباب) واشكرك جداً (Gracías Senôr)
 (ينصرف) .

وجيه — عبث . عبث . بدون قهوة كل شيء باطل .
 (يتذكر امرأاً فيأخذ قطع الصيغة ويضع كل قطعة في علبة
 ضاحكاً مترنماً — عاش تعساً .. ترجع ام ظريف ومدام زعرور
 فيتظاهرن كأنه بوغت وهو في عمل سري)
 ام ظريف — هل سافر النوسنيور ؟
 مدام زعرور — ما هذا ؟

وجيه — آه يا خالتي ام هدى . كنت اريد ان اريك هذه
 الجواهر متى وصلت عابدة . فلماذا فاجأتني ؟

مدام زعرور — (تفتح علبة) يا ماما . الماس يا ماما (تفتح علبة ثانية)
 يا ماما ! بلاتين يا ماما ! (تفتح علبة ثالثة) يا ماما ذهب !
 ذهب عيار ٢٤ (تهجم على وجيه فقبله) يا ابني عفوك
 عني . يا فخري . يا ولدي . يا صهري . عابدة ستجن
 بهذا المصاغ . (تتخاطب ام ظريف التي اقتربت لترى) انت
 لا تعرفين بالصيغة . انا ابنة سوق المجوهرات . وجيه
 لا تخبرني كم دفعت . اتركني لوحدي اثنى . الماس !
 هذا ازرق ابيض . قطعة نظيفة اللون ، بديعة .
 (متفلسة به) لا . لا . خال من كل سقط . اربعة

قراريط الحاتم . الحلق والاسوار سبعة . سبعة

واربعة = احد عشر . والساعة ؟! وجيه لقد دفعت

ثمن هذا المصاغ اربعة عشر الف ليرا . مضبوط ؟

وجيه - الصانع صاحبي . اعطاني اياها ارخص بكثير .

مدام زعرور - انا كل يوم في سوق الصباغ . افحص وادرس

وأسأل عن الاسعار . بكم اشتريت هذا المصاغ ؟

وجيه - الصحيح ، خالتي هدى ، دفعت ثمنه تسعة آلاف ليرا .

مدام زعرور - ما ارخصه !

ام ظريف - ما ارخصه ؟! كل جواهر الارض لا تسوى رطل

بندوره .

مدام زعرور - انت يا ام ظريف لا تفهمين قيمة الصيغة ، ولا

اهمية المصاغ .

وجيه - ما رأيك بفنجان قهوة يا ام ظريف ؟

ام ظريف - تصرف الوف الليرات على على ... هذه

الزبالة ، وتطلب مني فنجان قهوة ، واجار الغرفة ناثم

منذ خمسة عشر شهراً ؟

وجيه - هذه بصة النار التي فجّرت مستودع الديناميت

الآن - هذه الساعة - اعلن الثورة . ام ظريف : هذه

الغرفة بوسم الاجار . لقد خسرت مستأجراً .

(يكمل لبس ثيابه)

مدام زعرور - كيف تتوكل هذه الغرفة ؟ ألم تسمع بازمة البيوت

يا ... يا ... مجنون ؟!

وجيه - هذا عينا . كلنا عقلاء . هذا الوطن لن يسعد إلا
ممن كثرت بجانبه . ما أنا بالرجل الشريف أنت
خضعت لاستبداد أم ظريف .

مدام زعرور - وعابدة ؟ عابدة ستكون هنا بعد قليل .
وجيه - قولي لها ان تنتظري .

مدام زعرور - ولكن ، أنت ذاهب الى أين ؟
وجيه - الى القصر ، أو الى الياخور . الى حيث يسكنون
القهوة في الطناجر . الى حيث لا أرى أم ظريف .
(يريد الانصراف من النافذة التي الى عين النظارة)

مدام زعرور - (مشيرة الى الباب الايسر) الدرج هناك .
وجيه - سأخرج من النافذة . كل عمري ادخل البيوت
واخرج منها من طريق الباب . من الان فصاعداً
سأدخل البيوت من نوافذها . سأمشي على رأسي
واتفرس بالناس مغمض العينين . سأقبل البشر بقبضي
وأدغدغهم بقدمي . (قرب النافذة) سأترق أطفالاً
مشوبة والعب فوتبول بالقنابل الذرية (يقفز من النافذة .
أم ظريف ومدام زعرور تبقيان صامتتين . يرن التلفون فتنهض
اليه أم ظريف متممة مثاقلة)

أم ظريف - (الساعا الى اذنها) هاه ...! هلهو؟؟ رجعت نحكي
فرنساوي يا ملعون ؟! (تقتلع الشريط الذي يربط التلفون
بالحائط وترمي بالتلفون والشريط الى الارض . أم ظريف صامتة
غضبي . مدام زعرور تتطلع بالصيغة معجبة) .
مدام زعرور - (خلال هذه المحادثة تجرب الصيغة معجبة امام المرأة ، على

زندھا ، واذنہا واصابعہا) لقد كنتِ قاسية على وجہہ .
ربما لا يعود .

ام ظریف — لا يعود ؟ لا تخافي . هو يمثل هذا الدور كل يوم .
صدقت راح بفتش على غرفة ؟ راح بشرب قهوة عند
« صالون جعفر » . الذي لا افہمہ هو كيف قدر ان
يدفع تسعة آلاف ليرا ؟

مدام زعرور — هذا الغرام . ألم تسمعي بالحلب . سبحان من خلقتك
يا ام ظریف ، لا بالمجوهرات تفہمين ، ولا بالحلب
تؤمنين . حضري لوجہہ فنجان قهوة . أليس
عندك بن ؟

ام ظریف — عندي بن . الذي ينقصني هو الفحيم .
مدام زعرور — (مشيرة الى مخطوطة امريء القيس) عندك ورق
كثير ؟

ام ظریف — صدقت (تأخذ المخطوطات وتسير الى الباب الخلفي واذ
تبلغہ تخاطب مدام زعرور مقلدة الاستاذ) يجوز ان يقال
مخطوطة ، انما الاصح ان يقال اخطوطة ! (تخفي) .
(مدام زعرور تستمر في تقلبيها المجوهرات والاعجاب بها .
تتغنى باغنية افرنجية ، ثم تنفض اذ تسمع نحنة خلفها ، هي نحنة
نايف حيمور)

نايف — اريد ان اكلم الاستاذ وجہہ بامر هام ، هام جداً .
مدام زعرور — (لم تسمع ما قال) رعبتني !
نايف — الاستاذ وجہہ ، بالطبع تعرفينه ؟

مدام زعرور - الأستاذ وجيه سيصير صهري • هو مجنون بفراغ
ابنتي . لما سمع ان غيره يطلب يدها هددنا بالانتحار .
انت تنظر الى هذه الغرفة الحقيبة ، فتظن ان وجيه هو
فقيه . وجيه متواضع . حيناً قلت له اريد مصاغاً لابنتي
(تطلق باصبعها) لبيك عبدك بين يديك - انظر ماذا
اشترى . كل هذا المصاغ بتسعة الاف ليرا فقط .
من يصدق ؟ من يصدق ؟

نايف - ياسنيوره ، انا صانع . اسمحي لي ان افحص هذه
الجواهر .

مدام زعرور - صحيح انك صانع ؟ ما اكبر حظي ! ثمّنها لي .
(تعطيه قطعة قطعة ، وهي خلال ذلك مندفعة في الحديث
ونايف يفحصها بتأن . اخيراً يأخذ من حقيته منظار الصائغين ،
فيفحص الجواهر ، والمنظار على عينه اليمنى ثم اليسرى ، ويهليل
النظر في العلب المخملية) . أرايت حجر هذا الخاتم
ألاحظت بياضه المزرق ؟ الساعة هل فتحتها ؟ هل
عددت جواهرها الواحدة والعشرين ؟ والاسوار !
مثل هذا البلاتين لا يصنع الا في أمستردام . ألاحظت
ان قصّ هذه الاحجار هو قصّ لندن ؟ كم ثمّنها
في رأيك ؟

نايف - ياسنيوره ، هذا المصاغ يساوي ثروة . اعتقد انه
يساوي لا أقل من ثلاثين الف باسو peso !

مدام زعرور - باسو ؟ ما هو ال peso ؟ عملة بطلت ان شاء الله ؟ !

نايف - (يحب على اصابه العشرة) 'نو سنيورة . ثلاثون الف

باسو peso يعني خمسة واربعين الف ليرا .

مدام زعرور - وجيه دفع ثمنها تسعة ! تسعة آلاف ليرا فقط !

نايف - وكيف قدر يشتريها بهذا الرخص ؟

مدام زعرور - اشتواها من صديق له .

نايف - يا سنيوره ، في التجارة لا الصديق يعرف صديقه ، ولا

الحال يعرف ابن اخته . الظاهر اشتواها من ...

من ... حمار لا يعرف قيمة الجواهر . (بعد الابتكار)

يا سنيوره ، أنا رجل تاجر .

مدام زعرور - انت اكبر قدر .

نايف - لي اقتراح عليك . هذا المصاغ رأسماله تسعة آلاف .

أنا اشتريه بخمسة عشر . أعطي وجيه التسعة ، وليذهب

الى صديقه فيشتري المصاغ مرة ثانية ، هكذا تعملين

صفقة تجارية .

مدام زعرور - أنا لا اريد عمل صفقة تجارية ، اريد مصاغاً لابنتي .

نايف - قلت لك ان وجيه يشتري المصاغ مرة ثانية .

مدام زعرور - لو فرضنا اشترينا المصاغ مرة ثانية فماذا نفعل

بالصفقة التجارية ؟

نايف - الصفقة التجارية معناها انك تشتري المصاغ من

جديد ، وتربحين ستة آلاف ليرا ، فيبقى المصاغ معك .

مدام زعرور - اذا كان هذا صحيحاً ، فاعطني ستة آلاف ليرا ،

وابقى المصاغ معي ، وخذ أنت الصفقة التجارية . نحن

لم ندخل المدارس ولم نهجر ، ولكن يجب ان نفهم انني
لست بامرأة جاهلة .

نايف - يا سنبوره . صدقت انك لا تفهمين بالتجارة .
اعرض عليك ربيع ستة آلاف ليرا فتوفضين ، بخاطرك
(يدبر ظهره لينصرف) .

مدام زعرور - على مهلك . أين الفلوس ؟

نايف - (يفتح الحقيبة) هنا . (يأخذ دفتر التشفكات ويربها اياه)
مدام زعرور - أنا لا أرى الفلوس .

نايف - هذا دفتر التشفكات . اعطيك تشاك بخمسة عشر
الف ليرا فيدفعه لك البنك .

مدام زعرور - واذا لم يدفع البنك ؟

نايف - البنك مجبور أن يدفع .

مدام زعرور - لماذا ؟

نايف - لأن فلوسي عنده .

مدام زعرور - ولماذا تسلّم فلوسك للبنك ؟

نايف - كل الناس يضعون فلوسهم في البنك . حضرتك
يا سنبوره اين تضعين فلوسك ؟

مدام زعرور - اذا كان معي فلوس قليلة ، أضعها في جزداني . اذا
كان معي فلوس كثيرة أضعها في كلساتي . اما اذا
كان معي فلوس كثيرة كثيرة ، - آ ، لن اخبرك أين
أضعها ... خلاصة الحديث ، ادفع لي عملة ، فاعطيك
المصاغ .

نايف - طيّب سأدفع لك عملة . كنت مهبطاً هذا المبلغ
لأخذه معي للجبل لشراء كرم زيتون . (يأخذ
كدسات فلوس من الحقيبة) تفضلي . انما ما دمت تصرّين
على استلام نقد فاني أصرّ على ان تعطيني خصم عشرة
بالمئة .

مدام زعرور - اذا اعطيتك خصم عشرة بالمئة ، يا دلي ، شو يبقالي ؟
نايف - يبقى لك ١٣٥٠٠ ليرا ، مبلغ كبير .

مدام زعرور - صار معي وجع راس من هذه الصفقة التجارية .
الآن افهم لماذا بعض الاحيان التاجر ينتحر .

نايف - (يعطيها الفلوس ويأخذ المجوهرات) بخاطرك يا سنيوره .
سازور الاستاذ وجيه بعد رجوعي من الجبل .
(على الباب) الله يعوّض عليك (ينصرف) .

مدام زعرور - الله يبارك لك . (تخرى قليلا من الفلوس في جزدانها
وشيئاً في كسلتها ، ثم تبدأ بعمل خزامها اذ ترجع ام ظريف) .

ام ظريف - القهوة ابتدأت بالغليان . ما هذا ؟ ما تفعلين ؟
مدام زعرور - هذه تجارة .. بيعت المصاغ .

ام ظريف - يا ربي تنجيننا !

مدام زعرور - علاّئك يا ام ظريف انك لا تفهمين : لا بالمجوهرات
ولا الغراميات ، ولا التجارات .

(فيما هي تفك تنورتها ، يباغتها اللحام ، فنصرخ وترجع باق
الفلوس الى جزدانها)

اللحام - اين حبيب القلب وجيه ؟ هذه هدية له .

- أم ظريف - من انت ؟
 اللّحّام - انا اللّحّام توفيق - أنسيتني ؟
 أم ظريف - اين شواربك ؟
 اللّحّام - راحت مع ذنوبي . يا أم ظريف : صرت امرء . رجعت الى الصبا . طلعت الدرج بقفزين . (يقوم بالغاب بهلوانية)
 آه ما أجمل الشباب !
 مدام زعرور - كيف رجعت الى الصبا ؟
 اللّحّام - شربت دواء كريهاً .
 أم ظريف - ذوقني اياه ، ولو كان اكره من زيت الخروع .
 مدام زعرور - أعطني منه قنينة . اعطني خمس عشرة قنينة ، ادفع لك ثمن القنينة الف ليرا ، واعطيك عشرة بالمئة خصم وصفقة تجارية .
 أم ظريف - هذا الدواء للرجال فقط ؟
 اللّحّام - هذا الدواء هو للرجال وللنساء . ليس له ثمن ولا يوضع بقناني (بلهجة خطائية) اغسلوا ارواحكم ترجعوا الى الصبا .
 أم ظريف - (بدأت تفك اعالي ازرار فستانها) أنا أريد أن اغسل رجلي وأرجع الى الصبا .
 اللّحّام - تريدن ان ترجعي الى الشباب ؟
 أم ظريف - بالطبع .
 اللّحّام - هل لك على احد دين ؟
 أم ظريف - اجار خمسة عشر شهراً على وجهه .

اللحّام - (يوقفها وقفة عسكرية عنيتية) افعل كما افعل ، وردّدي
الكلام من بعدي : الله يسأحك بالحساب . واحد اثنين
ثلاثة ...

(تردد هذه التمارين بضع مرات ، فتبدأ في ضعف ثم تشتد
عضلاتها شيئاً فشيئاً ، وتقوى لهجتها ، وفي آخر الامر رقص في
غنج ودلال وترتمي على المقعد مغنية « الهوى والشباب »
مدام زعرور - الان دوري (تقف وقفة عسكرية) اعطني تمريناً .

اللحّام - هل لك دين على أحد ؟

مدام زعرور - لا

اللحّام - هل عملت عملاً قبيحاً ؟

مدام زعرور - ... ع ... م .

اللحّام - قولي ما هو .

مدام زعرور - امام الناس ؟ لا أبوح بشيء امام الناس .

اللحّام - اذا فابقي عجوزاً كل حيائك - عجوزاً شمتاء .

ام ظريف - صارحي الناس بما افترفت يا مدام زعرور ! اخبرهم

عن آثامك ، ولو انها افطع الجرائم . آه ما اجمل الصبا !

اني اشعر بسحر الفتوة ودبيب الغرام .

(تغني « يا حبيبي اكلمنا للهوى مكان »)

مدام زعرور - لقد بعث مصاغ ابنتي .

اللحّام - واحد ... اثنين ... ثلاثة ... اربعة .

أنغي ... البيعة ... ردّي ... المصاغ .

(يعيدانها بضع مرات)

اللحّام - والآن كيف تشعرين ؟

مدام زعرور - اشعر كأنني عصفور في جنائن بعلبك . ولكني
بدون جناحين .

اللحّام - هل اقترفت جريمة ثانية ؟

مدام زعرور - لا ...

اللحّام - هل انت متعصبة لعقيدة هوجاء ؟

مدام زعرور - لا ... انا لست متعصبة ، ولكني لن ازوج ابنتي
بدون مصاغ .

اللحّام - آآ.. فهمنا . (يوقفها وقفه جناسيكية مرة ثانية) واحدد...

اثنين ... ثلاثة ... اربعة

تزوج ... بنتي ... بدون ... مصاغ .

(يعيداتها بضع مرات وفي كل مرة تقوى لهجتها ، وتتصلب .

عضلاتها ثم ترقص في غنج حتى ترتعي قرب ام ظريف)

ام ظريف - ما اجمل الصبا !

مدام زعرور - ما اجمل الشباب !

ام ظريف - انا احلم ب....

مدام زعرور - وانا احلم بنفس الموضوع .

(تدخل عايده حاملة بضع علب كبيرة) .

عايده - مآ مآ ماما

مدام زعرور - عايده ، حبيبتي ! امك صارت اصغر منك !

ام ظريف - وانا صرت اصغر من امك !

عايده - ما هذا الكلام ؟ ماذا جرى ؟ اين وجهه ؟

مدام زعرور - وجهه خرج يؤلف جيش الثورة !

عايدة

— يا ربي انا مجنونه ، ام هم مجانين ؟ !

(مدام زعرور تختطف جزدان ابنتها فتفتحه وتسابق هي وام ظريف ، الواحدة تبودر وجهها والثانية تحمر شفيتها ، ثم تتخاطفان المرأة الخ... عايدة تفتح احدى العلب وتري امها بعض فساطين وبرانيط)

عايدة

— ماما. انظري ما اجمل هذا الفستان ! والبرنيطة ..

(ام ظريف ومدام زعرور تتخاطفات الفساطين والبرانيط وتهرعان نحو الباب الخلفي) .

ام ظريف

— (على الباب) من بعدك . انا احترم العمر .

مدام زعرور — من بعدك . انا احترم العمر (الثلاث ينصرفن)

(يدخل من الباب الايسر العواد لاهثا)

العواد

— ابن الاستاذ وجيه ؟

اللعّام

— لا ادري . انا في انتظاره . ماذا تريد منه ؟ اذا

كان لك عليه دين

العواد

— ليس لي عليه دين . ولكني اريد ان اراه . الدنيا

تغيرت يا اخ . الدنيا انقلبت رأساً على عقب .

اللعّام

— يا اخ انت غلطان ! الدنيا انقلبت عقباً على رأس ..

العواد

— يا اخي اشفق علي ، ولا تهزأ بي . اتفقت على احياء

ليلة غناء وطرب مع جمعية « السلام والتفاهم » . حينما

سمعوا نشيدي رفضوه . يريدون شيئاً عصبياً —

افهمت ؟ لا يعجبهم « بالبل والنهود واللمى واللعب » .

ضاعت المروءة والشرف . خالص . انتهى الامر .

خربت بلادنا . ابن الاستاذ وجيه ؟ ساشتري نشيده

بايَّ سعر كان . (يدخل الشيخ نسيب مع ابنة اميركية
لابسة قيصاً للسباحة مختزلاً) .

الشيخ نسيب - (صارت لهجته متأمركة) ابن مستر وجيه ؟
اللاحام - كلنا في انتظاره . ماذا تريد منه ؟

الشيخ نسيب - اريد ان اعطيه (يسحب ورقة من جيبه) استعفائي
من وظيفة الجمر ك واشكره على نصيحته .
اللاحام - اي نصيحة ؟

الشيخ نسيب - تبعت نصيحته ، والآن ظفرت بهذه الخطيئة
الاميركية - مس جونسون .

اللاحام - وكيف كان ذلك ؟

الشيخ نسيب - رحت الى الهوتال . قرعت باب غرفتها . أطلّت
مس جونسون . قلت لها I love you ، انا أحبك .
اجابتنني I love you . انا احبك . بعد نصف ساعة
نتزوج .

اللاحام - ولماذا تريد ان تستعفي من الجمر ك ؟

الشيخ نسيب - بلادنا لا تحتاج الى موظفي حكومة . بلادنا تحتاج
الى عمران . ما هي اهم حاجات العمران اليوم ؟
البناء . الى ماذا نحتاج في البناء ؟ الى مسامير . ابوها
صاحب معمل مسامير .

اللاحام - هل هي وحدها في الهوتال ، ام معها رفيقة ؟

الشيخ نسيب - معها رفيقة ابوها صاحب ٢٠٠ الف راس بقر .

اللاحام - (يسن سكينه ويهرع نحو الباب) ما اسم الهوتال ؟

- الشيخ نسيب - «زهرة بيروت» (اللحاح ينصرف ثم يرجع)
 اللحام - على فوقه ، رفيقتهما لابسـة قميص سباحة ؟
 الشيخ نسيب - لا . لابسـة بنطلون .
 اللحام - بنطلون ؟ (يرتقي على المقعد ويمسح عرقه ويرجع سكينه
 الى قراه)
 اللحام - خطر على بالي خاطر .
 الشيخ نسيب - وهو ؟
 اللحام - كل زبائني لا يشترون الا لحم غنم .
 (يدخل الاستاذ الكعب ومعه ابنة اميركية لابسـة بنطلون)
 (الفتاتان الاميركيتان تمتعتان ، فرحتين . هَلُوْ لِزِي .
 هَلُو نانسي (Hello Lizzy, Hello Nancy)
 ثم تخطف الواحدة طربوش خطيبها وتلبسه وتغنيان راقصين .
 I am marrying an Arab
 (العواد يرافقهما باللحن من نصفه الى آخره . كذلك اللحام
 والباقون يرقصون)
 الاستاذ - قصدت الى الفندق وقرعت باب الحذر ، فبرزت علي
 هذه الغادة الصنطفوشة البرهموسة المزبطرة ...
 (يعاقبها) يا عذر بوجتي الصنطفوشة (يعاقبها ثانية)
 ويا صنطفوشتي العذر بوجه . I love you
 نانسي - (بعريـة رطنة) با بهجة إلاید (العيد)
 الاستاذ - واني قفـلت الى هذا المكان استعيد مخطوطتي .
 عجباً ! كانت هنا . لعل السيدة خبأتها (تظهر ام ظريف
 في فستان قصير ، غاري الصدر ، وبرنيطة وحذاء عالي الكعب ،

وجزدان يد) سيدتي اين العجوز الحيزبون ، التي ام

ظريف يدعون ؟

ام ظريف — عجوز حيزبون آ ؟ انا ام ظريف وانت العجوز

الحيزبون .

الاستاذ — اريد مخطوطتي .

ام ظريف — يجوز ان تقول مخطوطة ، انما الاصح ان تقول

اخطوطة . هاهاها .

الاستاذ — واين هي الاخطوطة ؟

ام ظريف — حيدج وجيدح (مشيرة الى الناخل) صاروا كلهم

رماداً تحت غلاية القهوة .

الاستاذ — وامصيدته ! وارباه ! واخطوطته ! واخريدته !

(نانسي تهرع اليه مؤآسية فتضع رأسه على كتفها فينشد مغازلا)

واعذروبحثاه !

(يدخل جيمور ممزق الثياب ، بجذء واحد ، منبوش الشعر ،

والدم يسيل من انفه)

جيمور — اين السنيوره ؟

— السنيوره في صيدا ! هذه مدينة البقلاوة !

جيمور — السنيوره — المرأة التي باعني هذه الصيغة — هذه

الجواهر الكاذبة !

— وكيف تعرف ان الصيغة كاذبة ؟

جيمور — عرضتها في سوق الصياغ . نادوا على البوليس .

صار لي ٣٢ سنة ابيع الناس صيغة كاذبة وفي آخر

العمر ، امرأة ضحكت عليّ وباعتني صيغة كاذبة . انا
نايف حيمور ، أمير الصاغة في غرانيللا .

للإمام — غرانيللا !! هذه بيروت يا حيمور !

ام ظريف — (تقرب منه مهددة) انت الغشاش الذي يخدع
النساء الارامل ... هاه ! ألا تستحي ان تحرم فتاة من

صيفتها في يوم عرسها ، يا خدّاع يا حرامي !

نايف حيمور — دفعت الوف الليوات ثمن صيغة كاذبة ، والآث

تتهميني باني خدّاع وحرامي ! بعد ان اخذتم فلوسي .

فلوسي . فلوسي . فلوسي

ام ظريف — فلوس . فلوس . فلوس . الدنيا عندكم فلوس ...

انت لن تستعيد شبابك ، فهمت ؟ فلوسك ترجع لك

وأرجع لنا الصيغة . مدام زعرور ، رجّع حيمور .

(تظهر مدام زعرور وقد استعادت شبابها ولبست ثياب فتاة

عصرية متأقّة)

مدام زعرور — يا منافق !

حيمور — يا منافقة !

مدام زعرور — يا نصاب !

حيمور — يا نصابة !

مدام زعرور — ألا تستحي أن تخدع امرأة أرملة (تأخذ بنزع الفلوس

من جردانها وكسائها ومحفظتها ووسطها وترميها بوجهه ،

حزمة حزمة وشتيمة شتيمة)

مدام زعرور — يا خدّاع !

حيمور — ياخذاعة !

مدام زعرور — يا كذاب !

حيمور — يا كذابة !

مدام زعرور — يا بومة . يا غراب . يا أزرع . أموال الدنيا لا

تشتري جواهر ابنتي !

حيمور — (يرجع لها المصاغ) جواهر الدنيا تقبر عيونك . أنا

راجع لغرانيللا .

مدام زعرور — ارجع لجنهم !

(يسمع صوت رجة من ناحية النافذة . يدخل وجيه فيتجول

المسرح الى غوغاء صاحبة ويفهم من الصباح : « بركة مسامير ..

هذا المناق ... واخر ديتاه ... غرانيللا ... النشيد النشيد ...

اللحم ... الصبايا ... »

وجيه — (مشدوهاً) اخرسوا كلكم ! ام ظريف ! أين ام

ظريف ؟ أنا تارك هذه الغرفة في اول يوم من أول

شهر من السنة القادمة . (ام ظريف تدخل من الباب

الخلفي . كذلك تظهر عايدة)

عايدة — حبيبي وجيه . نتزوج بعد هذا الظهر . امي سمحت

لنا بدون مصاغ .

اللحم — ألم تعرفني ؟! أنا توفيق اللحم . عملت بنصيحتك .

أعطيت اللحم الطيبة لصبية حلوة ، والعظيمة لشمطاء .

بشعه . انظر إني ! أنا شاب ! (يعمل بعض حركات

جيمناستيكية) .

الشيخ نسيب — هذه عريضة الاستعفاء من الوظيفة الجركية .

الاستاذ (ام ظريف تأتي بفنجان قهوة هائل الكبير وتقدمه الى وجيه) .
 — حذار من نهلة من هذه القهوة ! انها قهوة مسمومة !
 في هذه الطاسة دم امرىء القيس ! لقد طُبِخت هذه
 القهوة بنار نبوغي ! واخطوطناه ! (نانسى توآسيه
 فيضع رأسه على كتفها ويتابع : I love you)
 مدام زعرور — (تأخذ الجواهر فترمي بها الارض وتدوسها) كل جواهر
 الارض لا تساوي حفنة رمل ... انظر (تلتقط بعض
 الجواهر) كيف صارت قدمي تسحق الالماس !

وجيه — من أنت ؟

مدام زعرور — خالتك هدى (ترقص) تزوج بنتي بدون مصاغ .
 ام ظريف — (راقصة) الله يسامحك بالاجار . الله يسامحك
 بالاجار . ابقى في هذه الغرفة بدون دفع !

وجيه — مَنْ أنت ؟

ام ظريف — انا ام ظريف .

(يتقدم وجيه الى حافة المسرح الامامية مهدوها ، مذعوراً
 يخاطب نفسه !)

وجيه — وجيه ... وجيه ... ولا ... وجيه ... بدون
 فلوس فهمنا ! بدون وظيفة فهمنا ... بدون عقل ؟!
 وجيه .. وجيه .. وجيه .. !

(يدخل الصحافي غاضباً من الباب الأيسر ويصيح ..)

الصحافي — وجيه !!

وجيه — (مذعوراً) وجيه !!

الصحافي — هذه المرة تخنتها . جورنالي أبيض ، وموعد الطبع

بعد ربع ساعة . خربت بيتي . ما هي العجائب
الغرائب التي وعدت بها ؟

العواد

— يا استاذ وجيه ، انا مستعجل . (يأخذ بحفظه)
هذه مئة ليرا ، اعمل معروف اعطني النشيد .
(حينما تلفت اصابع وجيه على الفلوس يخطفها الصحافي)

الصحافي

— هذه لي . خربت بيتي . هذه تعويض عن العجائب
والغرائب .. ! اين التلفون ؟ (بعد التفتيش على التلفون
يلتقطه عن الارض ويجرب ان يستعمله فيجده ميتاً) تلفونك
ميت يا وجيه . (وجيه ، مذعوراً ، يركض ويربط الشريط بالحائط)
من قطع التلفون ؟

ام ظريف

— انا قطعت . ما بيحكى الا فرنساوي !
(يهجم ليستعمل التلفون فيرده الصحافي) قطعت التلفون
أتركني أتلفن ، يا ربي . البوليس . البوليس . سأمسي
أضحوكة بيروت .

الصحافي

— ان اسمح لك بالتلفون . جورنالي . جورنالي .
(الصحافي يطلب نغمة) هلو ... ما عندك اخبار ... ؟
الجورنال ابيض . هاه ! (خلال ذلك يتطلع بوجيه متوعداً)
اسمع . في الصفحة الاولى ، أنقل عن ابن خلدون .. في
الصفحة الثانية أنقل عن ابن بطوطه .. في الصفحة
الثالثة عن ابن خلدون .. أعرف اننا نقلنا عنهم .
أنقل عنهم من جديد . الصفحة الرابعة : اين ابو العلاء
المعري ؟ ابو العلاء المعري مات أعزب ؟ وابنه

علاء؟ يا عيب ...

الاستاذ - هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد .

الصحافي - (متطعماً بوجهه) هذا جناه ...

وجيه - اسمع ! ارجع لي المسئلة ليوا ! انا وعدتك بأخبار
وعندي اخبار

الصحافي - مثلاً ؟

وجيه - سقطت الوزارة .

الصحافي - سقطت الوزارة . حلّوا المجلس . كلما افلست من
الاخبار ، تأتيني بهذه الكذبة . هذه المرة اريد حقائق .
عجائب غرائب ؟ ! !

وجيه - (يشرب فتجان القهوة دفعة واحدة ، وينير وجهه كمن
استفاق من حلم) اسمع هل تعتقد اني كذاب ؟

الصحافي - نعم .

وجيه - وعدتك بعجائب هذه هي : الاولى لحام يستعيد شبابه !
هذا توفيق اللحام ... اذكره ؟

الصحافي - انت توفيق اللحام ؟

اللحام - (يلعب العاباً جيمناستيكية) انا توفيق اللحام .

الصحافي - (على التلفون) اقتل ابن خلكان ، وابن بطوطة ،

وابن خلدون . اقتل جميع بني آدم . اطبع الجورنال

اكسترا ملحق . ظهور عجائب في بيروت . العجيبة

الاولى : لحام يستعيد شبابه . (الى وجهه) العجيبة

الثانية ؟

- وجيه — امرأتان تستعيدان الصبا .
- الصحافي = (على التلفون) امرأتان تستعيدان ... لا . اقتل
المرأتين . اقتل جميع النساء (لوجيه) رجعت تكذب
علي ؟ ! هذه ليست عجيبة . المرأة دائماً تستعيد صباها !
وجيه (يتقدم منه الشيخ نسيب ويعطيه عريضة الاستعفاء) العجيبة
الثانية . شاب يرفض وظيفة حكومية .
- الصحافي = (على التلفون) العجيبة الثانية ، شاب يرفض وظيفة
حكومية !
- وجيه العجيبة الثالثة : ملاك يسامح مستأجراً بالاجر
(ام ظريف ترقص باختصار)
- الصحافي — (على التلفون) العجيبة الثالثة : ملاك يسامح مستأجراً
بالاجار .
- وجيه — هذه القهوة طبخت بنار مخطوطة ادبية . العجيبة
الرابعة : مؤلف ادبي له نفع .
- الصحافي — (على التلفون) العجيبة الرابعة : مؤلف ادبي نفع
البشرية .
- وجيه — (مشيراً الى مدام زعرور) العجيبة الخامسة : أم تزوج
ابنتها بدون مصاغ .
- الصحافي — (على التلفون) العجيبة الخامسة : أم تزوج ابنتها
بدون مصاغ . (مدام زعرور ترجع الى دوس المصاغ)
- وجيه — العجيبة السادسة : ظهر في لبنان ، رجل يلبس اسمه
عارياً عن اي لقب (يغمز نايف حيمور)

نايف حيمور - نعم اسمي نايف حيمور . لا بيك ولا دكتور .
الصحافي (على التلفون) العجيبة السادسة : ظهر في لبنان رجل
يلبس اسمه عارياً عن اي لقب .

الصحافي (لوجيه) - انتهت العجائب ؟

وجيه - انتهت . اليوم العجائب ، وغداً الغرائب .

الصحافي (على التلفون) اطبع هذه الاخبار باكبر حروف .
واصدر اكسترا ، ملحق . (يقفل التلفون)

الصحافي (لوجيه) - وجيه انت نابغة ! لو قصدت ، لملت الجبال
على كتفيك .

وجيه - لو قدرت ان احمل كيس طحين كنت صرت عتال

الصحافي - هذه العجائب ... كم ثمنها ؟

وجيه - ست عجائب ، احسب ثمن العجيبة ٢٥ ليرا - يكون
المجموع ١٥٠ ليرا .

الصحافي يفتح محفظته ويبدأ بعد فلوله ، وكأنما رشق بحجر
فيفنفس (

الصحافي - كم عجيبة قلت ؟

وجيه - ست عجائب .

الصحافي - (يركض الى التلفون) يا ويلي ! يا خراي (بعد ان يطلب نمرة)

اقتل العجائب . انشر ابن بطوطة ... وابن خلكان .

يا ربني ! خرب بيتي .

وجيه - لماذا ؟

الصحافي - اسمع . من يريد ست عجائب . عجائب الدنيا

سبع . ايام الاسبوع سبعة . المعلقات سبع . من

يقرأ جورنالي ، اذا نشرت ست عجائب ؟

— قلت لك ان المرأتين ...

وجيه

— اتركني من النساء . امرأة تستعيد صباها . هذا

الصحافي

خبر عادي يا مجنون !

— (بعد تفكير) احسب رفض الوظيفة عجيبتين ،

وجيه

اولاً لانها وظيفة حكومية وثانياً لانها وظيفة جرمية .

— لا . لا ... شخص واحد ، عجيبة واحدة .

الصحافي

(يسمع صياح وضجة ، ويدخل عدد من البوليس قابضين على

بائع كعك . اثنان يضربانه . وآخران يحملان الطبق والكعك .

ضوضاء)

ضابط البوليس — اين القاتل ؟

— اي قتيل !

وجيه

ضابط البوليس — تلفن امين النابلسي ان في هذه الغرفة ، قتيلاً فجئنا .

وقد عثرنا على هذا الشخص خارج البناية في حالة مريبة .

والآن اعترف انه القاتل . اين ؟ اين القاتل ؟ (يقبض على

عنق القاتل ويهزه) انت القاتل ؟

بياع الكعك — أنا القاتل !

ضابط البوليس — اعترف !

بياع الكعك — اعترف .

— (للصحافي) هذه هي العجيبة السابعة : البوليس يقبض

وجيه

على القاتل والقاتل فار من وجه العدالة !!

الصحافي -* (يركض الى التلفون) اقتل ابن بطوطة .. اقتل ابن خلكان ..
 .. اقتل علاء ابن ابي العلاء المعري ... اقتل كل عائلة المعري .
 انشر العجائب السبع ... العجيبة السابعة : البوليس
 يقبض على القاتل ، والقتيل لا يزال فاراً من وجه
 العدالة . طيب سأخفض صوتي (يستمر بالكلام بحيث لا
 تسمعه النظارة)

العواد - يا استاذ وجيه ... صار لي ساعة انتظر .

وجيه يفتش على النشيد ويعطيه للعواد (
 اللحنام — (لأم ظريف) ام ظريف ! انت ارملة وانا ارملة ..
 انت شابة وانا شاب ، هل تريد ان تكوني ملكة
 دكاني ، وذابحة اغنامي ، ومنظفة مصارين ذباحي ؟

ام ظريف — بشرط ان استلم المبيع والميزان .
 اللحنام — استلمي كل شيء .

(يشبكان ذراعا بنزاع)

مدام زعرور — (لميدور بلهجة مغازلة) يا منافق !

حيمور — (بيمينان) يا منافقة !

مدام زعرور — راجع الى غرانيلا ؟

حيمور — آ ...

مدام زعرور — وحدك ؟

حيمور — كيف اكون وحدي وانت معي !

(يشبكان) كروس الحواتم كم خاتم ؟

مدام زعرور = الكروس ١٢ دزينة والدزينة ١٢ خاتم ، فالكروس

١٤٤ خاتم .

حيمور - الله الله ما اذ كاك . كيف تعلمت كل هذه العلوم ؟

مدام زعرور - ابن اختي درس في الجامعة الاميركية .

حيمور - يا جواهري !

مدام زعرور - يا مصاغي !

(يتقدم اللحام ويفتح الصرة التي اهداها لوجيه فاذا هي لحم

مقطع مفروم -)

وجيه - (لعائدة) أتخبين اللحم المشوي ؟

عائدة - دخان ناره كحل لعيني .

(العواد يدق ، والسكل يفنون « عاش تعاً »

(وجهه وعائده يشكان اللحم بالاشياش . الشيخ نسيب والاستاذ

يغازلان كل خطيبته . حيمور ومدام زعرور ، كذلك ، ام

ظريف واللحام في مواقف غرامية . الصحافي على التلفون هائجاً

يصدر اوامر بصوت غير مسموع . رجال البوليس يجمعون

الكعك المبعثر على الارض ، ويعيدونه الى الطبق . بعضهم يأكل

بعضه . وفي هدأة بين الانشاد)

بائع الكعك - العدل أساس الملك . كعك سخن !

الستار

الى المخرج

قائمة المحتويات

المقدمة	١
الفصل الأول	٢
الفصل الثاني	٣
الفصل الثالث	٤
الفصل الرابع	٥
الفصل الخامس	٦
الفصل السادس	٧
الفصل السابع	٨
الفصل الثامن	٩
الفصل التاسع	١٠
الفصل العاشر	١١
الفصل الحادي عشر	١٢
الفصل الثاني عشر	١٣
الفصل الثالث عشر	١٤
الفصل الرابع عشر	١٥
الفصل الخامس عشر	١٦
الفصل السادس عشر	١٧
الفصل السابع عشر	١٨
الفصل الثامن عشر	١٩
الفصل التاسع عشر	٢٠
الفصل العشرون	٢١
الفصل الحادي والعشرون	٢٢
الفصل الثاني والعشرون	٢٣
الفصل الثالث والعشرون	٢٤
الفصل الرابع والعشرون	٢٥
الفصل الخامس والعشرون	٢٦
الفصل السادس والعشرون	٢٧
الفصل السابع والعشرون	٢٨
الفصل الثامن والعشرون	٢٩
الفصل التاسع والعشرون	٣٠
الفصل الثلاثين	٣١
الفصل الحادي والثلاثين	٣٢
الفصل الثاني والثلاثين	٣٣
الفصل الثالث والثلاثين	٣٤
الفصل الرابع والثلاثين	٣٥
الفصل الخامس والثلاثين	٣٦
الفصل السادس والثلاثين	٣٧
الفصل السابع والثلاثين	٣٨
الفصل الثامن والثلاثين	٣٩
الفصل التاسع والثلاثين	٤٠
الفصل الأربعين	٤١
الفصل الحادي والأربعين	٤٢
الفصل الثاني والأربعين	٤٣
الفصل الثالث والأربعين	٤٤
الفصل الرابع والأربعين	٤٥
الفصل الخامس والأربعين	٤٦
الفصل السادس والأربعين	٤٧
الفصل السابع والأربعين	٤٨
الفصل الثامن والأربعين	٤٩
الفصل التاسع والأربعين	٥٠
الفصل الخمسون	٥١
الفصل الحادي والخمسون	٥٢
الفصل الثاني والخمسون	٥٣
الفصل الثالث والخمسون	٥٤
الفصل الرابع والخمسون	٥٥
الفصل الخامس والخمسون	٥٦
الفصل السادس والخمسون	٥٧
الفصل السابع والخمسون	٥٨
الفصل الثامن والخمسون	٥٩
الفصل التاسع والخمسون	٦٠
الفصل الستون	٦١
الفصل الحادي والستون	٦٢
الفصل الثاني والستون	٦٣
الفصل الثالث والستون	٦٤
الفصل الرابع والستون	٦٥
الفصل الخامس والستون	٦٦
الفصل السادس والستون	٦٧
الفصل السابع والستون	٦٨
الفصل الثامن والستون	٦٩
الفصل التاسع والستون	٧٠
الفصل السبعون	٧١
الفصل الحادي والسبعون	٧٢
الفصل الثاني والسبعون	٧٣
الفصل الثالث والسبعون	٧٤
الفصل الرابع والسبعون	٧٥
الفصل الخامس والسبعون	٧٦
الفصل السادس والسبعون	٧٧
الفصل السابع والسبعون	٧٨
الفصل الثامن والسبعون	٧٩
الفصل التاسع والسبعون	٨٠
الفصل الثمانون	٨١
الفصل الحادي والثمانون	٨٢
الفصل الثاني والثمانون	٨٣
الفصل الثالث والثمانون	٨٤
الفصل الرابع والثمانون	٨٥
الفصل الخامس والثمانون	٨٦
الفصل السادس والثمانون	٨٧
الفصل السابع والثمانون	٨٨
الفصل الثامن والثمانون	٨٩
الفصل التاسع والثمانون	٩٠
الفصل التسعون	٩١
الفصل الحادي والتسعون	٩٢
الفصل الثاني والتسعون	٩٣
الفصل الثالث والتسعون	٩٤
الفصل الرابع والتسعون	٩٥
الفصل الخامس والتسعون	٩٦
الفصل السادس والتسعون	٩٧
الفصل السابع والتسعون	٩٨
الفصل الثامن والتسعون	٩٩
الفصل التاسع والتسعون	١٠٠

هل تذكر عداءنا في « نخب العدو » ؟ لأن كنت مثلي حقوداً ،
فليهنأك هذا الظفر . أمّا تراني الآن بين قدميك ؟

لقد اخبرتك في « نخب العدو » اني امقتك وانك تمقتني ، وان
رفقتنا في تلك السفرة المسرحية ، شركة فرضها علينا الفن . واني
اصارحك الآن ان خيلائي كان سببها نقتي ان « نخب العدو » ناجحة
أياً كان مخرجها . اما هذه المسرحية « حفنة ربيع » فجناحها ذو لون
آخر . هي طائفة صغيرة محكمة البناء ، كل قطعة منها جيدة العنصر
رُصّعت حيث يجب ان ترصع . وهي ملاءى بالوقود الجهنمي يتفجر
قوة ، ففي استطاعتك ان تهبط بها الى الهاوية او تصعد بها الى المريخ .
افهمت لماذا انا الآن بين قدميك ؟

انت وانا - المخرج والمؤلف - شريكان في كل جهد مسرحي .
غير ان حصتك في هذه الرواية ، هي الكبرى ، حتى لأصبحت
أنا كية مهملة .

والآن هلا سمحت لي ان احدثك بكل خضوع عنها ؟

وجيه

كنت اتروّد من الحياة العبر لأؤلف منها مسرحية كبرى ، اذ ومضت « حفنة ربح » وتراقص اشخاصها امام عيني ، وتصدافت حوادثها قبالة بصيرتي ، وراحت تلح عليّ ان ادونها قبل المسرحية الكبرى . فلما حبكت تصميمها وجدتها كاملة الاوصاف الا ... الا ان « وجيه » بقي على المسرح منذ ان ارتفع الستار الى ان هبط . وغير خاف عليك ان النظارة تملّ من يحتكر المسرح ، وان الممثل يجهد مثل هذا الموقف المستمر . فرحت أتأمل . وما زلت أحتال على « وجيه » وافكر وادرس واشغل ، حتى تيسر لي تنحيته عن المسرح بحادثتين معقولتين .

لقد افنيت في هذا الجهد - تنحية وجيه عن المسرح - تسعة شهور . أنفهم الآن ما يبور نزق المسرحيين متى قرأوا نقداً بوجيه جهل الدراما ؟ وهل تدري لم ينقمون على المخرجين ، إن تكاسل هؤلاء او اعوزهم الفن ؟

Peripety

هل تفهم معنى هذه اللفظة ؟ لماذا احمرّ وجهك ؟ اكثر الناس لا يعرفون معناها . كذلك لم يكن من سلامة الذوق ان أسألك ، ففي مقدور اي من الناس ان يفهم صديقه بان يسأله معنى لفظة ما . وانّ اغلظ اهل الارض من يسألك هل قرأت الكتاب الفلاني موقناً كل اليقين انك لم تقرأه . لا تهرع الى القاموس ، فلئن وجدت هذه اللفظة هناك فهي تهجي بال a لا بال e . والقاموس يربطها

بارسطاطاليس، و انت وأنا و شمدص جهجاه لايهنا امر ارسطاطاليس ،
لانه ميت ، ونحن لانهم بغير الاحياء اذن فلنشرح هذه اللفظة بلغة
نفهمها - لغة اليوم .

لعل افضل تعريب لها هي « التارجح » . وربما سعتقنا *
« الحرباء » نسبة الى الحرباء لفظه اجل لولا ما غلب على اذهان
الناس من ان المداجاة ملازمة للحرباء .

في تاريخنا المعاصر نجد مثلين رائعين، بفسران هذه اللفظة .
اتذكر في الحرب الكونية الاخيرة، كيف كان رومل Rommel
القائد الالماني في شمالي افريقيا يحشد جنوده في دائرة، فهو في استطاعته
ان يهاجم أي ناحية ، او ينسحب الى أي جهة؟... هذا كان بعض
اسباب تفوقه ، اذ لم يفصح عن جهة مسيره بشكل ترتيب جيوشه .
والمثل الثاني؟ هل تابعت الاخبار الانتخابية في لبنان ؟ هل لاحظت
قائمة شمعون - جنبلاط قبيل الانتخاب ؟ ستكون القائمة دستورية .
لن تكون دستورية . ستحتضن الكتائب . لن تحتضن الكتائب .
سيكون فيها سليم الحوري . لن يكون فيها سليم الحوري . انشطر
عنها اميل لحود . استوك فيها اميل لحود . الحيرة والتأرجح والتردد
واحتال وقوع اي شيء - ضع كل هذا في قنينة وخضها تفز
بكوكتيل اسمه Peripety .

ما لك وسعت احداقك واصفر وجهك ؟ ان ما لمع في فكرك
صحيح . الادب العربي خلو من التأرجح ، اذ ان البدوي بطبيعة
بيئته كان ولا يزال واضح المرمى ، فهو يقصد بثرا يرتوي منها ، او

(*) أي اخترعنا لفظة .

عدواً يقاتله ، او مرعى يشبع منه مواشيه ، فليس التردد ، والدوران والتأرجح ، بما ينسجم وطبيعة البادية . رومل كان يخاف الهجوم من الجو ، والبحر ، (الشمال) والشرق ، والجنوب . ثم جاءه الامير كان من الغرب . اما اخونا البدويّ فهدفه وعدوه وحبيبه وطله - كلهم في نقاط معينة .

وفقدان التأرجح ليس هو في الادب العربي فقط ، بل هو ملحوظ كذلك في التفكير العربي ، صاح بي صديق اميركي بعد جدال ساعة في قضية فلسطين « عجباً لقلولكم ايها العرب » الا تبصرون من الالوان الا الاسود والابيض ؟ اليس عندكم فجر رمادي اللون يذوب فيه الليل والنهار ؟ »

بلى لقد ثاب اليك وعيك ، فذكرت ان التأرجح على اروع هو في سورة يوسف من القرآن الكريم ، وهو كذلك هنالك مقتضب في بعض نواذر العرب . اما فيما عدا ذلك ، فدلني عليه في العربية ! وما نحن في بحث اجتماعي لتبسط في هذا الموضوع ، بل يكفي ان نذكر ان وضوح المرمى ، ومعرفة الدرب اليه ، ليسا من العناصر الدراماتية .

كل ما اريد ان ازعم ، يا حضرة المخرج ، ان بين يديك في « حفنة ربيع » التأرجح في اكمل اشكاله ، من اللحظة التي يرتفع بها الستار ، الى « كعك سخن » . ولم يقتصر التأرجح على الكلام الملفوظ ، بل انك لتراه صامتاً في المشاهد الصامتة حين يفحص « حيمور » الجواهر ، عليه ان يتأرجح بالنظارة ، فيوهمها انه اكتشف حلاه ، ثم يتردد ، ثم يعجب بالخلي ، ويظهر جهله لمصدرها ،

ثم يفعل ... ثم ... كل هذا بتغيير سحنة او قلب شفة ، أو ..
 ما انا بمخرج هذه الرواية ، لا عرف كيف يكون الابداع في تمثيلها .
 كذلك بين « نوسنيور » و « سي منيور » دنيا للتأرجح فسيحة .

تقي الدين الصلح والكعب بن الحميد الطهنشاي

- * الاستاذ الكعب ليس هو بالشخصية الجديدة . لقد خلقته منذ ٢٣ سنة لتقي الدين الصلح ، الذي اوحاه ، في رواية سخيقة الفتها اسمها « قضي الامر » . لقد نجت تلك المسرحية من غار الحيبة بسبب تمثيل تقي الدين الصلح . كاد الضحك والتصفيق يهدمان حيطان القاعة كلما ظهر الاستاذ . لكن اجتمعت بتقي الدين الصلح فليشرح لك دور « الكعب » . ولقد ابحث لنفسني ان اسرق من انتاج صباي عبارة يجوز ان يقال « فلقتني » انما الاصح ان يقال « فجبجتني » . هذه العبارة رعد لها التصفيق منذ ٢٣ سنة . واعتقد انه سيرعد . وان لم تصح هذه النبوءة ، فما الذنب ذنبي ولا ذنب تقي الدين الصلح ولا ذنب شمدص جهجاه !

رأسي اعريه

- بني ، وأضعها الى قلبي ، وانخني الى الارض ،
 برغم ضخامة وسطي ، امام الفتيات اللواتي مثلن ادوار النساء في « نخب العدو » . واني مسرّ اليك انني توقعت هذا الامر ، لسبب بسيط هو انني بنيت الادوار النسائية بحيث لا تأنف امرأة شريفة ان تمثل احدها ، لا قبيلات ، ولا عناق ، ولا اشتباك اكف . وقد

كنت اسائل نفسي، وانا أولف « نخب العدو » : هل ارضى ان تمثل هذا الدور زوجتي او ابنتي ؟ وكنت اسمع الجواب « نعم » ! فلا عجب ان مثلت ادوار تلك الرواية فتيات هن من « بنات العائلات » . ترى اهذه هي المرة الوحيدة التي ظهرت بها الفتاة العربية والفتي العربي على المسرح في مسرحية ؟ انت تعلم اني اعني من الفتيات ابنة العائلة لا تلك التي امها عزباء وأبوها مجهول محل الاقامة ، واني ولوع بلفظة « وحيد » حتى لقد أوصيت ان يُنقش على قبري « هذا ضريح الرجل الوحيد الذي اعجب بسعيد تقي الدين » .

استشهدت بما سبق ، لاثبت لك اني رجل عملي يواجه الحقائق . حينما كنت أكارأ ، كانت دابتي في معظم الاحيان محملة سائرة في الطريق لا مربوطة الى معلق . وهذه الرواية « حفنة ربح » ، لم اكتبها التحفظ في متحف بل لتمثل . وستمثل بنجاح على الرغم من انك مخرجها - بسبب اني تفرست فيها بوقائع الحياة ، فنحن ليس عندنا من المسرح حتى ولا أنشابه . وانت ترى في « حفنة ربح » انها ذات مشهد واحد ، من السهل إعداده ، فلا رياش ثمين ولا مناظر غير عادية ، ولا تغيير مشاهد تتطلب السرعة والاستعانة بالالات الميكانيكية او الانوار الكهربائية الملونة ، او تزييف الضوء وتغييره بين سطوع وسواد وما بينها من الفلون .

كذلك اعرف ان منظمانا غير محترفة ، لذلك جاءت « حفنة ربح » قصيدة تفسح المجال لرئيس جمعية « الفلاح والكفاح » ان يرش على النظارة شيئاً من اللعاب ، خلال تمتع الخطاب ، او لقا مقام القضاء ان يظهر افتتانه باعضاء الجمعية النبهاء الذين يمثلون

الرواية ، أو لفرة التلامذة ان يغنوا (نظم الاستاذ محروس بك
النابه) نشيد الجمعية :

كلنا نبغي الفلاح في مساء او صباح
ولكن اذكر ان كل هذه الحوادث الجسام تجري قبل الرواية
لا بعدها ، وان كل ما يسبق الرواية ، يجب ان لا يستغرق اكثر
من ٢٩ دقيقة . تسعاً وعشرين دقيقة ، لا ثلاثين ، افهمت ؟
حين مثلوا روايتي « لولا المحامي » في بغداد للمرة الاولى ، نهض
شاعر لم يظهر اسمه على البرنامج ليلقي بضعة ابيات ، فلما فتح فمه
وقع ميتاً بطعنة خنجر ، ولم تهتد الحكومة حتى اليوم الى معرفة القاتل .
اريد ان اعترف لك بانني انا الذي قتلته . ان لي شجراً يرافق
رواياتي في ليالي التمثيل ، وهو يطعن بخنجر ميت كل من يخالف وصاياي .

اغلاط طفيفة

أحذرك من اقترافها . مثل ان يجلس احد الممثلين بين الجمهور
بعد ان ينتهي من تمثيل دوره على المسرح . هذه عادة سمجة تقتل
الرواية . في تلك الليلة ، انت جاد في ان تظهر على المسرح قطعة
من الحياة تحاول ان تجعلها حقيقة واقعة . فيأتي احد ممثلك ، فريد
اسعد معزور ، وبعد ان ينتهي من ابداءه يرجع الى القاعة ،
فيجلس بين افراد عائلته ، وهم عادة في المقاعد الامامية . اثن فعل
ذلك فاقبض على رقبته وارم به خارجاً ، وبعد ان تدغدغ
مشغريه بلطمة ساحقة بلغه سلامي وقل له : رويداً حتى ترجع الى
بيتك فستعانقك الماما فرحة بنجاحك ، وستخف اليك في صباح

«الغد ابنة الجيران بعبارات التهنئة والمديح . اما الآن فابتعد عن الجمهور، اذ اننا لا نريد ان تقتل «حقنة ربيع» .

« ترابة افرنجية » ، « سمنت » ، « شمنتو »

ليس في الادب العربي كتاب يفوق « الحواشة السخفولية » قيمة . إذا وقعت بين يديك نسخة منها، فانت ترى في باب المسرحيات ان الممثل يتمتع بجميع الحقوق التي ينعم بها الشاعر ، مثل تسكين او اخر حروف الكلمات، وصرف ما لا ينصرف . فلتكن لهجة ممثلك، ونطقهم الكلمات، اقرب ما يكونان الى اللهجة العادية في المحادثات . لاحظ قولي « اللهجة العادية » لا « اللهجة العامية » . ولئن اقتتل الفن وعلم النحو - النحو والصرف ، فلا تنس ان هذه التي في يمينك هي راية الفن . واذا كرر انني اول من اقترح اقامة تمثال للاستاذ اسعاف النشاشيبي ، وكنت البادى بافتتاح الاكتتاب اذ تبرعت بدينار مزيف !... ولكن لكل موقف رجل ، وانت اذن تكشف امام جمهور ناحية من نواحي الحياة ، تريد ان تحدثهم بكلمات يفهمونها ، والا كان الامر حتماً بدون مياء . اذ فلك انت ان تستعوض عن « سمنت » بـ « شمنتو » او « ترابة افرنجية » - اي منها اكثر شيوعاً واقرب الى قلوب الجمهور . وهذا ما ينطبق على « ياخور » او « اسطبل » . لا تقتل النكتة او الرواية ، رغبة بارتضاء الاستاذ اسعاف . الحكومة اللبنانية ارضته ، منحته وساماً ، سأنترع يوماً من الايام شيئاً هو عكس الوسام . خذ عبارة « لو كان دماغك ترابة افرنجية ، لكان رأسك اكبر

من معامل شكاً : هذه العبارة تكون ناجحة في بيروت . اما في بغداد مثلاً ، فانهم لا يعرفون معامل « شكاً » . واني افوضك بان تستبدلها بما يفهمه الجمهور العراقي . في بغداد النمر كثير ، فيها بالطبع تاجر كبير له عنابر هائلة . لنفرض ان اسمه « جاد الله » . اذن فالعبارة تصبح « لو كان دماغك نمره ، لكان رأسك اكبر من عنابر جاد الله » . هكذا يفهمها الجمهور البغدادي .

انت مخرج ولك ان تخلق وتتفان . من يمنع ام ظريف من حكا مؤخرتها كلما ارادت التفكير او عرتها حيرة ؟ من قال لك اني اغضب عليك ان وضعت تحت سرير وجيه آله عتلة^١ يخرجها يترويض بها ويهتم برفع اثقالها ، اذ يرجعها بحركة مضحكة سريعة ولا يترويض .

اليمين واليسار

متى وقعت عينك على هاتين اللفظتين في هذه الرواية ، فهما تعنيان يمين النظارة ويسارها . و « خلف » : معناها ذلك الجزء من المسرح الابعد عن الجمهور . و « امام » : معناها ما قرب من المسرح الى الجمهور .

على الباب

الانصراف من المشهد ، هو موقف مسرحي رائع . وانت لاربيب تلاحظ ان كلا من اشخاص هذه الرواية يفوه بكلام فخم او مضحك حينما ينصرف . فلا تدعن ممثليك يتروكون المسرح جارين^(*) Athletic وهي ما كانوا يسمونه في القديم « رياضة » .

ارجلهم . بل لتكن وقفة كل واحد منهم « على الباب » وقفة مسرحية ، فيطلق العبارة الاخيرة قبل انصرافه بحماس وحياسة . هذه الوقفات « على الباب » هي من عناصر قوة « حفنة ربح » . وهي يجب ان تستثير تصفيق الامتحان . على ان جماهيرنا تجهل انه من « اللياقة » ان يصفقوا للممثل حين ينصرف ، وبعضهم لا يدري ان كان ادب الفن يسمح بالتصفيق عند الانصراف . فعليك ان تثقف الجماهير بان تزرع بين النظارة من يبدأ بالتصفيق عند مشاهد « على الباب » ، واترك للجمهور امر اظهار الاستحسان ضيلاً كان ام هائلاً .

السطر

هذا تعبير اميركي . يقولون فلان له « سطر » ، ويعنون بذلك ان له طريقة في الكلام ، أو عبارة يردددها . في « حفنة ربح » ترى « السطر » على لسان العواد - « صار لي نصف ساعة انتظر » . فليردددها ، واعتبر في غرابة عقلية الجماهير التي يضحكها امر بسيط هو ترداد عبارة مشهداً بعد مشهد . وليس لي ان اشير عليك بأن تقوّي هذا « السطر » بان تحمل الممثل ساعة يظهرها حين ينطق بسطره ، واجباتاً يظهر الساعة من غير ان ينطق بالسطر .

من مبررات الاعدام

حدثتك عن شيخ يحمل خنجرآ يطعن به من خالف وصاياي . ولقد فاتني ان احدثك انه كذلك يحمل رشاشاً يصبّ رصاصه على

كل مخرج يعطي لشخص واحد، أكثر من دور واحد في أي رواية .
فحذار حذار .

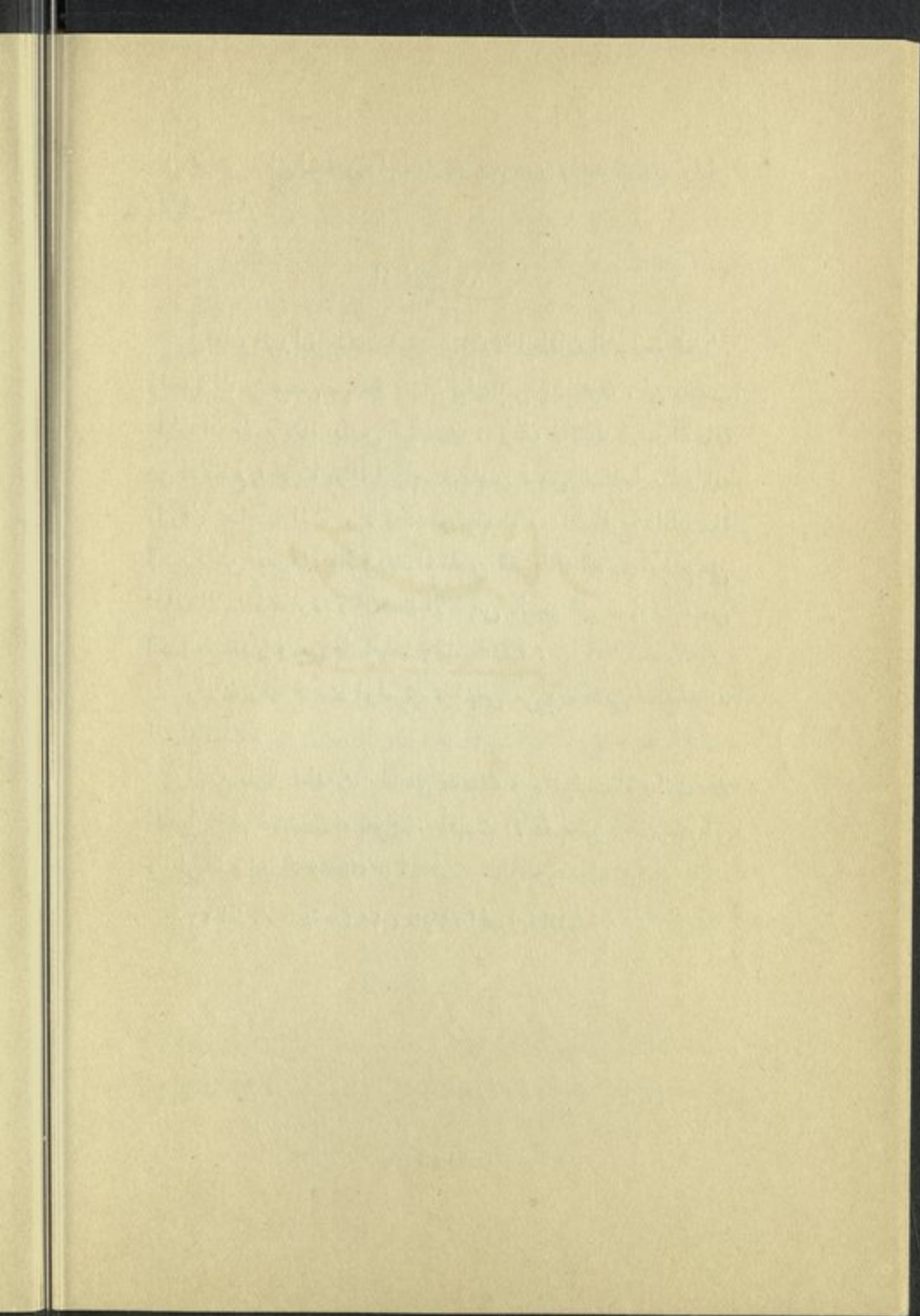
افرنجيتان

في هذه الرواية فتاتان امير كيتان لا تنطقان الابيضعة الفاظ .
واحدة تلبس قميص سباحة ، والثانية تلبس البنطلون . لن يصعب
عليك ان تقنع فتاة تلبس البنطلون . ولئن خانتك ذراية اللسان
عن الاقتناع ، فأت بفتاة افرنجية تلبس قميص السباحة . غير انه
ما زال هنا — انت وانا وشمدص جهجاه — ان نخرج بالفتاة
العربية من خدرها ، فاقبل بفتاة تلبس الفسطان العادي ، وضع على
لسان الاستاذ عبارة « ان حلة الانغماس بالبحر التي يسمونها قميص
السباحة لمقدّر وجودها — تحت الفسطان » .

والآن وقد سمعت اوامري ، انض من بين قدمي ، فاني اريد
ان اعانقك .

فنحن بدأنا الحديث وانا على قدميك ، وانهمنساه وانت بين
قدمي . ثم ختمناه بعناق . أفهمت الآن معنى « التارجج أو
« الحربأة » اي ال peripety ؟

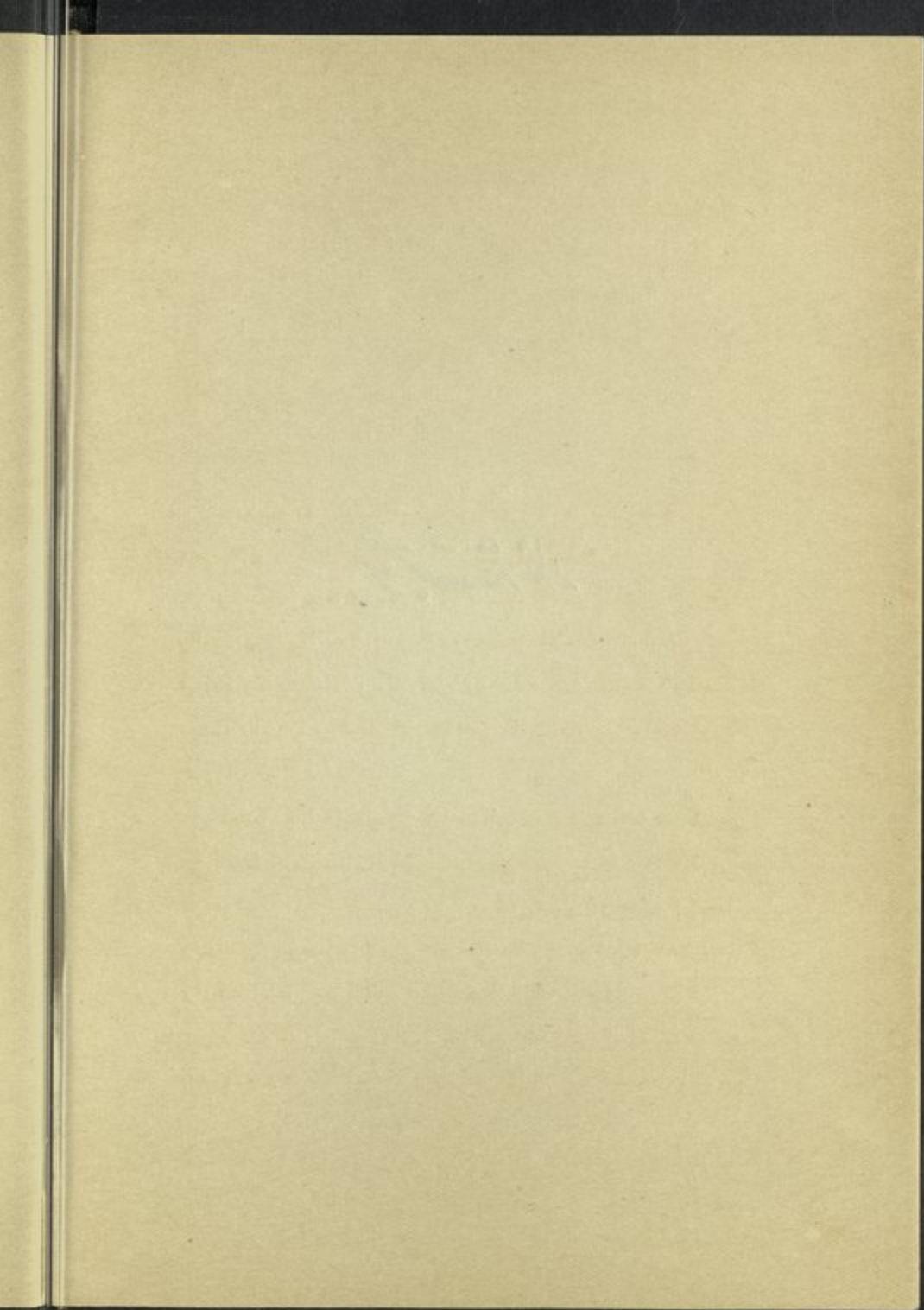
٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ ، مانيلا ، الجمهورية الفلبينية .



موجبة نار
مجموعة قصص

الزيتون
في
البحر

موجتہ ناز



حينما شدّت «نوتيلوس» الغوّاصة الاميركية حبالها الى مرفأ
«مانبلا»، كنتُ اول من قفز منها إلى الشاطئ.

ولم يكن حافزي جوعي الى النساء، أو شوقي الى أكل الخضار
والفواكه، ولا حدا بي الى الاسراع تلك الاحلام التي تراود البحّار
في اسفاره من قناني وسكي، وبابسة صلبة تحت قدميه، وقامة
مياسة بين ذراعيه. بل ان عواطفني كانت متوترة نواقة الى لقاء
جميل السغبيني.

فجميل هذا هو مواطن لي، سكن «مانبلا» ويعرف كل شيء
عن لبنان حيث شئت، حتى ليسرد من امور بلدي «بعلبك» اكثر
بما أعرف، فهو يذكر شوارعها، ورأس عينها، وقلعتها، وساستها
وبساتينها، وخبولها، ويعرف كذلك «ابو علي» ملجم قاسم،
واولاد دندش، وقائمقام بعلبك صلاح اللبابيدي.

وكان سبيل تعرفي الى المواطن جميل السغبيني، النجمة
السينائية «غريتا غاربو»، اذ ظهرت على الشاشة البيضاء ذات مساء

فأفلتت من شفتي لفظة اعجاب عربية، فلم اشعر الاّ ويدان قويتان
تهزّان كنتفيّ، وفتي يصيح من المقعد الخلفيّ في دار تلك السينما
« ابن عرب ؟ » أجبت « ... وبعليكي ! ».

ومنذ تلك الليلة نشأت بيني وبين جميل مودة أمتها الايام،
وشدّت قلبي الى قلبه حبال امان من حبال غواصتنا « نوتيلوس »،
فكنت كلما رجعنا من سفرة تمارين حربية، او من زيارة الى مرفأ
بحاور، هرعت الى جميل وفي يديّ هدية له أو لزوجته وطفله -
تلك الصغيرة التي كانت تدعوني « عمّو ». وكانت زوجته تغتفر
لجميل تأخره عن الرجعة الى البيت في المساء، ما دام « اسطول
بعليكي » في الميناء .

ولعلّ ما جذبني الى جميل السعينيّ، تنوّع شخصيته، فما اعاد
عليّ سرد قصة، ولا ردّد نكتة . وقد اتركّ « مانيسلا » وجميل
مستخدم في مصرف، فارجع اليها وهو مدير شركة اوتوموبيلات،
ولعله بينوظيفتين كان قد غامر بصفقة بورصة، وفتح ثم أقفل
معمل بوظة . وكان يعجبني منه ثقته بنفسه الى درجة عجيبة . فهو
يروي لك كيف سبّني الخزانة لنهري دجلة والفرات، وينشئ
معامل الفخار والقرميد والخزف في شرقي الاردن، ويعمل من
احدى قرى « عكار » مزرعة عصرية مثالاّ أعلى للزراعة العلمية،
ويؤسس المدارس العربية في « جاوى ». وحين ينتهي من خطابه
يسألني اقتراض خمسة دولارات .

وان مثل هذا السلوك، من غير جميل، يوحى الهزء . ولكنّ
الاثر الذي يتركه في النفس حديث جميل ان هذا الفتى سائر الى

مبتغى سيدر كه ولا ريب ، وان هذه الحاجة الوقتية ، وتنوع
اعماله ، هما محطتان لا بدّ من الوقوف بهما في الطريق الى النجاح .
هكذا كانت « مانىلا » قاعدة « نوتياوس » البحرية ، تعبى
منها زيتونها ومؤنها وذخايرها ، وكان جميل السفيني قاعدتي الروحانية
استمدت منه الوحي والقوة والايمان ، وادّخر من ظرفه ونكاته
وحكاياته ما يؤنس نفسي في اسفاري الموحشة .

لذلك كان قلقي عليه شديداً ، حينما احتلّ اليابانيون مانىلا ،
وحينما دمّرت تلك المدينة اساطيلنا الهوائية ومدافعنا البرية .
و كنت كلما قرأت انباء القتل والدمار التي نزلت بمانىلا ، اسأل
نفسي خائفاً : ترى ما حلّ بجميل وعائلته ؟ وفي صيف ١٩٤٣ أغرقنا
باخرة يابانية شمالي الفيلبين ، واسرنا منها ثلاثة فيلبينيين من موظفي
الحكومة ، اخبرني احدهم انه يعرف جميلاً ، وان جميلاً في سجن
ياباني كثير من يدخله ، وندر من يخرج منه .

وهأنذا في خريف ١٩٤٥ وقد استعادت قواتنا الاميركية
« الفيلبين » منذ شهور أجول « مانىلا » اسأل عن جميل ، فلا القى من
يعرفه ، واقصد الى البيت الذي كان يسكنه ، فلا أجد هناك الا
السور وقد اسودّ من دخان الحرائق ، فسألت نفسي هلعاً : ترى اين كان
جميل وعائلته ، اذ استحال منزله الى دخان ورماد ؟ واقتربت الى
رتاج البوابة - لا ، ليس في الامر من شك فالنمرة التي اختبأت
تحت حجاب من دخان ، وغبار واقدار - هي هي نمرة ٧٧٢ .

ولقد أتعبني التجوال وأنغم قلبي ألم الحبيبة ، فجزرت قدمين ثقيلتين
ودخلت الى أقرب خمارة ، وطلبت مشروباً ، فجاء وفي بزجاجة

سكبت منها كأساً لها طعم دم الابالسة ، ولون الزنا ، ورائحة
الانتخابات النيابية في لبنان... ورحت أفكر في جميل ، واتذكر
- بلى تذكرت ليلة اشتد المرض على زوجته ، وكان بها شغوفاً ،
وكنت الى جانبه في المستشفى ، اذ خرج الاطباء الثلاثة من غرفتها
فتقدم منه عريفهم ، وهز رأسه معزباً قائلاً: «ان الزوجة ستموت بعد
ساعات .» وتذكرت كيف انتفض جميل وصاح : « ان علمكم
كاذب . ان زوجتي ستشفى ، فلو انها في طريقها الى الموت ، لكان
ارتعب قلبي ، وقلبي ساكن غير خائف . » وذكرتك كيف سلمت
الزوجة ، بسبب ان قلب جميل لم يرتعب . قلت لنفسي :
« وانا كذلك شغوف بجميل وقلبي غير مروّع . ترى هل
تفوز الصوفية مرة ثانية ؟ » .

وضربت بقبضي على الطاولة صائحاً : « ان جميلاً حي » وكأنما
أجفل من صيحتي رجل كان واقفاً حذاء الباب ، يقلّب صفحات
دفتر التلفون ، فوقع الدفتر من يده ، وانحنى يلتقطه ، فومضت اذ ذاك
في ذاكرتي عبارة سمعتها من جميل : « ان اعسر الامور على الانسان
ان يراها ، هي الامور الواضحة » . بلى - ان من الامور الواضحة
التي لم اراها ، ان افتش على اسم جميل في دفتر التلفون . فوثبت الى
الرجل الذي أجفله صيحتي ، واختطفت الدفتر منه ، ورحت اقلب
صفحاته : سين ... سين ... ما بنكراً ... مادولي ... سغبيني ،
جميل نمرو ٥٠٢ ، بنابة دافيس . فاقفلت الدفتر وارجعته للرجل
الذي كان يقلبه ، منحنياً امامه معتذراً ، ورجعت الى طاولتي
راقصاً على اللحن السماري الذي كانت تصدح به تلك الموسيقى

العلوية ، وافرغت بين شفتي الرحيق الكوثر الذي ملا كأسه ،
ونقدت عشرة دولارات الى الحورية الفتانة التي كانت تجالسني .
كذلك قبلتها في شفتيها وعنقها ، ووضعت تحت ابطي تلك الصرة
من سواكبر ، وصابون ، وشفرات حلاقة ، التي اتيت بها هدية لجميل .
وأحسست ان بين ساقَي الفأ من الحيل البعلبكية اهمزها لترمح
بي الى بناية دافيس .

ووقف بنا المصعد الكهربائي في الطابق الخامس ، فانطلقت منه ،
فاذا الطابق كله مكتب واحد انتشرت فيه عشرات الطاولات ،
جلس خلفها رجال وفتيان وفتيات في كل الاعمار والالوان . وفيما
انا ادير عيني ، افتش عن جميل فلا اراه ، اقتربت مني احدي كاتبات
المحل ، وسألتني مغازلة : « هل لك من أمر ؟ » قلت : « اني افتش عن جميل
سغبيني . أخبرت انه يشغل هنا . » قالت مداعبة : « انه لا يشغل
هنا ، ولكنه صاحب المحل . أعط اسمك هناك الى سكرتيرته ، وهي
تسهل لك سبيل مقابلته . » ودارت تسير الى طاولتها ، فلم ألاحظ انها
فتانة في اقبالها وادبارها ، بل سرت الى حيث السكرتيرة التي سألتني
عن حاجتي في مقابلة « الرئيس » ، قلت : « ابغي ان أقدم تقريراً عن
استطول بعلبك . »

وانفتح الباب وبان جميل .
وجدت في مكاني واقفاً تهتز الكلمات على شفتي ولا تنطلق ،
ويغشى الضباب عيني ولا تندى دموعاً ، بل رحت انطلق اليه
واضحك . أما هو فبقي كذلك في كرسيه مبهوراً ، لم ينهض
ولم يقبلني ، ولم يهز يدي ، بل مكث ينظر اليّ باسمماً ، الى ان نطق

اخيراً فقال : « ان كنت بخار بعلبك ، لا طيفه ، فارم بنفسك على ذلك الكرسي . »

فقدت ، وطفقنا نتحدث . بلى لقد عانى احوال السجن والتعذيب ، والجوع ، والخوف ، وخرج من جهنم حكم اليابانيين نحيلاً فقيراً . اخبار الوطن ؟ كثيرة ! القلعة لم تبرح بعلبك ، « ورأس العين » لا تزال مياهها تجري .

وسألني بدوره اخباري ، فقلت : انها مختصرة - سماء ، وماء ، وبضعة بوابير يابانية ومدرعان . فضحك وسرد لي اخبار غمار غواصتنا ، اذ انه كان قرأ الكتاب الذي ألفه قبطان الغواصة « نوتيلوس » وعنوانه « ثمانى ساعات في جوار الشيطان » ، حين انسحبنا بعد معركة « سوريفاو » الى مياه ظنناها امينة ، ففوجئنا بعشرات من قطع الاسطول الياباني ، فغطسنا الى قعر البحر ، ولبثنا هناك ثمانى ساعات ، واليابانيون يرموننا بالقنابل من طياراتهم ومن بواخرهم المقاتلة .

وهذا فوران نفسي ، بعد انقضاء الوهلة الاولى ، وانكشف الضباب عن عيني ، فاخذت انظر الى جميل من جديد ، فلم اجده الفتى الذي عهدت . فقد ضخم وجهه وترهل ، وعرض جبينه في صلعة ، ولقد اغتفرت له انه لم ينهض للقائي ولم يمد يده لمصافحتي ، ولكنني لم اغتفر له ذلك الطنين الخفي في صوته الذي يقصيني عنه . كان فيما مضى في صوته نبرة ثورة ، وحدة ايمان استجالت الالف الى هدوء مائع ساخر ، وكنت قبل اليوم تشعر اذ تحاذته انك في حضرة مقاتل يجاهد في تحقيق امر نبيل ، وها هو يصدر الاوامر ويقضي

الحاجات ، كانه عامل في مصنع ينزع المسمار من هنا ليضعه هنا ،
 يفعل هذا في حذق ودقة ، ولكن بغير حماس . وكنت من قبل
 ارى حول رأسه هالة ، كأنها هوقديس او ولي . فاذا بتلك الهالة
 امست ضباباً من كآبة ، اذ تسرق الى صوته حزن عميق ، ورنه يأس
 لم افقه معناها .
 وصمت وصمت .

ورحت الالعاب الصرة التي اردتها هدية له ، واضحك من نفسي
 اذ ان محادثتنا قاطعها ظهور بعض مستخدمي المكتب ، واحداً اثر
 واحد ، ولم يسعني الا ان افهم من شطايا كلماتهم انهم يمارسون
 التجارة بارقام ضخمة : « ارسل ستين الف دولار الى نيويورك ...
 اطلب عشرة صناديق ذهب من المكسيك ... ادفع حوالة الـ ٦٨
 الف دولار ... ثمانية الاف صندوق سواكير ... اربعة الاف
 صندوق صابون ... لا نقبل طلبية بأقل من خمسة الاف دولار ..
 مليون شفرة .. »

وحالا ذكرت ان قنينة الوسكي التي دفعت ثمنها ، لم اشربها
 كلها ، وان في شفتي تلك الفتاة شهوة مسكرة . وكنت حينها
 جلست قبالة جميل ، اجد مقعدي ناعماً كأنه مليء بأشعار فوزي المعلوف ،
 فشعرت بعد ان تطلعت الى جميل ثانية ، ان الكرسي صار وخائزاً كأن
 حشوه خطابات المطران مبارك ... فتهيات للنهوض والانصراف ،
 ولكن عيني اذ ذاك التقنا بعيني جميل .

سبحان الله ! اليد تصافع العدو مخادعة ، واللسان ينطق
 بالكذب ، والشفقان تنفرجان عن ابتسامة ختل . اما روح الانسان

الصادقة فقد صَبَّها الله في العينين فلا تكذبان . وقد التقت روحانا
خلال عينينا فاغتصب جميل ضحكة ، وقال : « ان في نفسك معركة
يا بحار ، وكدت ان تنهزم منها » ودخل اذ ذاك احد مستخدمي
المحل فامر به جميل بان يقفل الباب وينصرف ، وان لا يسمح لاحد ان
يدخل علينا . ثم تابع جميل حديثه : « تريد ان تسألني سؤالاً ولا
تجسر . وجدتني بمسوخاً . تريد ان تعرف لماذا ؟ اني مخبرك . لقد
عرفت اسراري كلها في زمن فقري ، فلم اخفيها عنك اليوم ؟ ولكني
اقول لك انه ليس في وسعك اسعافي ! ان بي مرضاً لا يشفى .
انت تذكر آلامي في ايام القلة . لقد رويت لك اي مهانة ملكت
نفسي يوم ذهبت وزوجتي الى كلية الراهبات لنسجل اسم ابنتنا في
ذلك المعهد ، وكيف اعرضت عنا الراهبات ، ورفض قبول ابنتي
لولا توسل زوجتي . وما كان ذنبنا الا ان حقارة اثوابنا اعلنت قلة
دراهمنا . تذكر كيف كنت ، حين انصرفنا بعد ظهر يوم
ماطر ، اقبع في مدخل البناية منتظراً انقطاع المطر ، وكيف كان
يرامني الاوتوموبيل خلف الاوتوموبيل ، ترش عليّ الوحول ،
وتحمل الكثيرون من اجلاف الناس . انت تذكر حين جاءت الجوقة
الاميركية ولم نقدر ان نشهد اياً من رواياتنا ، اذ كان ثمن التذكرة
خمسة دولارات . تذكر اني كنت افترض منك الدولار ، والاثنتين
والخمس . انت تذكر مرارتي وثورتي وآلامي . هذا ليس عليك
بجديد .

« وجاءت الحرب فطوّحت بنا الفاقة . وكاد سجن اليابانيين
يطحن روحي وجسمي .

« الى ان حررتنا جيوش الاميركان .

« وكنت آمل ان تمطر الدنيا دولارات ، ولكنني لم احلم بمثل هذا الطوفان . لقد كانت لي علاقات وثيقة ببعض فبارك اميركا، كما تعرف ، وكان اسمي في « السوق » محترماً ، والبلاذ خالية من البضائع . اجمع هذا الى ذلك واضربه بشيء من الحظ، تفهم كيف اسبح الآن هذا الاوقيانوس من الاموال .

« وحين هبط عليّ الغنى لم اصبح مقترراً، بل اني ابنتيت شبه قصر في ضاحية المدينة فرشته بافخم الرياش . وصارت ابنتي تذهب الى كلية الراهبات — تلك التي ارادت رفضها بسبب فقرنا — باكبر سيارة في المدينة .

« ولكن شيئاً من عناصر نفسي خشن وتصلب وآلم .

« فحين مرضت زوجتي قبل الحرب كنت اسهر الليل احداثها وأواسيها ، واذ تغفو اكبّ على قراءة كتاب، وربما ألفت قصة أو قطعة من رواية . اما بعد الغنى، فاني اكرتي لها مرضتين، واحدة لليل واخرى للنهار، ثم انام ملء عيني . كنت في زمن الفقر، اذ يقبل العبد، آتي بدمية رخيصة الثمن واعطيها لابنتي والاعبها واضاحكها . اما اليوم، فاوصي من نيويورك على اثنى الدمي، ولكنني لا اضاحك ابنتي ولا الاعبها . في زمن العدم ، كنت ادخل وعائتي الى دار السينا فنضحك او نبكي معها كانت الصورة سخيفة . اما منذ حين فقد افاموا حفلة خيرية وعرضوا فيها صورة « سلم الى السماء » وباعوني ثلاث تذاكر الواحدة بخمسين دولاراً، فبقيت زهاء ساعتين اتطلع الى الشاشة البيضاء ، فلا ارى الا الشاك الذي امضيته لهم

- ١٥٠ دولار - ١٥٠ دولار - ١٥٠ دولار . انذكر يا بحار يوم
جاءتني من لبنان علبة الزيتون، وجئت انت ونسيب وبوسف وسليم
وداود معي الى البيت، وفي طريقنا اشترينا بستين سنتيماً خبزاً و ٤٠
سنتيماً خياراً، واكلناوا اكلناوا اكلناوا وضحكنا وضحكنا ..
اما اليوم فان وجوه المدينة يأتون الى العشاء في بيتي ، ولا تنبادل
الا المداجاة ، واني اعدّ عليهم حبوب العنب اذ يأكلون - كيلو
العنب ثمة ثلاثة دولارات يا بحار ...

وذات يوم جاءني بريد بيروت فاذا فيه رسالة من رفيق الصبا،
وعشير الدراسة كنت ادعوه « المكاري »، اذ ان معظم رجال
ضيعة أكارون ، وكان يدعوني « المعاز » لكثرة رعاية الماعز في
ضيعتي . كانت رسالة المكاري الي كاه عواطف ، وقد ارفقها
بنسخة من مجلة يصدرها ، فذاب قلبي حنواً وتذكراً ، وقطعت له
حوالة بـ ١٠٠ دولار اشتراكاً بمجلته المتواضعة . وحين رجعت
الاجير من البنك بالحوالة تصفحت المجلة فوجدت ان اشتراكها
عشرة دولارات . لماذا ارسل له مئة ؟ من وهبني خلال ايامي كلها
تسعين دولاراً ، حتى ارمي بهذه التسعين ؟ فارجعت الاجير الى
البنك ، واستبدل الحوالة بثانية قيمتها عشرة دولارات .

« وبعد ظهر ذلك اليوم ، انصرفنا وكان المطر شديداً ، فركبت
اوتوموبيلي الفخم ، امرت بالناس تقني رؤوسها من الامطار بالجرائد ،
كما كنت افعل في ايام الحاجة . اما أنا فكان كل تفكيري ان هذا
الرحل الذي يخوضه اوتوموبيلي سيضطرني الى غسلة وتشجيمه في
اليوم الثاني - اربعة دولارات ... اربعة دولارات ... اربعة

دولارات ... وأرى الناس في مداخل البنايات تنتظر انقطاع المطر ، فاذكر يوم كنت أقف بينهم موجعاً ، فاغسل روحي بصلاة خاشعة طالبة السعة ، أو شتية وأسبيرونية تلعن الفقر . اما الآن ، أربعة دولارات ... أربعة دولارات ...

« وبلغت البيت وجلست الى العشاء ، واتفق ان زلت القدم بالحادة ، ف وقعت وكسر الصحن الذي كانت تحمله ، فنظرت الى القطع تنتشر على الارض ، وتأملت كأنها كسرات من أضلعي .

« ثم آويت الى مضجعي ، وما ان غفوت حتى حلمت كأنني أرى « المكاري » بأنه موزع البريد في مكتبه الحقيق في بيروت فيدفع اليه رسالتي ، فيأخذها « المكاري » فرحاً ويفضها نشوان ، ثم يرى الحوالة بعشرة دولارات فيبهت وجهه ويتطلع بي - كأننا ما بورخا غلامين في زمن الدراسة ، وبيتسم عاتباً - لا تكفي يا معاز . لا تكفي يا معاز . وعزّ النوم فأرقت الليل كله ، وفي مطلع الفجر هبات قهوتي ولبست ثيابي ، وفيما أنا أهم بالانصراف استفاقت زوجتي فسألتنني : « شمت رائحة القهوة في الليل . ما هي ؟ قصة ، رواية ، ام مشروع تجاري ؟ » . قلت : « ان اماننا افراحاً كثيرة ، وأياماً سعيدة فحين ارجع هذا المساء سنعود فقراء . » فشح وجهها وتنهدت قائلة : « اممكن هذا ، أممكن ؟ » قلت « ستين ! »

« ونزلت الى المكتب انتظر محبي المستخدمين . وما ان ظهر امين الصندوق حتى سألته « هو سآ - كم رصيدنا في البنك ؟ » ففتح 'هو' سا الدفتر واجاب ١٩٤٠٣١٢ دولاراً و ١١ سنتياً . قلت : « اعمل بها تشاك بالمبلغ كله - وارسله تبرعاً للمعهد العربي الاميركي في نيويورك .

« - تبرّع ؟ »

« - تبرّع ! »

« وفيما هو يحضر التشاك، شعرت بان ما يضطرب في احشائي قد استحال الى موجة من نار، غمرتني ثم تراجعت عني، ثم عادت الي، فوقفت عليها، وراحت تندفع بي صعداً، صعداً، الى مكان بعيد بعيد لاح كأنه جنة ربيع دائم. وتطلعت الي يميني فابصرت ملايين - اقول ملايين - البشر وقفت تصفق لي، عرفت بينها وجوهاً كثيرة، منها وجه المكاري وقد سمعته ينادي « برافو يا معاز ! برافو يا معاز ! » ورأيتك يا بحار تحت ابطك غواصتك « نوتيدوس » في حجم هذه الصرة التي هي الآن بين يديك تلوّح لي بقبعتك هذه البيضاء. ونشقت الهواء شديداً كنسيم صيدا في ابان ازدهار بساتين ليمونها، وسمعت الصنوج والطبول تفرعها قبائل البدو، والوفاء من المؤذنين ينشدون « الله اكبر »، وعمالقة تفرع اجراس الكنائس. ورأيت أبي نهض من ضريحه وتلفف بعباءته الشتوية، وصاح بالناس: « هذا ابني ! هذا ابني ! ». وكذلك انتفض عمي الشاعر من قبره، وكان يتكلم العربية بلهجة مصرية، فتغنى: « دا كويس خالص ! دا كويس خالص ! ». ولاح قصر تبينته، فاذا هو قلعة بعلمك وقد غطت حيطانها الازاهير الملونة من ورود وقرنفل وباسمين وزنايق، وقد وقف في مدخلها على أعالي الدرج، تحت قوس النصر، رجل قصير، كبير الانف، عبقرى المظهر، تفرست به، فاذا هو خليل مطران في كهولته ينشد قصيدة ترحيبية، وقد اصطف خلفه ابو علي ملحم قاسم واولاد دندش باثوابهم العربية واسلحتهم الالمانية

يتوسطهم صلاح البايدي ، تعلو رأسه برنيطة عالية سوداء .
واذا بهوسا امين الصندوق يوقظني من تلك الرؤيا ويدفع الي
التشاك لأمضيه ويصبح : « سيدي ! التشاك حاضر » .
ووقف جميل هائجاً صائحاً : « انظر . الآن تفهم لماذا لم اصافحك
حين دخلت . جسّها ! جسّها ! » .

فقطعت الى يده التي مدها نحو وجهي فاذا اصابعها الخمسة قد
تكورت ، وجسستها فاذا هي صلبة جافة عديمة الحياة ، كقضبان
حديد النافذة . وسرت بسلسلي الفقيرة رعشة أوجمتني .
اخيراً سألت متلجلجاً : « والطبيب ... ألم ... »
فضحك جميل ضحكة دامية وأجاب : « زرت كل اطباء المدينة
ومشاهير الجيش والبحرية ، وطرت الى اميركا فتعهدني كبار
الاخصائيين ، وقد جربوا الكهرباء والتسميد والمراهم والسوائل ، ولم
اغفّ عن المشعوذين فكتبوا لي الطلاس ، والبسوفي الحجاب ، وتوسّط
لي عميلنا في نيويورك لدى الحكومة الاميركية ، فسهلوا لي الطيران
الى همبورغ ، حيث كان بين الاسرى الالمانيين شيخ اطباء الاعصاب
« هرّ دكتور شمت » ، وجيء بالدكتور الالماني في ثيابه المقلمة الزرقاء
يحرسه جندي اميركي . وقدمني الضابط اليه بقوله : اني السيد سغيني ،
ومددت يدي نحوه فنظر اليها نظرة سريعة ، وضحك وتكلم هازئاً
« هل خلق الله انساناً اشدّ بلباً من الاميركان ؟ من غير ان تخبرني
ان اسم هذا المخلوق سغيني ، أفهم انه من صبيان موسوليني » . ثم
تطلع بي من فوق قامته الجبارة ، وخاطبني كأني غلام دون العاشرة
« كانت المعركة حامية يا بني . وكانت المدافع تقصف كالرعد .

وكان بين يديك بارودة تلك التي حملك اياها الدوتشي . وقال لك
انك صرت جندياً . ولكنك لم تطلق البارودة يا بني ! » وشد ذقني
شأن من يدل طفلاً وقال : « يا حبيب امك ! » وتطلع الى الضابط :
« قلت لكم ان لا تأتوني بمثل هؤلاء المرضى . نحن الالمان اخترعنا
كل شيء ، ولكننا لم نخترع دواء يشفي من الجبن . لو كنا اخترعناه
لاحتل حلفاؤنا قنال السويس ، ونشروا ييارقهم على ذروة «المبوس»
ولكنك انت تلبس رداً في الازرق المقلّم ، ولكانت تحبّتك لي
« هبل هتار ! » ...

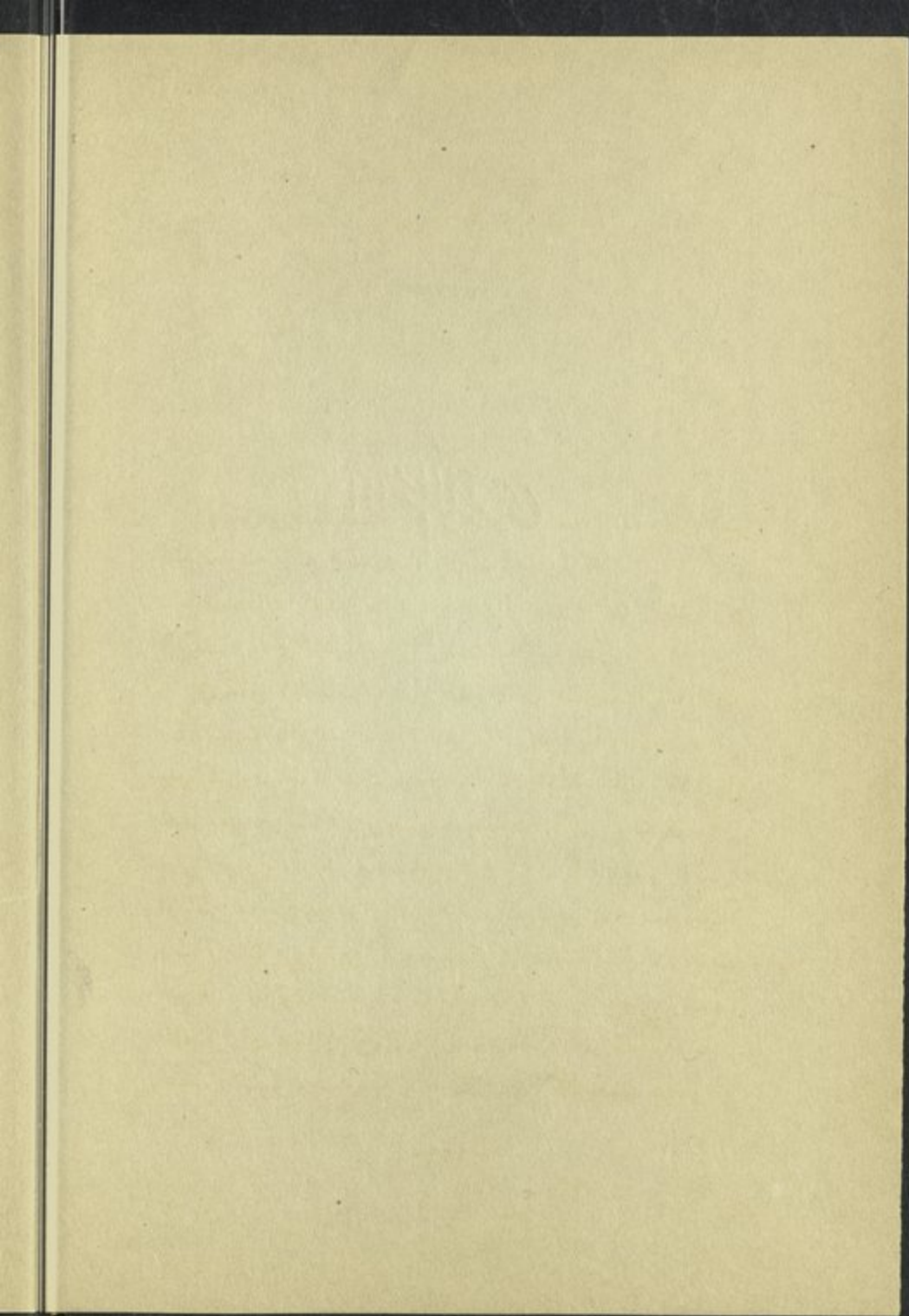
ورمقني الطيب بنظرة ازدراء ، لو ان النظرات تقتل ،
لكانت طحنتني هباء . وادار ظهره وانصرف .

*

وزفر جميل زفرة خلّت انه زفر معها روحه وتابع : « اني تعيس
يا بحار ! اشعر اني ساكن ، كما ذكر قبطانكم في كتابه ، في جوار
الشيطان ، في قعر بحر موحش بارد ، ولكني في الغواصة وحيد ، ليس
لي زفاق . ان نفسي جفت وتصلبت وانطوت على نفسها مثل هذه
الاصابع الميتة ! » .

وحملق في الزجاج السميك الذي يغطي طاولته ، وجمحت
عيناه ، فتبعته بنظري ، فاذا هو محقق بالتشاك الذي تمدد تحت
الزجاج - ذلك التشاك الذي جبن جميل أن يوقعه .

آلامُ الذِکْرِی



لم يبق من ذلك الصرح إلا درجاته الرخامية السبع ، اما القصر
فقد احرقته قنابل الطائرات ، وذرت رماده الرياح .
هناك وقفت وصديقي « مخير كيروز » الفتي البشر اوي
الصلب ، ندير النظر فيما حولنا حيث تبعثرت الذكريات .
في سفح تلك الهضبة ، حفرنا بايدينا النفق الذي كنا نهرع اليه
كلما ظهرت الطائرات القاتلة . انظر ! فالقوه لاتزال بادية . كم من
يوم لبشنا ونساءنا واطفالنا قابعين في تلك الظلمة ، وشظايا القنابل
تصفر من حولنا ، والرعب يرجف قلوبنا . كم ضررنا الى الله ان
يبقي ولو واحداً منا حياً ، يخبرهم في لبنان كيف قضوا نحبهم ،
اولئك الذين لن يعودوا . لقد ملأنا ذلك النفق صلات ، ونحيباً
وشتائم ، تلك هي الشجرة التي تقيأناها ، كلما غابت الطائرات وانقطع
هديرها . ألا ترى الشجرة يابسة مقصوفة ؟ اتذكر يوم هصرتم
الشظية ؟ الى يميننا في الجهة المقابلة ، حطام مخفر اليابانيين حيث
اعتقلنا متهمين بالجاوسية للأمر كان . من كان يحسب حين وضع

الجاويز السكة في صدر مخير ، وشد رفيقه بالمسدس على صدغي
أنا سنخرج من ذلك الخفر سالمين ؟ أدر عينك الى القعة المحاذية ،
ألا ترى خراب الدير حيث احتمينا اسبوعاً ، ظناً بأن الطيارات
لن تهتك حرمة المعبد ؟ من ينسى تلك الظهيرة ، اذ حومت الطيارات
المزدوجة الجسد ، وانهالت على الدير بصوب من الرصاص ، فقتلت
الفتى الاسبنيولي في ساحة الدير ؟ ... صدق العرب ! ليس اشجع
من امرأة ! كنا رجالاً يربو على المثبتين عددنا . فمن جسر على ان
يخرج من مخبئه في البناية الحجرية الى الساحة ، حيث صرع الفتى
الاسبنيولي ؟ من قفز الى الخارج اذ كانت الطيارات تحوم وتصب
الرصاص على الساحة الا ام الفتى المقتول ! ها هي راکعة الى
جانب ولدها ، ناجية جافة العينين . لقد جست نبضه وتحققت من
موته . تطلع اليها وقد شخضت الى السماء وهزت قبضتها في وجه
الطيار . ترى ما نطق به تلك الثكلى في تلك الساعة ؟ من سمع ؟
من يدري ؟ من يابه ؟

لبثنا في اسفل البناية ، شجاعنا يهدي روع النساء ، وسائرنا في
بله ، او هستيريا ، او غارق في صلاة ...

أجل طرفك في البناية التي تلاصق الدير ... بلى ، تلك الدار
المنهدمة ، المشوهة السوداء ، ألا ترى أربع راهبات قنيلات في
الامر ؟ هنا رأس ، وهناك رثتان ومصارين ، وعين التصقت بجائط
الغرفة الخارجي ، حيث خبأنا مؤونتنا . كيف تراكضنا قافزين فوق
جثث الراهبات نختطف اكياس مؤونتنا وحقائب ثيابنا . وعلام
نبعد بانظارنا ؟ - هنا حيث تقف عتبة قصر « اركوس » -

الكهل الاسبنيولي المرح ، كم اتينا اليه في العشيات ، فما ان ندنو
من بوابة الحديقة، حتى يتراكمض اولاده الثلاثة ، طفلته « كرمين »
في السابعة من العمر ، ترحب بنا ووراءها كلبها « برونس » يبصبص
بذيله وينبح متأهلاً ، وابناه التوأمين « رمون » يصيح بالخدمة
ان هيئي القهوة للمواطنين ، « وهوات » ينادي أباه اتنا اتينا .
ويوم عيد ميلاد « اركوس » ، كم افرغنا من زجاجة ، وحلمنا
بسعادة . كم غنى لنا « اركوس » بصوته الفخم الهدار وزوجته
ترافقه موقعة على البيانو :

« اوآه ما ابعذك يا ارض اسبانيا !

آه ما اقسى الغربة عن ربوعك !

اني لاعجب ان ابقى حياً وانا مغترب عنك

غير ان قلبي ومشاعري

لا تزال هناك

هناك حيث ولدت - في ارض اسبانيا »

وليلة أقمنا جمعية « بوكرك » صخابة . « واركوس » في يده
اربع « بنات » وفي يدي اربعة « ملوك » ، وطفقتنا نتزايد ، فلما
دفع بكل ما امامه الى الصحن ، انتزع بنطلونه ووضع على الطاولة ،
وحين رأى الاربعة « الملوك » في يدي ، دار بوجهه الى الغابة
خاطباً « الاشهدى يا باسقات الاشجار ، ودوني يا طيورها ، ان
« اركوس » ما عرّى جسده عن بنطلونه لو عرف انه في حضرة
ملوك اربعة ! »

ويوم انتثرنا وهجرنا البلدة الى الاحراج ، كيف جاء

« ار كوس » يودعنا باكيا ، وكيف فر الى « مانيل » واختبأ في احد بيوتها ، وكيف جاءه اليابانيون فاقفلوا الابواب عليه ، وعلى عائلته وكلبه ، وكيف رشوا الزيت واشعلوا النار ، فلم يظهر بعدئذ في رماد تلك العائلة الا سن « ار كوس » الذهبية .

وها انا ونخيير على الدرجات الرخامية السبع نتذكر ! وايام الجوع ، حيننا نغلي اوراق البطاطا الباردة ، ونخسوها شورباً ؟ وحين طاردنا ذلك الديك اربعة كيلومترات حتى ظفرنا به ؟ وكيف عشنا على الرز المسلوقة طوال شهرين ، لا قهوة ، ولا سكر ، ولا دخان ، ولا شيء نأكله ، الا الخوف والجوع والرز المسلوقة وبعض الاعشاب ؟ !

ونخيير كيروز ، هذا الواقف الى جانبي ، من ينسى إقدامه اذ سمع صباح جارة له عجوز تستغيث من منزل اشعلت فيه النيران ، كيف فحم السعير ، واحتمل العجوز وقفز بها من النافذه فلما هناؤه على شجاعته ، اجاب متواضعاً :

— ظننتها صبية !

وقفبت على تلك الدرجات استعرض الماضي المروع ، فلا اشعر بغصة ، وأصغي الى قلبي فلا اسمع خفقانه ، والمس عيني فلا دموع . هل حجرت المآسي عواطفي ، حتى لأقف على اطلال منزل الصديق الحبيب الذي مات وعائلته حريقاً فلا اتأثر ؟ لقد مضى عام على تلك الفواجع ، فمتى تمتصها مشاعري وترسب في قلبي وتغفو على احساسي ؟ متى احدث الناس بهذه الحكايات ، ان لم يحدثهم بها اليوم ؟ ولئن لم تملك الاحزان نفسي ، فلم لا يهزها زهو الظفر ؟ — فهؤلاء

اليابانيون القتلة الطغاة هم يعضون التراب ، وها نحن ننعم بالحريّة
تفعل ما نشاء ونصبح بما نريد . ولقد اتخمتنا اكل الدجاج حتى اذا
رأيت دجاجة هربت منها . وها هي سيارتي ذات الثمانية سلندرات
تلمع على جانب الطريق ، مذبة ان ايام فقري توت . فما بالي
لا يهزني الفرح ؟ احقاً ان عذاب الاماني تبقى عذاباً حتى تتحقق
فتفسد ؟ هل انقلبت عاطفتي الى جماد ، فلا ذكرى الاوجاع تهزها ،
ولا نشوة الفوز تسكرها ؟ رب يسر لي دعة اذرفها او خفقة في
قلبي ، تثبت لي اني لا ازال حياً !

ولقد تأمت بي التأملات فغفلت ان يخبر لا يزال هناك قريباً
مني ، فابقظني صوته مخاطباً :
— سعيد !

« نعم » اجبت . وتطلعت اليه فاذا هو غير الفتى الذي عرفته
الدقائق خلت .

يترّ على الانسان في حياته لحظات ، يبدو فيها اكبر من الدنيا .
هكذا ظهر في تلك اللحظة مخبر كيروز ، فقد طغى على مجاه نور
سماوي ، وتهد فاشراب صدره الفسيح ، وتاهت نظراته كأنه
نبي يسمع وحياً .

— سعيد ... لو ان « اركوس » حي !
شكراً لك ربي ! ان الكلمة الكبرى التي خرست عنها سينطق
بها رفيقي . هذا مخبر ابن « ارز الرب » ابن « بشراي » ، مواطن
جبران خليل جبران . هذا فتى الفطرة الذي لم تفسده الثقافة .
انه ليفوه بكلمة اكبر من هذه الهضبة التي نحن عليها .

وومضت اذ ذاك في سريري فكرة تمرّ بخاطر كل من تطبع
كلماته - سأظفر بعبارة استعملها في مقالة او رواية .
« لو ان اركوس حيّ » ! هذه شطرة شعر ، بل مطلع اغنية .
ففتحت عيني واصغيت باذني الاثنتين :
- اجل يا نخبير « لو ان اركوس حيّ ! »
فشع ذلك النور السماوي على وجهه من جديد ، وسطعت
عيناه وقال :
- لو ان اركوس حيّ ، لكننا ركّبتنا اللبلة طاولة بوكرا ! ...

عن کتاب

Handwritten text, possibly a signature or title, in a cursive script.

فعدت الى كأس الوسكي انجرتها كريمة ، كاني ابلع كذبة صهيونية .

وقد كنت يقطاً متوتر الانتباه، كمن هو في بحران رؤيا، ترخر في عروقه قهوة عدنية ، وتعمم رأسه ثلوج من قمة « جبل الشيخ » في أصقع ليالي زمهريره .

ففي تلك الحانة جلست، اسمع التاريخ وأراه - التاريخ حياً ، صخاباً ، فناكاً ، مضحكاً ، مريعاً ، متهكاً ، خليعاً ، كما لم تعلمني اياه الكتب واساتذة الجامعات ، وكما لم بصوره خيالي .

فهذه الحانة حيث الوسكي ردى ، والخدامات بغيّات ، والزبائن غوغاء ، من بحارة وجنود ، هي في اطراف شمالي مدينة « مانبلا » . وفيما نحن نختسي الوسكي ، والبغايا يقتعدن احضان الزبائن ، وآلات الموسيقى ترزف ، وتلهث ، وتطبل - كانت المعركة - معركة مانبلا - على اشدّ احتدامها . هذه سيارات الجيش وكهيفاته ترمح من امامنا مشغلة جنوداً وعتاداً . هذه هي الطيارات تحوم فوق

مراكز اليابانيين وترميمهم بالموت المتفجر ، وهذه هي المدافع
الاميركية تبصق الف قذيفة كلما ازت من الجهة اليابانية قذيفة
واحدة . ولو ان احداً مشى بضع مئات من الخطوات جنوباً ،
لرأى اليابانيين المحاصرين ، ذوي العيون الكلبة ، والوجوه
الحيوانية ، وسمع حيناً بعد حين هجمات شرذماتهم تحذوهم شجاعة
بهيمية بصرخون صرخات الوحوش الجريحة الكاسرة .

وكان كلما انفتح باب الخسارة ، ظهر لي مشهد جديد ، فهذا
بحري يقاتل بحرياً ، وهذا جندي سكران يفتش القناة ، وهذه
فئة اميركية من الملتحقات بالجيش تريد ان تبادل معجونات
الاسنان وقنينة الكولونيا بمصنوعات « مانبلا » من زناير قش ،
واحذية خشبية . وذلك غليظ يتصدك ليروي لك للمرة العاشرة
انباء غماره في هذه الحرب ، وخسائره فيها . ومرّ بائع جرائد
فابتعت منه صحيفة الجيش ، فاذا فيها ان كل شمالي « مانبلا » اصبح
في ايدي الاميركان ، وان اليابانيين في تراجعهم نسفوا الجسور
الثلاثة التي تصل شمالي المدينة بجنوبها فوق نهر « الباسغ » ، وان
الجسر الرابع سليم ، اذ ان اليابانيين ابقوه خشية ان تنقطع المياه
عنهم ، وهي تمرّ بقسطل فوق الجسر ، وات القيادة العامة
الاميركية في حيرة ، اذ لو قذفوا الجسر بالمتفجرات ، فقد ينقطع
الماء عن الاهالي الذين لا يزالون في المنطقة اليابانية ، وان اليابانيين
يستمتون في الدفاع عن الجسر ، فكلمنا قتل منهم جندي ، ظهر
جندي يجعل من جثة رفيقه متراًساً للدفاع .

اما أنا فلم تهزّني هذه المشاهد ، ولم يرعيني قصف المدافع ، ولم

اكن بالنظر الى هذا التاريخ الذي يهدر حولي نظرة الفيلسوف ،
بل ان افكاري ومشاعري وقلقي كانت متوتبة بقطعة ، اتساءل عن
ابراهيم جوهر ، ترى اسليم هو ام ... أم ... كلمة كلما تخيلتها
طلبت كاساً من الوسكي من جديد .

وكيف لا اقلق على ابراهيم جوهر ، وهو عشيري ، وشريبي ،
ومساكني خلال خمسة عشر عاماً ، وقد افترقنا لاسبوع خلا ، في
الجبال ، اذ يتم هو مراديب معادن الذهب للاختباء فيها ، وقصدت
انا الى الاحراج . وهذه جيوش الاميركان قد حررتنا وانت بنا
الى « مانيلا » ، واليوم قيل لنا ان الجيش احتل مناجم الذهب ،
وان كميونات الانقاذ ستاتي بالاجانب الاحياء الى « مانيلا » ، وقد
دفنت القتلى منهم - وهم كثيرون - حيث وجدتهم .

حقاً اننا لانفهم كم هو شغفنا بشخص ما حتى نفقده ، او نخشى
ان نفقده .

ونمضت من مقعدي ، وعبرت الطريق الى المخفر حيث انتصب
الحفير الاميركي ، فسألته للمرة العشرين ، متى تصل كميونات الانقاذ؟
فابتسم وداعب بارودته قائلاً : « لئن سألتني مرة ثانية لاطلقن
عليك الرصاص ! قلت لك تصل الكميونات الساعة الثامنة عشرة » .
وهذه الساعة العسكرية في لغة المدنيين تعني الساعة السادسة بعد
الظهر اي قبيل الغروب بساعة ، اي بعد دقائق .

فوقفت امام المخفر وما طال انتظارني ، حتى اقبلت كميونات
الانقاذ ، نحرس مقدمتها ومؤخرتها سيارتان مصفحتان ، وهذأت امام
المخفر ، وراح ركابها يشبون منها فرحين ، وكان كلما ففز شخص من

كميون ، ففز قلبي من بين اضلاعي ، وطفقت انفرس بمن ترجل من
الكميون علمه يكون ابراهيم .

وابتدأت الكميونات تسير وقد حلت من ركلها ، منصرفه
من امام الخفر ، واحسست بالخوف والياس يشلان ركبتني ، وقد
بردت يداي ، وشعرت بظماً الى الوسكي شديد ، وتماوجت الابنية
والشارع في نظري ، وكادت السيارة التي تخفر مؤخرة القافلة
تطممني ، اذ امتدت منها يد امسكت بكتفي ، وصاح منها صوت
باسمي ، ففركت عيني ، وثبتت ان الجالس الى يمين السائق في الثوب
العسكري الاخضر هو ابراهيم .

وانحدر ابراهيم من السيارة متملاً لم يشب ، وسلم عليّ سلاماً
عادياً غير حار ، وتمعننه فلم أبصر في عينيه تلك النار المشعة التي
عهدتها ، ولم اسمع في صوته تلك النبوة المتوئبة الحارة التي اشتقت
الى صداها ، وحقاً لقد تنكر عليّ ، ونحن ما افتوقنا الا منذ
اسبوع ، حتى لوجدت فيه كل شيء تغير ، الا ذلك الكتاب الاحمر
الذي تأبطه « بجاني الادب » ، وكان يسميه انجيله وقرآنه وتلموده .
وعرّفني الى رفيقه الفتى الاميركي الضابط - ماجور اندرسون ،
وراح يناديه باسمه « هري » عارياً عن اللقب ، ومشى بنا الى
الحانة في دعوة توهمت انها شبه امر .

وحقاً لقد شعرت بالحبية في لقاء ابراهيم ، ولكني لست من الذين
يطرحون جواهر الامور لفشل في ظواهرها ، فابراهيم جوهر هو
خليلي وصفي خمسة عشر عاماً ، وها هو قد نجا من الموت والمخاطر ،
وما عليه ان كان فاتراً في سلامه وهذه الحرب قد صيرت من

العقلاء مجانين ، ومن الاذكيا بلهاء او قلقين . هي بادرة عارضة .
فلنشرب هذه الوسكي ، فسيصبح طعمها الآن مسكراً لذيداً .

وجلسنا الى طاولة فغمز ابراهيم احدي البنات ، ودعاها الى
بحالة الماجور بقوله : « عليك بهذا الاميريكي . انه فتى جندي
عطشان جائع » . والتفت الى الماجور وقال : « فيما انت يا هري
تنصابي ، اسمح لي ان احدث مواطني هذا بلغتنا العجرية » . فرجفت
مشمئزاً . متى كان ابراهيم وسيط البغايا ، وكيف يدعوني بـ « مواطن »
وهو ما قدمني الى الناس الا مداعباً « اكبر مدعائي » ، « وريثي »
« ابن عمي » ، « اعظم مصائبي » ؟ وكيف يقول ان لغتنا هي
« العجرية » ، وهو ما تكلم عن العربية الا بصوت مرتجف وصدر
بارز فخور ؟

وبلعت كأس الوسكي جرعة واحدة ، اذ اخذ ابراهيم جوهر
يخطب بي :

— اولاً (قال ابراهيم واضعاً سبابته بين عيني) سأحرق هذا
الكتاب « مجاني الادب » . انذكر راجي الراعي ؟
— نعم اذكره .

— انذكر ما كنا نقرأ من كتاباته — ما عنوانها ؟
— قطرات ندى .

— مضبوط . انذكر قوله « العقل جنون هادي » ، لقد كنت
انا خلال هذه الخمس عشرة سنة في جنون هادي . ولقد ايقظتني من
بحراني الجنوبي كهربائية هزات هذه الحرب . ما كان اغياني ! . لقد
نزلت الى سوق التجارة متسلحاً بـ « مجاني الادب » . ما هي هذه

العادات البدوية التي استعبدتنا : الوفاء ، الشهامة ، الكرم ، العفو
الضيافة ، العطاء - ما هذا الدستور الملائكي الذي حاولت
تنفيذه في عالم الشياطين؟ وقبل ان انسى -لئن رجعت الى لبنان قبلي،
فتش عن ضريح المعلم عباس . هل لك ان توليني مئة وتبول
عليه ؟

وقهقه ابراهيم ونادى الغلام ان يسلاً كؤوس الوسكي
من جديد . ثم عاد الى الكلام :

« اصغ الى هذه المدافع التي تقصف حولنا . لعلك تحسب انها
حرب هذه التي نشهد ونسمع ! ما هي بحرب . هي تجارة . الحرب
والسلم ، والدين ، والعلم كلها تجارات . هكذا قال لي رفيقي هذا
هرري الاميركي . تراك هل عرفت من هو ؟ هو بطل « جواد الكنال »
على صدره شارة اعظم نيشان . المجلة الاميركية التي نشرت خبر
بطولته دفعت له خمسة وعشرين الف دولار ، وباعت اربعة ملايين
نسخة من ذلك العدد الذي روى انباء غماره . هوليورد دعت به الى
صنع صورة . اتدري ما قال لي ؟ قال لي انه يحارب ويتاجر معاً !
يبيع من بضاعة الجيش . لعلك تحسبها سرقة ؟ ما ابلهك ! يبيع
بضاعة الجيش هي سرقة في عرفك وعرف « بجاني الادب » والمعلم
عباس . أما هؤلاء الاذكيا مثل ميجور اندرسون فيجسبونهم -
تجارة . انا من الآن وصاعداً تاجر . أفهمت ؟

وكانت الحجرة قد دارت في رأسه ، فانتزع علبه الكبيرة من جيبيه ،
واولع عودة فاذناها الى كتاب « بجاني الادب » يريد احراقه ،
فاختطفته منه وقلت : « اعطني اياه . مكتبتي احترقت واريد ان

احتفظ به فيكون عندي ولو كتاب عربي واحد . « فضحك ابراهيم وقال : « عجباً ! هل فرغت من نهب اللغات الافرنجية حتى تبدأ بسرقة الكتب العربية ؟ لا بأس فالكتابة تجارة . لئن كانت بضاعة الجيش حلالاً ، فحلالٌ بضائع المؤلفين . هاك « مجاني الادب » .

وقبل ان يتمكن من الرد عليه مشتمزاً ، اسرع الى طاولتنا جندي ، فأدى التحية العسكرية الى الماجور اندرسون ، وناولته كتاباً مخنوماً بالشمع الأحمر ، فابتسم اندرسون وصرف الرسول بهزة رأس بعد ان شكره . وصرف الاثنى التي كانت على ركبته بان دس في يدها دولارين . وفتح الغلاف وقرأ الرسالة ، ثم همس باذن ابراهيم بحيث اسمع : « هل لي ان اثمن صديقك هذا ؟ » أجاب ابراهيم : « يمكنك » . فقرأ الماجور في الرسالة ان قيادة الجبهة قد وافقت على الحطة التي اقترحتها : « تجدامام مخفر المنكوبين اربعة كمبونات ، وخمسة قوارب ، و ٨٤ جندياً ، وعتاداً من القذائف اليدوية . هاجم حال استلامك هذه الرسالة ، وعليك ان تحمله بسرعة فتكون مع رجالك في الجبهة المقابلة من الجسر قبل ان تظلم الدنيا ، بحيث تتمكن قواتنا من عبور الجسر قبل الغتمة . افهم جنودك ان هذه العملية هي فدائية ، فخير ايأ اراد منهم بين الاشتراك بها او العدول عنها »

وابتسم الماجور فرحاً وراح يهزأ « قلت لك يا ابراهيم ان الجنرال غبي . صار له اسبوعان يهاجم الجسر من الامام . خططي ان تركب هذه القوارب في اعلى النهر ، ونسأب مع التيار حتى نبتعد خمسين متراً شرقي الجسر ونهاجم اليابانيين من هناك . فبعد ان نغرق اجسامهم بالقذائف اليدوية ، نقرص على جنوبي الجسر ونرسل

دعوة لجنرالنا الابله ان يشرفنا بزيارة .

وفيا كان الماجور يتكلم ، دفع الي ابرهم باوراق صغيرة طبع اسم التجارة عليهم وفقاً بأرقام وقال : « ادفع أنت عن نفسك ، وأنا أدفع عني وعن هرري لانه ضيفي » .

وخرجنا نحن الثلاثة الى حيث الكميونات ، وحولها الجنود فوقف فيهم اندرسون خاطباً بلهجة عادية وصوت منخفض : « ايها الفلمان ! في جيبى امر بان نعصف بالجسر الرابع فنحتله بعد ان نرسل الى جهنم كل ابن قحبة ياباني يجرسه . حين تشع الانوار هذه الليلة ، قليلون منا من يمسى راقصاً في هذه الحانة ، اذ ان اكثرنا يكون إما طائفاً على مياه « الباسغ » نحو اسماك البحر ، او مفتشاً بقعة قرب الجسر في راحة ابدية . على انكم غير مرغبين على المساهمة في هذه النزوة . أي سعدان منكم اراد ان يتخلف ، فليفتح فمه ولينطق بكلمة ، فاستبدل به قرداً ثانياً من معسكرنا ! » . ولبت يردد العبارة الاخيرة بضع مرات فلم يجبه احد ، حتى تنطع فتى امرد فخاطب رفاقه « الظاهر ان ضابطنا الماجور اندرسون لا يحب وجوهنا ولا يستطيب مرافقتنا . ما قولكم لو سألنا الجنرال ان يرسل لنا ضابطاً آخر ؟ » فقهقه الجميع وطفقوا يقفزون الى الكميونات . اما الماجور فاعطى ابرهم صورة زوجته وابنه وهمس باذنه « هذا عنوان بيتي في كالفورنيا . لئن رجعت اليك ، فلك حمل كميوني بضاعة بالفي دولار ، ولئن بقيت هناك فزر زوجتي ورد لها هذه الصورة واخبرها انك اجتمعت بي . »

ووقفت انطلع الى الكميونات تسير كأنما ركبها جماعة عمال في

طريقهم الى مصنع ، او تلامذة قاصدون الى نزهة ، او مسافرون ينتقلون من مدينة الى مدينة . اين ذلك بما طبع في مخيلتي عن زيد الهلالي وعنترة العبيسي وسلطان الاطرش وعوده ابو تايه ، وما رسمته في خاطري لتلغرافات الحرب عن الفروسية في الحروب ؟

وحين غابت الكميونات مشيت وابراهيم الى « نخيم اللاجنين » ، حيث كانت خيمتي نمر و ٢٧ ، وقصدنا مكتب الخيم ، فسجل ابراهيم اسمه وتناول بطاقة تخصيصاته ، ثم دلفنا الى العنبر ، فنناول منه سريره وحرامه ، وبعض البسة ومعدات وذهبنا الى خيمته - نمر و ٧٨ ، فمد سريره وقعدنا صامتين .

من المؤلم ان تجالس شخصاً ، كنفه الى كتفك ، وبينكما صحارى الدنيا ومجارها ، وان تكون بالقرب منه بحيث يستطيع ان يسمع همسك ولا تتكلمان . ولقد قعدت ازاء ابراهيم على حافة سريره صامتاً يقتتل شعوري وتفكيري . اريد ان اكره نفسي على بغض صديقي فلا اقوى . اذ كلما ثرت على مجونه الوقع ، ونهافته ١ على المال ، ولهفته الشرسة ، ذكرته لاسبوع مضى ، كيف كان خلاً حبيباً مرحاً يحقر المال ، ويستشهد بحكايات « مجاني الادب » ويعبد المكرمات . ثم أدور على نفسي فاجد في الحرب واهوالها عنراً لتغير فيه أردت ان احسبه عارضاً . واني فيما أهم بان ابغضه كنت معجباً بجرارة الايمان فيه ، فنفس المرء تبقى ميتة حتى يملأها ٢ الايمان فتتكهرب وتحمي وتثير الخضوع في الناس وان يكن ايمانها بمعبود مردول .

وصرخت بعد حين صفارة الخيم تدعونا الى العشاء ، فبرزت عني

افكاري ، والنقطت صحوفي المعدنية ، ومشيت و ابرهيم الى حيث
الطعام ، فوقفنا في صف طويل نسمع المدافع وازيز الرصاص ،
والى القرب منا بجهر الخيم الصوتي ينطلق منه صوت نسائي باغنية
قديمة :

« تراك تحبني في شتاء العمر »

مثما احببتني في نواره »

وحين جاء دورنا ملائنا الصعون وقفلنا راجعين نحو الخيمة ،
وما عادت نفسي تصبر على هذا الصمت الذي ضيق عليها فقلت ،
متعمداً فتح المحادثة : « هل لاحظت الرجل الذي كان امامي في الصف ؟
هو مدير بنك الناشيونال سيتي ، وان الصيني الذي يحاذيه كان خادماً
في مقهى « الكلوب » قبل الحرب . سبحان الله ! الامير كان يهوننا
الطعام ويساون بين مواطنهم الذي يرأس مصرفاً ، والغريب عنهم
الذي يخدم في مطعم ، فتقرزت نفس صديقي وصرخ بي : « هل
لاحظت ان فلسفاتك غليظة ، وان لعنة كتاب « مجاني الادب » التي
ركتبني قبل الحرب تثقل الان رقبته ؟ ... اسمع »

وجدنا كلانا اذ انقطعت اغنية « تراك تحبني ... » وخرج من
المجهر صوت عسكري : « إن القيادة العامة في جبهة « مانىلا » تدبّع
ان الجسر الاخير الذي يربط شمالي المدينة بجنوبها هو في ايدينا
منذ ربع ساعة ، ولقد خسرنا في القتال حوله ٣٨ رجلاً ، بينهم الماجور
هري اندرسون بطل « جواد الكنال » الذي قاد الهجوم . هذا
كل شيء » .

ورجع الصوت النسائي بغني :

« تراك تحبني في شتاء العمر »

مثما أحببتني في نَوَّارِه »

وجشمتا كلانا في خيمتي والصحون ملاءى بالطعام ، لا نغد اليها
ابدينا ، غارقين في التفكير ، وفجأة انتفض ابراهيم جوهر وانتزع
صورة الماحور وطفله من جيبه فمزقها وداسها وصاح شبه مجنون :
« لعن الله اندرسون . بقي في الجيش ثلاث سنين يقاتل . اما انتقى
ساعة يُقتل فيها الا قبل ان يساهني حمل الكميونين بضاعة ؟! » .
ومشى من خيمتي فرحت اطلع الى قامته المبتعدة احمد الله ان ليس
قربي مسدس او بارودة ، واحداث نفسي : « حبذا لو لم يرجع
ابراهيم جعفر مع قافلة اللاجئين . حبذا لو انه دفن شريفاً حبيباً
في سرايب معادن الذهب ! »

وحين غاب عن عيني قميت ان يبقى غائباً عني ، ما حبيت .
أخيراً خضع الحيوان الياباني للعِلْمِ الاميركي ، فسكنت
المتفجرات وانقطع أزيز الرصاص ، وقلدت في شوارع « مانبلا »
وجوه الاميركيين الباسمة ، وابتدأت كوم الدمار من حجارة
وحديد تختفي ، وصارت البنائيات تنهض هنا وهناك ، وانا
خلال ذلك دائب في اعمال المتواضعة ، اشتري من هنا وابيع هناك ،
وارجع في المساء الى غرفتي حيث اعيش وحيداً تؤنسني احلامي
وذكرياتي ، وقد اقنعت نفسي ان ابراهيم جوهر مات على الرغم من
اني كنت ارى صورته في الجرائد احياناً واقرأ فيها انباء حفلات
اقامها او دعي اليها ، وانظر الى صورته في الصحف صاعداً الى
طائرة او متوجلاً منها ، فلقد امسى من الواضح ان الرجل قد

صاب في الحياة نجاحاً واصبح بمن يستونهم عليه القوم .

اسباع . شهور . سنة . سنتان .

الى ان جاء صباح يوم فيما انا اذرع الطريق قاصداً اسواق البلدة حيث اصطاد قوتي ، واذا بسيارة ذات ١٢ سيلندر خضراء فخمة لماعة حاذتني متمهلة ووقفت ونزل منها من ناداني باسمي ، ومدّ ابرهيم يده اليّ وصاح : « ضعها هنا ، وقل لي انك غفرت لي » . فوضعت يدي في يده البضة المترهلة وصافحته كأنني اصافع شعباً ، ونظرت اليه فاذا هو قد بدن وتراخى وظهر لاول وهلة متخشياً او كمثلي هوليوود ، على رأسه برنيطة خضراء شكّ في شريطتها ريشة حمراء ، يعلو شفته شارب قصير نائر ، ويلفلف بدن جسمه طقم خمري ، ويتدلى من جيب ستوته مندبيل احمر ، تجاوره زهرة من القرنفل ، وشدت الى رسغه ساعة شفافة ، ودار حول وسطه الضخم زنار ابيض ينتهي ببكلة ذهبية حفر عليها اسمه ، وتحتسبي قدماه في حذاء مثلث الالوان .

« اما غفرت لي ؟ » صاح ابرهيم « ادخل الاوتوموبيل فاننا في حاجة اليك . لم يكن اجتماعي بك صدفة فاننا جادّ في طلبك منذ حين . اني في حاجة الى مساعدتك » فتبسّمت وتطلعت الى تلك السيارة واجبت مستغرباً : « انت في حاجة الى مساعدتي انا ؟ دعني وشأني . اني احب رياضة المشي » . قال متضرعاً : « لا تكن حقوداً » . وما زال بي حتى ادخلني سيارته وركض بنا الى بناية عرفت بما كتب على رتاجها انها « مكتب مخلفات الجيش الاميركي » ، وسار ابرهيم متأبطاً رزمة صغيرة ، فتبعته وشعرت حينئذ صرنا في داخل البناية

ان رفيقي ذو شأن ، اذ رأيت كل من مرتبه يجيئه تحية تواضع ،
او خشية ، او دعاة . كذلك سمعت بعضهم يدعوه « الجنرال »
فسألته ما معنى ذلك اللقب ، فضحك ابراهيم واجاب : « انت اعلى
موظف في هذا المكتب هو في رتبة كولونيل . ويسمونني جنرالاً
اعتقاداً منهم اني اعظم شأنًا من عربهم ! »

وفيا هو يشرح لي هذا ، اطلت امرأة امير كية شقراء ، من
الملتحيات بالجيش فعانقها صاحبي ، وبعد مطر من القبلات ناو لها
الرزمة وهناها بعيد ميلادها ، ونزع زهرة القرنفل من عروة ستوته
وشكرها في صدر صاحبة العيد ، وإخالي رأيت قد كبس باصابعه
أعلى ثديها .

وكانما ظهور الجنرال في ذلك المكتب كهربه وقد كان ناعساً ،
فتحرك الضباط من وراء الطاولات ، وراح الكتبة يقلبون الدفاتر .
وكان في الرواق جمع من التجار الصينيين فاقبلوا على ابراهيم ودار
الهمس والغمز ، وتبادل الاوراق ، والعروض ، وابراهيم المحور الذي
يدور حوله كل شيء . وقد اشتد الجدل حول طاولة جلس خلفها
ضابط برتبة كبتن ، عديم شعر الرأس ، ناداه ابراهيم « يا اقرع »
فهرع هذا يتبعه تاجر صيني اعرف انه من اكبر مستوردي
المأكولات في المدينة . وبعد ان اشتد الجدل والتاجر الصيني يعترض بقوله
« هذا كثير . هذا كثير » صرخ ابراهيم « طيب خمسون الفاً .
اقبلها او ارفضها » ونادى بي فخرجنا الى السيارة . وفيما نحن نفتتح
بابها لحق بنا الصيني باسمماً فرمى بصره الى داخل الاوتوموبيل وقال :
« طيب . هاك الخمسين ربحك . سلمني ورقة البيع » فناول ابراهيم

بعض صكوك وصاح بالسائق: « الى المكتب . »
وجئنا صرنا في داخل المكتب عجبت حلوة من المستخدمين ،
ولحقة شانه وصغره . وكأنا قرأ ابرهيم افكارى فاوضح :
« اني لا استخدم احداً اذ اني لا اريد اثمان احد . »
وقتل الزر الكهربائي فانشر النور ، وفتح ابرهيم الصندوق
الحديدي الهائل الذي كاد يملأ المكتب . ثم احكم المفتاح في اسفله
ودار به فانفجرت دفقة عن رزم الاموال فرمى بالصرة التي اعطاه
اياها الصيني ، واقفل اسفل الصندوق الداخلي ، وسلمني سائر مفاتيح
الصندوق والمكتب قائلاً : « اسمع . ليس في هذه البلدة من اثق به
سواك . انا مسافر في الغد الى جبال « ايلوكوس » - اربع
ساعات في الاوتوموبيل ، وعشرون كيلومتراً مشياً . هناك سأثبت
حقى بمعدن ذهب اعطاني خارطته ذلك الايرلندي « اوهارا » ، هل
تذكره ؟ لقد اخبرتك انه مات في سراديب معادن الذهب ، قتلته
الزنطاريا . واعطاني هذه الخارطة فيما هو محتضر ، رحمه الله .
وقهقه مرحاً : « سأبكر في المسير بعد منتصف الليل فنبلغ الجبل عند
شروق الشمس . ونزرع العواميد ، واسمي بحفور عليها ، في حدود
تلك الارض . ثم ننحدر الى « سانتاماريا » قاعدة تلك المنطقة
فنسجل الارض بعد ظهر الغد او صباح بعد غد . كل هذه
السفرة لن تستغرق الا ثلاثة ايام . اما انت فاجلس وراء هذه
الطاولة . ستأتيك منى اوراق كثيرة فاقبض وادفع بحسب الطلبات
التي تحمل توقيعى . كل تجارتي ومعاملاتي هي باسم « مكشش
وشركام » .

قلت : « من اين لي ان ادفع واراك قد احتفظت بالمفتاح حيث المال ؟ ففقهه ثانية وقال : ستفهم كل شيء في الغد . ان التجارة هي في ان تقبض اكثر مما تدفع . » قلت : « وما معنى « مكشش وشركاهم » ؟ فعاد يضحك واجاب : « الا ترى الامير كان يخترعون الكلمات بأن يؤلفوا من اول حرف من عدة كلمات - كلمة جديدة واحدة ؟ « مكشش » هي اختصار « ما - اكثر - الخير - وشركاهم » ، مضحكة هاه ؟ ورجع يضحك من جديد .

وحينما ودعني رجع يتضرع من جديد : « اني في حاجة اليك » وقد اضاف هذه المرة : « ان حصتك من الربح هي خمسة الاف دولار في هذه الايام الثلاثة » .

في صباح اليوم التالي فتحت باب مكتب ابراهيم جوهر ، فشعرت كأنني داخل قبراً ، فاسرعت الى النافذة ففتحتها على مصراعيها ، وانزت كل المصابيح الكهربائية وجلست وراء المكتب حائراً فيما افعل . وسرعان ما دخل عليّ زنجي امير كي متدلي الشفتين ، احمر العينين ، ضخم الاجفان ، فبادرني بالسلام قائلاً : « نهارك سعيد يا دوكتور » قلت : « ما انا بدكتور . من انت وما تريد ؟ » اجاب : « ايجرم على الانسان ان يتأدب بالقاء التحية ؟ انا عمك 'جو ، جشك بالخمل . هذه شورباء العظام المباركة ، وهذه رغوة دم الملائكة » . ولقد سرت بي رعشة خوف وتطلعت الى الباب اقصد الفرار ، ولكنني رايت الزنجي يبني وبين المهرب .

وارسل الزنجي زفرة وصاح : « يا للبقرة المقدسة ! ان الازرار النحاسية غلائمها » وكان محدثي لحظ الرعب الذي حل بي ، وعرف من

بلاهة نظراتي اني لم افهم ما يقول ، فزاد : « اخالك تجهل اللغة
 الاميركية . الحمل هو صافي الريح . العظام المباركة هي « الزهر »
 المزيف . وانتزع من جيبه مكعبين من عظم ابيض ، واحد يحمل
 علامة الصفرة على وجوه الستة ، وآخر عليه ست نقاط في كل وجه . ثم
 تابع الزنجي شرحه القاموسي : « دم الملائكة » هو الخمر .
 الازرار النحاسية هي البوليس . يعني ان هاتين الصرتين تحتويات
 على الارباح الصافية ، في الليلة البارحة ، من طاولاة الزهر ، وبيع
 الخمر ، بعد ان دفعنا للبوليس حصتهم التي ضخموها . وبعبارة
 ثانية ، هذه غلة النادي الاجتماعي الذي اديره انا ويملكه مواطنك
 ابراهيم . الى هناك هو يسوق الضباط الذين يرشوم في النهار ،
 ونحن نتهبهم في الليل . « ورجع بضحك . ثم سلمني ورقة عليها
 بالعربية : « استلم من هذا اللص ذي الوجه العاجي ما يعطيكه من
 غلة النادي - ابراهيم » . وحين انصرف زائري وصار في الباب
 التفت إلي متهمكها : « بخاطرك يا دوكتور » ونمخزني مشيراً الى الفتاة
 الشقراء التي اقبلت علي في خطوات خفيفة ووجه صبور وعاجلتني
 بتحية « صباح الخير » بصوت عالٍ شأن الاميركيات . فقد كانت
 تلك الفتاة صاحبة العيد امس ، وتناولتني حالا ورقة من ابراهيم :
 « ادفع لهذه الشقراء مئتي دولار واقبض منها قبلتين او اكثر » .
 فدفعت لها المئتي دولار حالا فشكرتني مبتسمة سائلة : « أفي وسعي
 ان افضي لك حاجة ؟ » فشكرتها واجبتها سلباً ، وخرجت كما اقبلت
 وشيقة ، نمشي على قدمين قويتين ، مرفوعة الرأس واسعة الخطى .
 وكرر ذلك الشريط السينمائي امام عيني ، وصار الباب كالشاشة

البيضاء ، اتطلع اليه منتظرا ظهور كل غريبة . ولم يطل انتظاري حتى جاءني اميركي زريّ الشاب ، مشعث الشعر ، وناولني فاتورة بيع من « مكتب مخلفات الجيش - الى مكحش وشركام » خمسة اطنان طحين فاسد لا تصلح للاستهلاك البشري . وهمس الاميركي في اذني : « ان كميونات السكر هنا » قلت : « ما تعني بكميونات السكر ؟ هذه فاتورة طحين فاسد » . قال مستغرباً : « ألا تفهم ؟ اشترينا الطحين الفاسد . ورشونا القائم على المستودع فسلمنا سكرآ . ودفع اليّ بورقة ؟ » تلفن الى ٧٢ - ٢٤ وحينما يدفعون لك ٨٢ الف دولار سلمهم السكر - ابراهيم .

وتلفنت وقبضت وسلمت ، وفعدت في ذلك الكرسي الهت تعباً كافي اركض وعلى ظهري كيس من حجارة . ودار الشريط فاذا على الشاشة البيضاء صاحبنا الكبتن الافرع يضافني في مرح وظرف ويسألني عن القنبلة الذرية ابن مكانها ، فكان جوابي ان فتحت فمي ووسعت حدقات عيني ، فمدّ يده الى جرّار في طاولتي قائلاً : « كانت هنا » وانتزع قنبلة وسكي وكأسين فارغتين ملائماً واعطاني احدهما ، ثم مضى يقصّ عليّ تاريخ حياته من يوم خلق الى ان تخرج من جامعة هارفرد الى ان تطوع في الجيش ، وجرح في « ابوجيا » ومنحوه رتبة كبتن والنيشان الفضي ، وجاء « مانبلا » مسرّحاً من خدمة الجيش ، غير أنه لمح في « مكتب مخلفات الجيش » ميداناً للتجارة ، وها هو يتعاون مع صديقي جعفر في الاتجار وكلاهما ناجح . فالكبتن في يده فضّ غلافات المازادة . وهو بدلاً من ان يفضها في المكتب وعلى مشهد من التجار ، يأخذها الى غرفته وبطلع ابراهيم

عليها ، واي صفقة أعجبت ابرهيم زاد هذا عليها عشرة سنتيات
فاستراها وانتهى الامر .

ولم يكن الكبتن في سرده اخبار المعارك التي خاضها متباهياً
بل كان كغيره من الاميركان ييزاً بنفسه ويبالغ بوصف رعبه في
المعركة . كذلك لم يكن في تحدياته عن « تجارته » مع ابرهيم حياءً
فقد كان يعتقد ان اشغاله تلك كانت اموراً مشروعة كأنها تجارة
عادية . وحينما فرغت الزجاجة فرغ الكبتن من احاديثه وفاولني
ورقة من ابرهيم تأمرني ان ادفع لحاملها ستة آلاف دولار ففعلت .
واستمر عقربا الساعة في بطاء ديببها نحو الساعة الثانية عشرة
اذ غمرت المكتب موجة من العطر فاسقة ، ورنّ في اذني طقطقة
كعبين عاليين ، وابصرت برقعة من البودرة ، والحمرة ، والاهداب
المكحلة فوق فستان من الحرير يتأوج ضيقاً على قامة هيفاء شبيهة
وصوتاً يقول « هلو » واصابع حمراء الاظافر تدفع لي ورقة :
« ادفع لحاملها ثلاثمائة دولار - ابرهيم » وقد رسم ابرهيم تحت
توقيعه رسم قرنين . وبعد ان عدت الدولارات ، شكرتني ،
بغمزة زائفة ، ورددت عليها بنظرة بلهاء . وانصرفت ، واقلت
المكتب شاعراً كأنني خارج من كهف جناة ، او قطاع طرق .

*

لن اروي لك حوادث الاربعة الايام التي تلت الصباح ، اذ انها
كانت مشابهة لما قصصت - حيلة اثر حيلة ، ورشوة تتلو رشوة .
وكذب وتزوير ، ورجال ونساء يدفعون ويقبضون ، والصندوق
تتكس فيه اوراق المال حتى كاد يضيق بها ، وانا مفكر متبهرم

بهذا الدور الذي ارغمني على لعبه ، حانق عليه ، متوعد له ، أحاول أن أفهم لم أبطأ ابراهيم في عودته وكيف زلقت انا الى قبول الاشتراك معه في هذه اللعبة الذميمة .

وقرأت التلغراف :

« صديقك ابراهيم في مستشفى سانتاماريا في خطر شديد يصّر عليك ان تحضر حالاً » .

الاب جورج هتكسن »

*

غريبة عواطف الانسان كيف تسرع في تقلباتها بين المدّ والجزر . فمنذ هنيهات كنت ناقماً على ابراهيم مزدرباً لاعماله ، وها انا حين مرّ نظري على ذلك التلغراف ذائب حائناً ، لا أذكر من صديقي إلا كل ما كان فيه من نبيل وجميل ، وكأنما الحُطر الذي هو فيه انا سببته ، فرحت اوبخ نفسي على خيائتي لصديقي واشجعهم « لا لن يموت ابراهيم . ساهرع اليه وادفع عنه الحُطر . ساداعبه واضحكه . سأريه كتاب « مجاني الادب » واسأله ان يتبرك به . ساذكره بكل ما مضى بنا من حوادث فكهة . ساشجعه بقولي : ان من نجا من الياباتيين والمدافع وقذائف الطيارات لن يصرعه مرض في مستشفى . وركبت قطار الليل الى سانتاماريا متفائلاً متحفزاً الى القتال كبدوي يهرع الى مخيم قبيلته اذ قيل له ان عدواً هاجمها .

وقفزت من القطار قبل ان يقف ، وطفقت امشي واركض الى المستشفى في ضاحية « سانتاماريا » . وفيما انا في منتصف الطريق

أطلت أشعة الشمس فبددت ما في نفسي من مخاوف ورحلت اقتراب
من المستشفى والكنيسة بقلب مفعم بالرجاء .

حين دخلت الباحة التي تفصل الكنيسة عن المستشفى تقدم اليّ
رجل الدين يلبس الثوب الاسود متمماً صلاة ، وبين يديه الكتاب
المقدس وتمنّ بي لحظة وسأل :

— انت صديقه يا بني ؟

— نعم يا ابت !

— لقد تأخرت يا بني . جاءت النهاية منذ ساعة في مطلع الفجر .
أنظر الى هاتين اليدين المجرمتين . لقد قتلته انا بيديّ . ربّ عفوك
عن عبدك الخاطيء الضعيف ! ان صديقك جاءنا في الدير هناك في
اعلى تلك الهضبة ، وقد كان منهو كماً اذ لم يستطع ان يقطع كل
الطريق باوتموبيله ، فاجلس خربّه اليابانيون قبل ان ينسحبوا ، فاضطّر
صديقك لأن يمشي ورفاقه نحو آمن اربعين كيلومتراً . ووصل مستر
جوهر متعباً في اول الليل يغتسل بعرقه . لقد نام عندنا في تلك
الليلة . ربّ عفوك عن معاصي . انت ترى ان الدير في أعلى الهضبة
والبرد في الليل قارس ، وليس عندنا حرامات ، وحين دخلت غرفته
في الصباح وجدته محمواً يهذي . داء الجنب في رثيه الاثنين . ان
ديري فقير يا بني . لقد جهدت في جمع المال وحرثنا وزرعنا وبعنا
محصول اراضينا . لقد حاولت ان اشتري حرامات لنا ولجيراننا
ففشلت . أنظر ! وانتزع رجل الدين ورقة من يذ صفيحات الكتاب
المقدس قرأت فيها :

« ان عرضك اربعة آلاف دولار ثمن الفي حرام مرفوض ، اذ

ان شركة « مكحش وشركاهم » عرضت عشرة سنتيمات زيادة بالحرام
اي اربعة آلاف ومئتي دولار .
المخلصون

مكتب مخلفات الجيش

وفيا الأب يتضرع الى الله من جديد ان يعفو عن خطيئاته ويبتهم
نفسه بجرمة قتل صديقي ، خلّو الدير من الحرامات ، أقبل دكتور
المستشفى فمرّني الكاهن اليه وسأله ان يسير بي الى غرفة الميت -
نمرؤ ٨ . وقبل ان أدير ظهري سألني الاب :

- « مسألة الصلاة عليه - هل كان صديقك يؤمن بالكتاب
الاحمر الذي تنأبطه ؟ »

اجبت :

- لقد آمن به ثم كفر يا ابتاه .

وما شئت الدكتور نحو غرفة ابراهيم ، استمع لذلك الطبيب
يتكلم عن المريض الذي خسره غير آبه كمناجر تعود أن يفر منه
زبون حيناً بعد حين . وقبل ان نصل الى باب الغرفة اوقفني وقال :
« كان من المؤكد نجاة صديقك لو ان عندنا « بناسلين » . في الشهر
الماضي حاولت شراء ٥٠٠ زوجة من مخلفات الجيش فخسرتها في المزايعة .
شركة « مكحش وشركاهم » دفعت اكثر مني عشرة سنتيمات بالزوجات .
من هي هذه الشركة « مكحش » التي تشتري كل شيء ؟ »

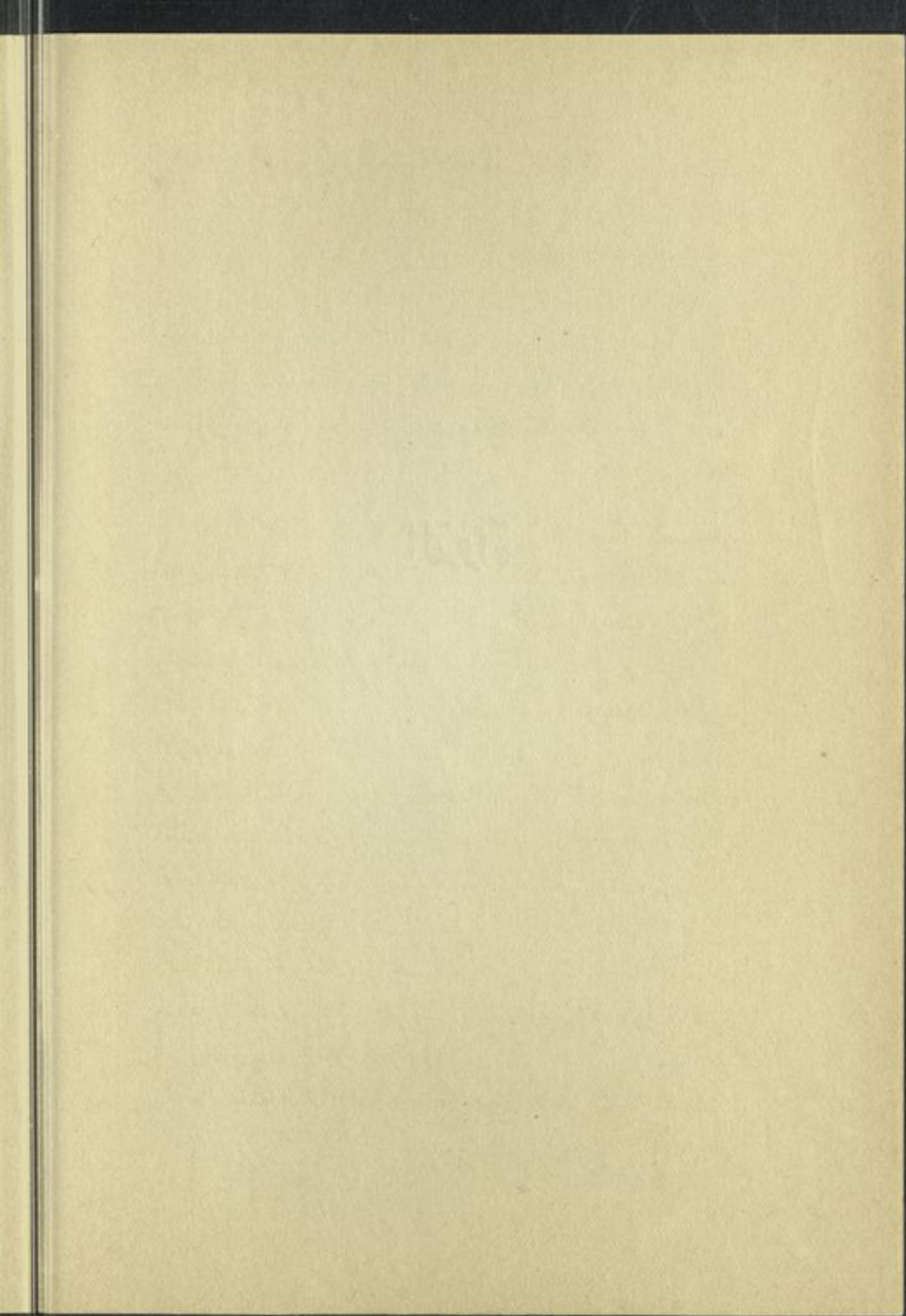
*

وكشفت الشرفف الابيض عن وجه ابراهيم ، فبان وجهه
المتضخم في لون الشمع ، وقد تراخى شارباه الثائران الى خطين
ماثنين ، ونبت الشعر في وجهه طويلاً بشماً ، وشخصت عيناه .

باهنتين كعيني سمكة . ونطلت الى خلفه فرأيت ستوته معلقة ،
معروكة ، في عروتها زهرة قرنفل يابسة ، وقد استوت فوق السترة
بريظته الموحلة وليس في شريطنها ريشة ، وتحتها حذاؤه وقد
وحدت الوحول ألوانه .

وبقيت وابراهيم وحيدين في تلك الغرفة المظلمة ، وليس معنا
الا كتاب « مجاني الادب » يتأرجح في يدي وقد قبضت عليه باهامي
وسبابتي ، في المكان المحروق ، حيث أراد ابراهيم ان يولعه ويتلف
لعنته .

الدّواة



جلست في تلك الغرفة المقفلة النوافذ خائفة ، حبيبة ، وقد سكن كل ما حولها إلا نور سراج ضئيل يهتز شعاعه الباهت فتتراقص معه أخيلة بعض رباش الغرفة . وقد كانت الفتاة في وحشة ذلك الليل وحيدة على مقعد حريري أزرق مطرقة كأن تلك الورود التي زانت رأسها ثقلت عليه فحنته . وقد تماوجت العطور من حولها وانتثرت الازهار وتدلّت بردايات الدمقس ، وامتد السرير العريض ذو الوسادتين المتجاورتين يعلوه اللحاف المطرز . وكانت قد ماها قلقتين بالخذاء الجديد الأبيض اللامع ، تكثر من ثقلبيها ، واظافرها برمة بالطلاء الأحمر الذي لم تعرفه قبل صباح ذلك اليوم ، فهي تنفوس بهاساً ثم تطبق يديها وتبسطها ، وتهتم بأن تقرض اظافرها باسنانها فلا تفعل . وقد استقام خصرها النحيل تحت صدر سمور وتوثب جانباه ، وتصلب جيدها في عقد من اللؤلؤ المزيف ، وتنقب وجهها في طوفة النور البهي الذي يغمر وجوه العذارى .
وأرهفت فئاتنا سمعها وجلة فلم تسمع إلا ضربات فؤادها .

واصفت فاذا بصدى خافت يتسرق من خلال النوافذ المغفلة علمت منه ان الموسيقى لا تزال تعزف في الطابق الاسفل . وعبثاً حاولت ان تطرد عن اذنيها صدى مواعظ خالتها « ام عمر » التي ألقتها عليها والفتاة تستحم في فجر ذلك اليوم . وكانت تلك المواعظ خليطاً من الانذار والتشويق ووصفاً للذة الجنسية وألمها لو لم تطهر الفاظه لتبذل . وكانت الفتاة تشعر بالدوار اذ ذعرت لسماع منحنى خفيفة في الخارج ، وبان ظل فدخل الباب محتوساً واقترب منها متهملاً ملقياً في صوت ناعم مضطرب « مساء الخير ! » . ثم وقف الظل امامها وامتدت يده الى ذقنها ، وعاد الظل الى الكلام : « لماذا لا تنتظرين اليّ يا رقيقة ؟ » فرفعت نظرها خجلة متمهلة وابتصرت لاول مرة وجه محمد الكرار - الزوج الذي انتقوه لها ، وابتسمت نشوى وقد فر الخوف من نفسها ، وانبسبت اسارير وجهها وطيأت روحها في لذة الضعف الانوثي ، اذ يستسلم للرجل القوي فليس في الدنيا ما يبعث في نفس المرأة غريزة الاستسلام مثل قوة لقلها الحنان .

يقولون لك ان اقتياد فتاة الى فراش زوج تجهله عادة همجية بهيمية ، بل يسرفون في القول فيذكرون ان الهيج والبهائم تتعارف وتتألف قبل ان تتزاوج . اما انت يا قارئ فانك مثلي محافظ رجعي ترى السفه في ذلك الافتواء ، اذ انه في وسعك ان تستشهد بمئات من الازواج والزوجات الذين قطعوا مراحل العيش هائثين وهم لم يبدأ تعارفهم الا في ليالي الزواج . ومن أظهر هؤلاء الازواج الفتى محمد الكرار وعروسه رقيقة عبدالمجيد . فان رقيقة صيرها محمد سيّدة منزل وكانت في دار أبيها ابنة بين جمهور من اخوة وأخوات لا

- قيمة لها . ونعمت معه باللذة الجلوسية المشروعة فالتهمت بين يديه
- نزوات غرامها فاشعل تلك النيران برقق وأطفأها بلين وحنان .
- وأما محمد الكرار فقد وجد في رثيفة عطف الام التي فقدتها طفلاً
- ووفاء الممرضة وهيام الحبيبة التي تغزل بها شاعراً يحس بالغرام ولا يمارسه .

وهكذا مرت عسال الشهور وهما في غمرة من سعادة لايفترقان
 الا ساعات المداومة التي يقضيها محمد في المدرسة الابتدائية
 إذ كان يدرس فيها ويديرها . وكانت رثيفة في غيابه تطالع الكثير ،
 وتختص بالقراءة من مكتبتها العامرة رواية « الغراب الشائب »
 لمؤلفها محمد الكرار ، فما من يوم مضى إلا وأعادت قراءة تلك
 الرواية أو بعضها ، وما من مساء عاد محمد من عمله في المدرسة إلا
 ولاقته رثيفة ضاحكة تقبله وتعيد عليه شيئاً من نكات « الغراب
 الشائب » أو حوادثها ، أو مقاطعها الرائعة ، ثم تسأله فخوراً :
 « هذا ما كتبت وأنت دون العشرين ، ترى ما الذي تؤلف قبل
 أن تبلغ الأربعين ؟ »

وكانت تعيد هذا السؤال في النهار مراراً ، متتدة في أول الامر ،
 حتى إذا مرت الشهور ولم ينتج محمد شيئاً صار السؤال يحمل
 رنة العتاب . وفي العام الثاني من زواجهما أمست رثيفة تلقي
 السؤال على زوجها بشيء من مرارة وقساوة . ثم تشير اليه باسماء
 رفاقه في الدراسة وهم دونه مقدرة كيف نبه ذكرهم وكثر
 انتاجهم الادبي وكيف لهجت الصحف بانباؤهم وقد صار بعضهم
 في اعلى مراكز الدولة ، في حين انه - محمد الكرار - لا يزال معلم

مدرسة في احدى ضواحي دمشق .

اما محمد فكان يداعبها قائلاً : « اني لا اطلب العظمة بل السعادة . وها اني في جنة الدنيا دمشق ، ظافر بلاك هذه الجنة رقيقة ، ومهنتي اشرف المهن ، التعليم . من يطلب العظمة الا الابله ؟ ولئن كنت تصرّين عليّ بطلب العظمة فاعلمي انه كلما سما احد من رفاقي شعرت ان قد نبتت ريشة في جناحي وان جناحي قوي واستطال . ما صاغني الله غازياً وما انا بالطامع الى الفتوحات . والآن هات قبلة وابسمي فانك بشعة حين تبسمين ! » .

وهكذا ركضت الايام ورقيقة تتحرّقها آلام الحبيبة في زوجها الذي سمن ونعم ، وبدأ الشعر يتراجع الى مؤخرة رأسه في صلعة برّاقة ، واستدار بطنه في بروز هائل ، وراح ضميرها يؤنبها ان تلك السعادة التي غمرته بها اطفأت نار نبوغه فقد كان في اول العهد ، على رغم انقطاعه عن الكتابة ، تنطلق من شفتيه كلمات لاذعة وهاجة . اما اليوم فقد ترهلت نكاته فهو يشير الى صلغته ويسمّيها « بيضة الرخ العاجية » ويضع يده على بطنه ويقول : « كل العظمة التي أصبتها في الحياة النفّت حول وسطي » . وشعرت رقيقة بما يشبه الاحتقار والكراهة نحو محمد ، ولكن ذلك الشعور كان يذيبه منظر محمد او تصرّفه قبلاته .

وغير مستغرب ان من خمل شأنه قلّ اصداقؤه ... ولقد نسي الناس « الغراب الشائب » . وما كان محمد بالمثري او الزعيم السياسي ولا هو يطلب عشرة الناس فانقطعت الاقدام عن داره ، وما دخلها من غريب الا جيولوجي اميركي طاعن في السن كان

ينقب في الصحراء السورية على دمن مدينة غابرة ، ويؤم دمشق مرة كل شهرين لشراء بعض الحاجات فيتناول رقعة على مائدة تلمذه القديم محمد الكرار . وكان الاستاذ ورثيفة يتعاونان على محاولة قدح الشرار في نفس محمد فيجيب هذا ضاحكاً : « تريدني يا استاذي ان انقب عن مدينتي مثلاً انت منقب عن مدينتك ؟ لكنك انت اسعد حالاً لو انك مكثت مستريحاً في القوطة تمنع نظرك بجمال دمشق العامرة لا متعباً تنقب عن دمار مدينة غيبتها الرمال » .

وكان من عادة محمد حين يرجع إلى البيت في المساء ان يفاجيء زوجته بهدية صغيرة من اثمار أو حلويات ، وربما ابتاع لها حليلة مزينة جذابة شأن من ضؤل راتبه وكبر قلبه . لذلك لم تستغرب ذات عشية ان تسمع منه حين آب « في جيبى شيء لك » ثم ناولها بدلاً من الهدية ورقة دعوة لحضور الاستعراض السنوي في اليوم الثاني واخبرها ان مكانها سيكون على الدكة الكبرى المعدة للنساء . أما هو فسيمشي خلف الجيش . وزاد انه سيجعل العلم السوري فيهزه مرتين : واحدة لرئيس الجمهورية ، وثانية لرئيسة قلبه . بلى - فقد جبّ الى حديث محمد شيء من السهافة .

فابتهجت رثيفة ان تصبح ، ولو مرة في العمر ، على دكة الاستعراض وان ترى محمداً بين المتظاهرين يهز العلم ، وبكرت في صباح اليوم التالي فارتدت أجل اثارها وبالغت في التجمّع وهرولت الى دكة الاستعراض ، في المكان المعدة للنساء فرأت ان الحاضرات اللواتي سبقنها قليلات ، وان معظم الكراسي شاغرة ، فامت واحدة

منها وهمّت تقتعدها اذ اقترب منها شرطي سائلاً : « يا سيدة، ابن بطاقتك ؟ » فارتته البطافة ، فإشار اليها ان تذهب الى المقاعد الخلفية القصوى، فهذه الكراسي هي لعقيلات كبار الموظفين. وقرأت بعض الاسماء على تلك الكراسي - حرم حسين باشا العساف ، عقيلة عبد المجيد بك السوقي ، مدام جورج بك الديراي زوجات رجال كانوا بالامس رفاقاً لمحمد .

وتراجعت خجلة ميمّة ناحية الدكة الخلفية فاذا بعجوز تصيح بصوت عال : « بعض نساء هذه البلدة طموحات » وعلت فهقهة من الحاضرات ، وتطايروا العبارات الساخرة ولم يهدأ الضحك الا حين وصل رئيس الجمهورية بين الهتاف والتصفيق ، فاعتلى مكانه وصدحت الموسيقى بلحن الرئيس ، وتكامل عدد الحاضرين من رجال ونساء ، وبدأ الاستعراض .

وكان الطبيعة ارادت ان تشترك في الاحتفال فارسلت نسماً بارداً فاذا الاجسام مقلوذة ، والوجوه مستبشرة فرحة ، والاعلام خفاقة . ياله من يوم مفعم بالروائع وبألها من مظاهرة ! فقد استمر الاستعراض ساعة وربعاً مشى فيه الجيش بترتيبه البديع واسلحته الصقيلة ، ومشت الجماهير والوفود من حضر وبدو . وكان احد خطباء دمشق يذيع ما يجري فيتكلم في ميكروفون يتصل بمحطة اذاعة الراديو ، ويخلط روايته بالحماس او المجون حسب ما تقتضيه المشاهد فتسر رقيقة لما تسمع اذ ان المذيع كان واقفاً خلف كرسيها . وفيها هي مصغية الى فصاحته علا التصفيق من الجماهير واشتد الضحك وثارت زوبعة من التصفيق وسمعت رقيقة المذيع يحدث :

« اني اسمع التصفيير والضحك والتصفيق ولا ادري السبب .
 وريدكم ايها السامعون ! اظنني اهديت الى سبب المرح . اني ارى
 تحت هذه الشمس صلعة تهرق بسميها صاحبها « بيضة الرخ » ، واري
 كومة من الشحم تمشي ، وبالوناً منفوخاً يتوسط تلك الهضبة
 الشحمية . هذا صديقنا محمد الفرار . اظنكم تعرفون لماذا تناديه
 « الفرار » وكان يدعى « الكرار » ؟ لأنه كرّر في « الغراب الشائب »
 مرة ثم ظل يفر . ها هو يهز العلم السوري لفخامة الرئيس . اتسمعون
 الهتاف ؟ هو يهز العلم مرة ثانية نحوي . سلامات يا استاذ ! اسمعوا !
 اصبروا ! ان استاذنا محمداً لم يعد كراراً ولا فراراً . ها هو قد سلم
 العلم لاحد تلامذته وربض على الارض يلهث . اسمعوا الضحك
 والصياح . ها . ها . ها . هاتوا ليموناضة لاستاذنا المنهوك . تقدم ضابط
 فمسح بمندبيله « بيضة الرخ » المباركة . برافو !! نهض الاستاذ من
 جديده وتناول العلم . الى الامام يا فرار ! ها هو يستأنف السير .
 ان كتلة الشحم تتدحرج من جديد ...

واختل النظام هنيئة وساد المرح وراح الكل يضحكون وغفلوا
 عن رؤية امرأة ناحلة قفزت من دكة الاستعراض ورمحت بين صفوف
 الجماهير واسرعت ماشية راكضة نحو بيتها تلهث باكية ثائرة تود لو
 أن الارض تنفتح فتدفنها وتدفن معها خجلها وخزيها والمهانة التي
 لحقت بها في ذلك الصباح . وحين وصلت رثيقة الى البيت صعدت
 تواء الى غرفتها ففتحت النوافذ المقفلة وراحت تبتدر في ذلك
 الذمير ، وارتقت على كرسيها الحريري الباهت اللون تسبح عيناها
 بالدموع ويغتسل جسدها بعرق الاعياء . ومرّت عليها ساعات ثلاث

يدور حولها نسيم دمشق البارد فلا تشعر به ، ورفق بها عقلها فخدر
عن التفكير فلم تفقه احبة هي ام ميتة .
وفجأة ظهر محمد فاهوى عليها يقبلها ضاحكاً ، ثم حملها الى السرير
واناها بثياب ، وأصر عليها ان تبذل اناها واغلق النوافذ وانصرف .
لم تنهض رثيفة في صباح اليوم التالي لتبهي القهوة لمحمد على
عادتها ، بل انها كانت نائمة وتنقلب وتمتذي . وجس محمد جبهتها
بشفتيه فاذا هي حارة . ووضع اناها على نبضها فاذا هو قلق ،
مقطع ، مسرع . وكان تنفسها مجهداً وفي اعلى وجهها شبه دائرتين
متجمرتين - كل عوارض ذات الرئة ، تشخيص حقه الطبيب حين
لبي الدعوة مسرعاً .

« حسبتي اداري مريضاً واحداً فاذا بين يدي عيلان » .
عبارة طالما ردها الطبيب في غرفة رثيفة ، فمذ لازمت الفراش
عاف محمد مدرسته ، وبقي يحوم حول سرير زوجته يشب لكل نائمة
في الليل او في النهار ، متوتر الاعصاب ، حائقاً ، خائفاً ، يغير
وسادتها ويمسك لحافها ويتعهد امورها مسرعاً بالقاء الكلمة الناعمة
الحنون ، مشجعاً اناها ، حاسراً عن زنديه يتخطى الغرفة كمن
يتحدى عدواً يريد مقاتلته . ولقد زهد بالطعام ، فلئن جيء له بما
ياكله فعل متأففاً متعففاً . اما النوم فما عرفه الا كما تعرفه الهرير
- غفوة ثم انتفاضة ، ثم وثبة ، ثم غفوة من جديد .

وجاء صباح اليوم السادس عشر ورثيفة غاطسة في نومها تتنفس
تنفساً هادئاً متسقاً عميقاً ، صافية الوجه ، فجبها الطبيب وابتم
وهمس في اذن محمد : « ربنا المعركة . إرجع الى مدرستك » .

وودّ محمد ان يرقص ويغني أو يتف ولكنّه كبح ثورة طوبه
 مخافة ان تستفيق رثيفة من راحة غفوتها ، فراح يتفرس بذلك الوجه
 الذي أحبه وما درى إلا وقلمه في يده ، ينظم بضعة ابيات من الشعر
 في الانكليزية يخطها على بياض الوسادة ، واحكم وضع الوسادة بحيث
 تقع عليها عينا رثيفة متى استفاقت . وكانت الابيات انشودة مطلعها :
 « صرعت الموت إذ داني حبيبي ! »

وحينما وضع محمد ساقبه في بنطلونه وجد ان بطنه ضمير قيراطين !

*

تلك النوافذ التي لبثت مقفلة اسبوعين عادت تنفتح ، وذلك
 الوجه الذي شجب عاد إليه الرواء . وذاتك القيراطان اللذان ذابا
 استردهما وسط محمد الكرار قرار ربط . وكذلك رجعت المראה
 تتأكل نفس رثيفة إذ عادت اليها الحياة . غير ان حبها لمحمد عمق
 وزها صفاؤه فليس من شيء . يحمل النفس تتناكس مع نفس اخرى
 مثل ان تتوافقا في سفرة خطيرة .

وفيما تتمطى الحياة في منزل هذين الزوجين فاجأهما البريد بحالة
 منه دولار ثمن « صرعت الموت » ، واعترفت حينذاك رثيفة بانها
 أرسلت الابيات الى عنوان نقلته عن مجلة أميركية ، فتسلم محمد
 الحوالة ووقع على صك طويل عريض مطبوع بحروف صغيرة ،
 مبتسماً ابتسامته المأدبة غير مكترث ، شأنه في جميع أمور الحياة ،
 حتى انه لم يقرأ الصك الذي وقعه ، كذلك غفلت رثيفة عن قراءة
 الصك ، فقد اصبحت فوّارة المرح بهذا الظفر فلا تطيق قراءة .

*

في خريف عام ١٩٤٦ كان في دمشق موضوع واحد للمجون :
 محمد الكرار . فقد اكتسحت الدنيا اغنية «صرعت الموت» وترجمت
 الى كل اللغات ، وانشدت في المراقص والحانات ، وحينما جهزت
 رثيفة بان زوجها هو ناظمها تجارب الضحك في انحاء المدينة . فأي
 يصدق ان محمد الكرار نظم قصيدة قبض عليها مئة دولار
 ووقع صكاً يتنازل به عن كل حقوقه ، صكاً طبع باحرف صغيرة
 تكسل عن قراءته قبل ان يمضيه ؟ ومتى عرف عن «القرار» انه
 شكبير اللغة الانكليزية؟

وكان ربة المجنون لم تكنف بهذا لتسبع بالهزة عابديها ،
 فجاءتهم بشيء اضحك . فقد هرع تلامذة الاستاذ محمد اليه ذات
 صباح اذا بصروا به ووجهه الى الجدار يعالج بطنه بيد ، وسبابة
 اليد الاخرى في فمه يحاول ان يتقيأ فلما سألوا عن حاله اجاب :
 — ما من امر خطير . زوجتي في وحامها ، وفي بعض الاحيان
 تصيبها اعراضها .

فسرت في المدينة اشاعة ان الاستاذ حامل ، واي شيء من
 دلائل الحمل اوضح من ذلك البطن الضخم البارز ؟ وذات يوم
 طلعت جريدة «النخوة» بالجبر التالي تطوقه دائرة ضخمة حمراء :
 «يسومنا ان نعلم ان اجهاضاً جرى في منزل الاستاذ محمد
 الكرار ، وقد انقطع الاستاذ عن المداومة في مدرسته . ونحن فيما
 نذبح هذا الخبر آسفين نتساءل ترى اي الزوجين اجهض ؟»

*

بين الحيوانات الناطقة فئة سادية لاتستطيع الحياة الا حين

تدوس على الضعيف، فإن السقط في نفوسها يتطلب التفوق فلا يظفر به الا في اظهار القوة على من ضؤل شأنه . هم في بعض الاحيان يسرفون في الاجرام حتى ليقتلوا ، و احياناً تقصر جنائياتهم على ترويح الاكاذيب . وكانت من ضحايا هذه الشيعة الصفراء رقيقة ، اذ أنها بعد ان فقدت جنينها ضجرت بمنزلها فصارَت تبتعد عنه فافسعها ذلك ، وهي قد فهمت من الطبيب أنها حين فجعت بالجنين فقدت امومتها الى الابد . ولقد ارادت ذلك الجنين املاً يحقق ما وعد به محمد من فوز واخفق بتحقيقه في الحياة . فها هي الآن وزوجها ميت حي ، وآمالها بطفل قد تلاشت ، وغريزة الامومة فيها مكبوحة ، فلا عجب ان نبذت القعود في البيت ، وصارت تنزل الى السوق تبتاع حاجاتها بنفسها من خضار ولحم و ثياب وعطور وغيرها ، تبتغي بذلك التسلية وقتل الوقت . وامت تطيل الوقوف في الحوانيت لا تنعماً بالوقوف بل انتقاء لشر المكوث في البيت . هذا وقد بدأت اسعار الحاجات تتصاعد بحيث صار راتب زوجها يقصر عن شراء كل شيء تحتاجه ، فاصبح من الحكمة التروّي في الشراء والانتقاء والمساومة .

لذلك ارتجفت الالسة السوداء بسم الاقاويل : « هل بلغك ان رقيقة تطيل الوقوف في دكان اللحام ؟ ... هل سمعت انها تنهاس مع ذلك العطار ؟ ... هل قيل لك ان رقيقة والبقال في مغازلة ؟ » وكان من حسن حظ رقيقة ان لم يبق لها عشراء ، فلم يتوام اليها ما يقال عنها .

وكان آلامها من الاجهاض ، ونكبة الحبيبة بمحمد ، وفشلها

في امل يعيضا عن محمد ، وارجاعها من رؤية ذلك الفسقى الذي
عشقه وما تزال تهواه ، والذي سمعت من شففيه اولى كلمات الحب
في ليلة الزفاف ، وها هي تراه قد مسخ كاريكاتورا ، وكأن شقاءها
في عزلتها عن الناس - كل هذه تكالبت عليها فنحلت وتهدمت فما
عادت تستطيع الخروج عن البيت في بادىء الامر ، ثم عيّت عن
الحركة فلازمت الفراش وبدأت تتلاشى .

أما الاطباء فقد جاؤوها فرادى وبعثات ، واما الادوية فقد
استحالت دار الكرار الى صيدلية . ونزلت بمحمد الحيرة فلم يدر
ماذا يفعل . فقد دعا الاخصائيين من دمشق ، وبيروت ، والقاهرة ،
وكل يصف علاجاً ، ويذكر اسم علة ، ولم ينفق اثنان على تسمية
الداء . غير انهم اجمعوا على ان رثيفة ان لم تكن مسالوة فهي على أبواب
السل ، وان هواء الصحراء الجاف يفيدها . لذلك تهافت محمد على
قبول وظيفة معاون لاساتذة الجيولوجي في الصحراء السورية .
وانتقل برثيفة وأدويتها الى خيمة في البادية تحاذي خيمة الاميركي
البعثة . وقطع علاقاته مع المدرسة في ضاحية دمشق .

وهكذا مرت الشهور على تلك الخيمة يظللها شبح الموت ، ولا
يسمع فيها إلا أنات رثيفة وشظايا من كلامها ، اذ هي تحرض محمداً على
الاعتناء بصحته وتضرع اليه ان يأكل وأن ينام ، وتبكي اذ ترى
نحوه وشجوبه ونظراته النائمة . اما محمد فقد يئس من الطب
وغمر الحزن قلبه ففكرة الكلام ، فما عاد يرى إلا في بحر ان من
التفكير ، اللهم إلا حين يفتح القرآن ويجود آياته ، فان قلبه ينعم
بالايان فما تبدد آلام نفسه ولا يسكن قلقه إلا في نشوة ترتيل سور

المصحف الكريم .

وراحت الحياة فجمد حول تلك الحجة ، وكنف ظل الموت
واسود ، ورثفة تهبط نحو الفناء ببطء وألم ، ومحمد يتهدم ويحزن
ويجود القرآن .

وذات ظهيرة ، اذ كان الحميم ينتظر عودة الاستاذ الاميركي من
دمشق ، ظهرت سيارته القديمة تتبعها قافلة من سيارات ، وسرعان
ما نزل منها جمع من صحافيين ومصورين ، يتوفه بينهم في الوطء على
الثرى بعض كبار موظفي الدولة السورية ، واقبلوا على محمد يهنئونه
ويهنئون يده بجماس . وفي الوهلة الاولى ظن محمد انه انتقل الى عالم
الجهانين ، أو أن أحد تجاني دمشق قسا عليه باضحوكة جديدة .
ولكن الاستاذ الاميركي تقدم ووضع يده برفق على كتف محمد
وقال : « لقد افترقت نحوك اثم السرقة ، فاني كنت ابصر بك قرب
هذا السراج في الليالي واراك جاداً في الكتابة . وصرت اترقب
انصرافك فاسرق ، على علم من رثيفة ، ما نكتبه ، فانسخه حتى اكتملت
روايتك « غثرة والنفط » . لقد ارسلتها الى هولابود فاشتروها .
انما احدثوا فيها تغييراً . لا ادري ان كنت تذكر ما قلت فانما
اعيده عليك - كبير مهندسي شركة نفط اميركية - وهو كذلك
اعظم مساهم فيها - يستضيف شيخ قبيلة عربية في الصحراء .
يكتشف الزيت ويشترى ، بسل يكاد يستوهب الشيخ امتياز
استغلال الزيت لقاء ثمن بخس . تأتي الوف العمال ، وترسل الوف
المعدات ، وبعد الحفر يجدون اوقيانوساً من نفط فيفرزون القساطل ،
وفيما هم همون باستخراج النفط يظهر طيف غثرة فيجوف رحمه

ويشكه بالبئر فينتزع كل النفط ويفرغه بظرف صغير ، ويضع
الظرف وراءه على حصانه وينصرف كما اتى شبحاً لا يراه الا رئيس
المهندسين الاميركي .

وهكذا كلما حفر المهندس بئراً وظفر بالنفط جاء غنوة
فامتص النفط برمحه الى ظرفه ، واحتمله على جواده ومضى .

وطبيعي ان تضرب امور الشركة الاميركية المستثمرة وتهتز
ماليتها ويدب الذعر في قلوب مساهميها ، وتستبدل المهندس بآخر
ثم بغيره وغيره ، فما افاد التبديل بل استمرت الابار تطفو بالنفط
ثم تجف . وكان ان توفي الشيخ وتولى زعامة القبيلة ابنه ، وهو فتى
عالي الدراسة ، ففتش بين اغراض ابيه عن نسخة من اتفاقية النفط
فلم يجدها ، وطلبها من الشركة ففتحوا صندوقهم وانتزعوها فاذا
هي بيضاء الا آخر ورقة منها كانت خالية من الكلمات ولم يظهر
عليها الا صورة غنوة وحصانه ورمحه وظرفه .

وليس الاميركان من الذين يؤمنون بالسحر او الاعاجيب ولا
هم من الذين يفرّون من مواجهة الحقائق ، فادركوا ان كل ما في
الامر انهم يملكون معدات ثمنها ملايين نثرورها في ارض نائية غريبة ،
وانهم انفقوا الملايين في محاولة استغلال مشروع لا تحمي حقوقهم
فيه عقود مقالة . فاسرع رئيس الشركة الى ابن شيخ القبيلة ونفجه
اتفاقية سخت شروطها على ابن الشيخ ، فصار الاميركان متى
ظفروا بالزيت قدروا على استخراجهم من غير ان يسبقهم اليه
غنوة . وكان خلال ذلك - وهنا ظهرت اصابع هوليود - قد
استبكت عواطف ابن الشيخ في معركة غرامية ، احب ابنة رئيس

الشركة ، وزهد في النفط والحيام والثقافة ، بل ترك أمور القبيلة لاختيه الأصغر ، ووثب مع فتاته الى خلف عنقورة وراح جواد هذا يعدو بالثلاثة وبالظرف الفارغ الى الواحة الكبرى في قلب الصحراء تلك التي يجلبها السراب ولا يسكنها إلا كل من رضي عنه عنقورة .

وفما كان الأستاذ الاميركي يروي مختصر رواية « عنقورة والنفط » كان الصحافيون يدوتون الملاحظات ، والمصورون يلتقطون الصور . وعاد الأستاذ الى الكلام :

« هذه المرة لم نقترف غلطة « صرعت الموت » ، فسلطنا عدسة المكرو سكوب على كل حرف من سطور الاتفاقية ولم نوقع من غير أن نقرأ . في الاسبوع القادم ستحتفل هوليوود بعرض فلم « عنقورة » وسيكون محمد الفرار هناك ليساهم بالحفلة وليتسلم مئة الف دولار ثمن روايته .

اما محمد فكان يسمع ويرى ولا يدري ما الذي يجري حوله . غير انه استفاق عند سماع خبر سفرته الى هوليوود وعلق بصره بتلك المضطجعة على السرير فآلمه ان يرى ذلك الوجه الشاحب ، وقد تهدل جلد ساعدها فبان عظامه ، حتى ليحسب الناظر اليها انها ميتة لو لم تكن عيناها نجمتين بالحياة تسطعان .

وعبثاً تضرع الأستاذ الاميركي ، وتشفعت رثيعة ، ورجسا صحافيو دمشق ان في ظهوره شرفاً للعرب ، فكان محمد يجيب ان ما يشده الى سرير رثيعة هو شيء أثمن من الشرف ، وأحب من الشهرة ، وليس من شيء يغريه بتوك الحيمة .

ولكن محمداً في نهاية الامر سلب نفسه عن تلك الحيمة حين ظهر
له ان سفرته قد تيسر الفوز بطبيب عالمي الشهرة يصطحبه في
اوبته فيصف لرثيفة ما يشفيها .

*

حينما حوت الطائرة فوق مطار دمشق كاد محمد الفرار ان يقفز
منها ليعدو نحو خيمة رثيفة . وما ان وقفت وفتح الباب حتى
أمسك بذراع الدكتور « ماديون » وصاح به : « وصلنا ! وصلنا ! »
وسمع محمد هتاف الجماهير متبرماً وتقبل التهانى والوسام حانقاً ،
وأصغى الى القصائد والخطب في ضيق صدر ، وما تنفس الصعداء
الا حين ركب الاوتوموبيل مع الدكتور « ماديون » يرافقه
بعض مشاهير اطباء دمشق الذين عاجلوا رثيفة وقصدوا جميعاً الى
الحجيم في الصحراء .

وكطائر عاد الى عشه وفراخه بعد سفره منهكة خطرة ،
هكذا ترامى محمد على سرير رثيفة يقبلها ضاحكاً باكياً ، تهتز نفسه
بين تيارات العواطف . ثم افسح المجال للطبيب « ماديون »
فتقدم الى المريضة وقال : « اراك فتية ! يجب ان تستثري كل ما في
قواك من عزم ، وتعاوني معي على صرع هذا المرض . ان محمداً في
حاجة الى رفيق في سفرة هذه الحياة . »
فاجابت باسمه :

— « ان محمداً بلغ الذروة ، ومن صار في القمة لا يحتاج الى
رفيق ! »

فهر الطبيب رأسه وطفق يتفحصها ويسأل زملاءه عن

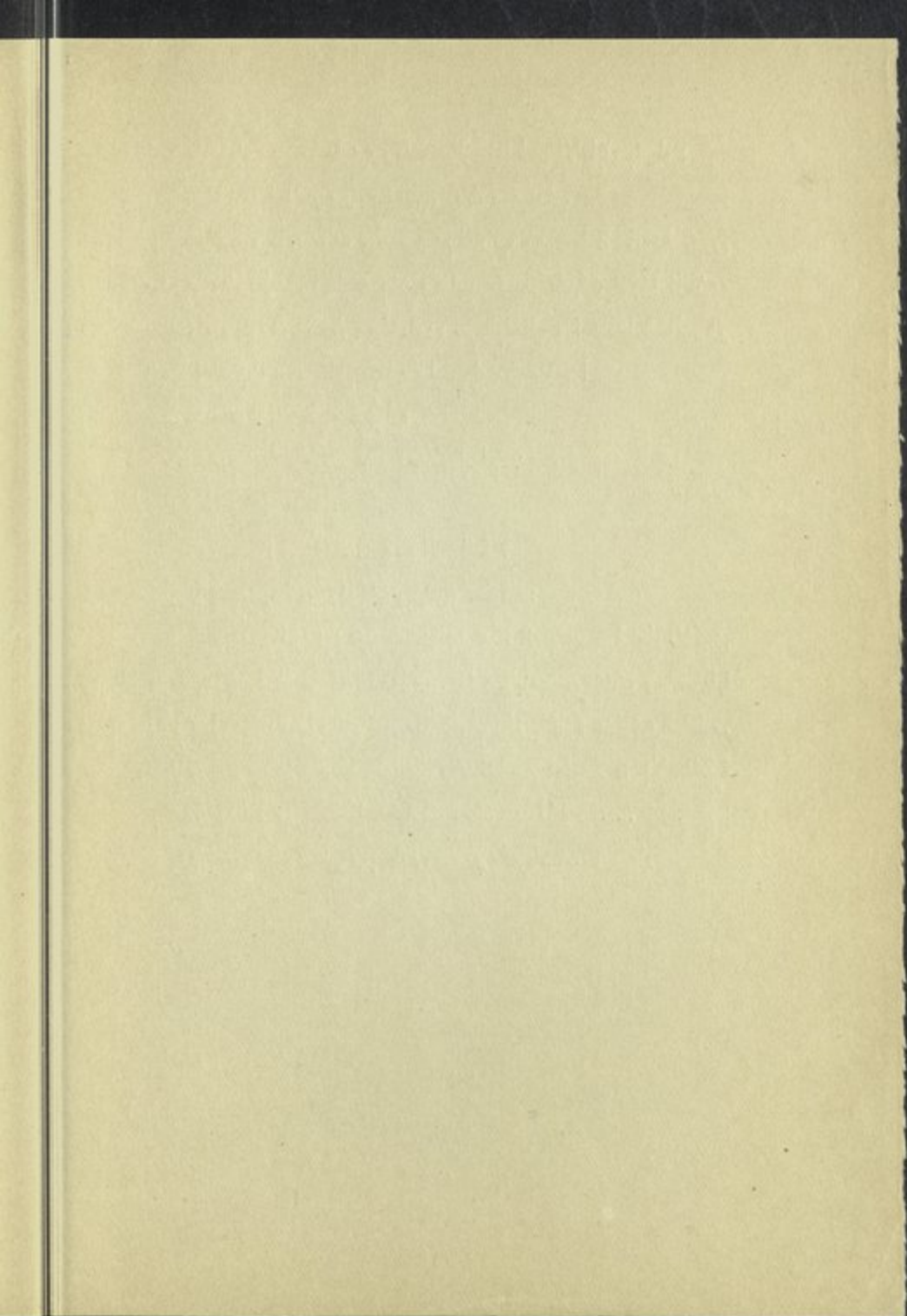
العلاجات التي وصفوها ، ووقف حائراً يخاطب الاطباء بقوله :
- كل ما فعلتموه ووصفتموه كان صحيحاً .

ووقف « ماديسون » حائراً ثم اقترب من العليلة ثانية يحس صدرها ، فارتطمت اصابه بشيء صلب خيطاً طي قميصها فانتزعه بعنف ، وإذ رآه انتفض صائحاً : « سم البنغال » ! هذا السائل هو السم الهندي الذي يقتل ببطء وليس له من علاج !
وتطلع إلى الاطباء هائجاً :

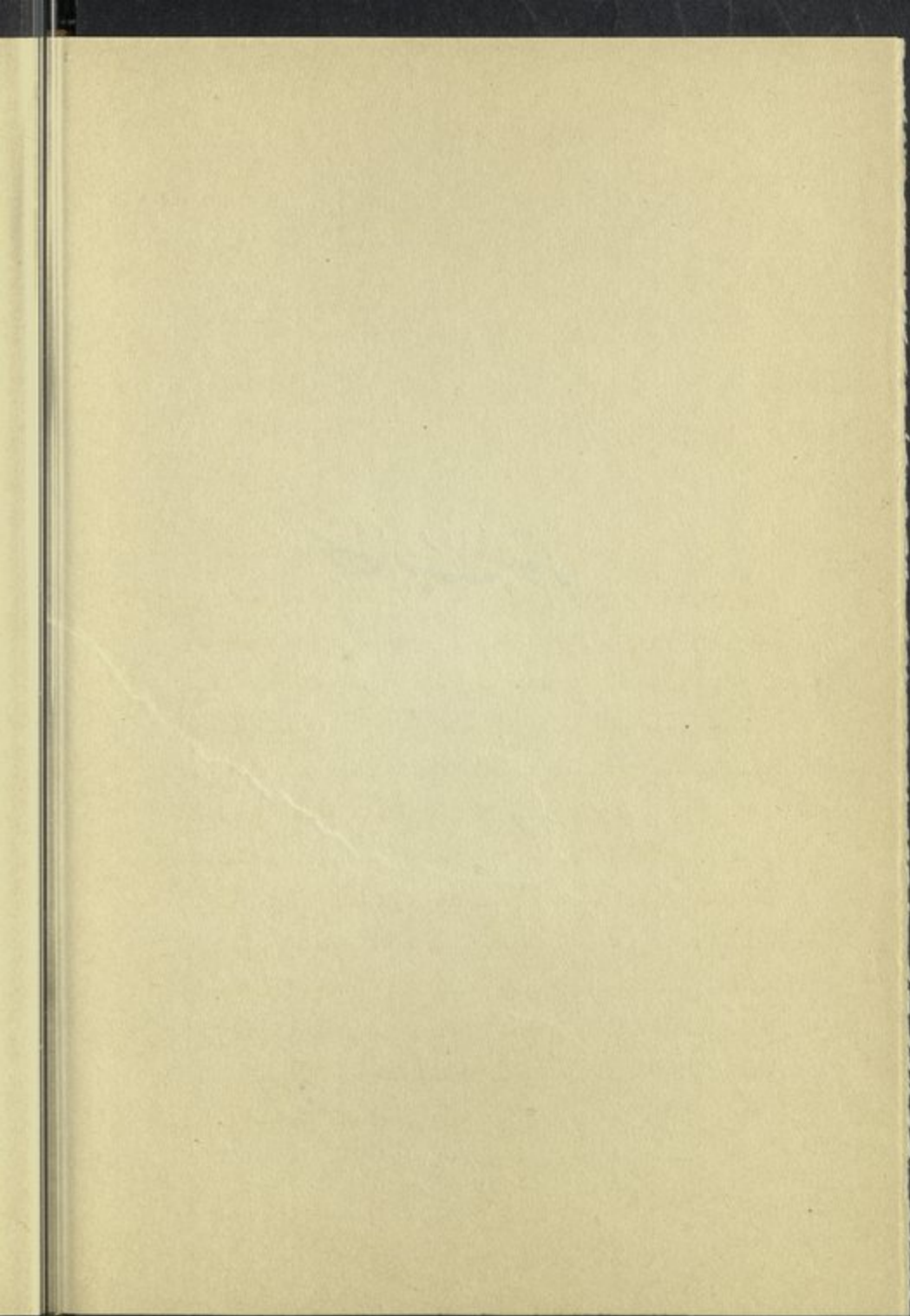
- من منكم وصف هذا العلاج السام ؟
وصاح محمد هلعاً :

- رثيفة ! من اعطاك هذه الزجاجة ؟
فابتسمت رثيفة وتكلمت بهدوء الظافر :

- لا تتهم احداً . لقد فتشت عن هذه الزجاجة طويلاً حتى وجدتُها اخيراً في سوق العطارين . ما هي بزجاجة تلك ، وما سائلها بسم ، بل هي الدواة التي يجربها كتبت رائعتك « غنوة والنفط » .
والآن اقترب مني وخذ بيدي وحدثني عن الحفلة الافتتاحية في كاليفورنيا وكيف استقبلتك دمشق في المطار ...
وشعت الحياة على وجهها ومضة ثم اضمحلت .



الخطابُ المبتور



وقعدنا في ديوانه نتحدث صامتين ، انا والباشا .
 اصغى انا الى افكاره فاسمعه يقول : « انا الوزير وهذا ديواني .
 ان صحف بيروت تطبع صورتي وتنتشر اخباري كل يوم . بين يدي
 سيف السلطة ، وجاه الحكم ، وابهة السلطان . انا عشير الملوك
 و خليل السفراء . ايماءة من اصبعي على هذا الزر ، تسير جيشاً .
 من هذا الشيخ الجالس امامي ، الطافر من ظلمة ماضٍ بعيد ؟ بلى
 عرفته في الجامعة ، ولكن ذلك كان منذ ربع قرن . وليكن اسمها
 جامعة فهي مدرسة على كل حال . وماذا يهم ان كان هذا الرجل
 ذا شأن في ايام التلمذة ومتفوقاً عليّ ؟ ! هذه مدرسة الحياة وانا
 فيها وزير . أما هو من هو هذا العائد من مهجر يجمل موقعه اساطين
 الجغرافية ؟ ومن يأبه لتلك التسعة الدولارات والثلاث من الدولار
 التي قيل انه جاء بها من غربته ؟ ! وماله يقتعد ذلك الكرسي مثقلاً
 بثقة النفس ؟ ! وما هذه البسمة الساخرة على شفتيه ؟ ! تراه تحدّثه
 نفسه انه احق بمقعدي مني والله ...

وانصت هو الى صمتي فراخته رعود تفكيرى وبروقه : والله ،
الله ! هذا نديم بعينه . رحم الله عهد التلمذة ، يوم كان مسعود يتبع
خطواتي مبصصاً بذنبه ، متودداً الى ، يستكتبني خطاباً او يرجوني
ان اصلح له مقالاً ، ثم يستعطفني ان اتوسط له صحافياً ينشر له
ذلك المقال . بلى كان مسعود موسراً فابوه يغدق عليه الحوات
من اوسراليا . وكان مسعود انيق الثياب . ولقد اوجت افاقته
وفخامة مظهره الاجوف الى احد بحان الجامعة « سمير ملوك » ان
يطلق عليه لقب « الباشا » . وهذه خمس وعشرون سنة مرت ،
تقلب خلالها مسعود على كرامى الحكومة حتى منحه ملك عربي
لقب باشا .

فصار « الباشا » باشا من صحيح . هل انتقمت الايام من اثم
انصفت مسعوداً ؟ وكدت افهقه هزءاً بنفسى وبسمير ملوك ،
ام هزءاً بمسعود - لم ادر . . .

ولبنا في صمت يشق دويه الآذان ، حتى التقت عيوننا فابتعد
اللؤم عن نفسينا ، وذبنا نحن الاثنين في ضحكة طاهرة ، هي
سكرة الروح اذ تستل من ذكريات صباح العمر اشعة تنفذ الى
كوى النفس فتثير ظلمة كهولتها وتبخر ما فيها من قذارة ، فنسينا
الحصام والتفوق والحسد . ومضت ساعة انس ودعابة . فلما
هممت بالانصراف صاح بي مسعود : « اذا انت عازم على زيادة
« سرايا » ؟ ما اجل هذه المصادفة ! انا قاصد الى « سرايا » . هي
في قائمقامية « العباسية » . ما اسمه - صديقك الذي قتل في
« الفلبين » ؟ رشيد المغربي ؟ بيت المغربي جماعة « اوادم » . في

الانتخابات الماضية اعطونا اكثرية ٩٤ صوتاً . سأمر الحاجب ان لا يطلب منك بطاقة حينما ترجع في صباح الغد . ادخل هذا الديوان فور وصولك . نمشي حوالى الساعة العاشرة على فوقه — يجب ان تنسفهم خطاباً . لكن كنت نسيت صنعة الخطابات ففي ديواني كاتب لا بأس به يحسن انشاء الخطب . لا تدفع له شيئاً فمعاشه يكفيه ، وانا دائماً أتصدق عليه بشيء . روبدك ! وكبس الزر الكهربائي كبستين طويلتين ، وكبسة قصيرة فما اسرع ان هرول الينا رجل اصلع شاخ فتياً ، فزرر سترته وانحنى متضعاً امام الباشا . فحاطبني الباشا مشيراً الى الكاتب : « لعلك تذكره . هذا » سمير ملوك » .

*

ولقد علمتني الغربة احترام الوقت وتقديس المواعيد ، فمثلت في ديوان الوزير في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي ، فلم أجده هناك . وبعد انتظار ساعة أقبل في طليعة جماعة نواكبه وجثم على كرسيه يتحدث معهم بشؤون لم افهم مغازيها ، فمن بحث في سباق الخيل ، الى الاعجاب بفلم مصري ظهر حديثاً ، الى نقد قصيدة رثاء ، الى مفاضلة بين سيارتي « كرايسلر » و « بوبك » . وانا بينهم صامت مشدود حتى جاءت ساعة الظهر فدعاني الباشا الى الغداء معه . ولم نترك بيروت حتى الساعة الواحدة بعد الظهر إذ مرنا في قافلة سيارات تحمل جنوداً وموظفين . وكنا كلما بلغنا قرية أوقف الموكب جمهور القرويين ، وتبادل الوزير الخطب معهم والاحاديث السياسية . راذاكران وظيفة معاون جمرك في بيروت كانت شاعرة .

في ذلك الحين، وكان الوزير يعد بها عشرة اشخاص في كل قرية نمر بها . وكان الباشا يباهي امامي بدهائه السياسي : « السياسة » ، وتقليد الباشا « هي اخذ وعطاء . خذ مواعيد باصوات انتخابية ، واعط وعوداً بوظائف حكومية » .

قلت : « اذا جاء يوم الحساب فكيف تبر بعودك لهؤلاء وتقدم كلهم في كرسي واحد ، اترك تفعل المستحيل وتكذب علماء الطبيعة ؟ ... »

فابتسم وقال : « ان السياسي هو رجل يفعل المستحيل ، ووظيفة معارن الجمر ك اتفقنا بالامس مع دمشق ان تكون لسوري ! » وقبحه .

وراح الباشا الوزير يضحك في عيني نفسه كلما اوغلنا في هذه السفارة ، فطفق يحدثنني من جديد عن ذلك الكتاب الذي هم بتأليفه ، وانه يستمد عناصره من الحياة مباشرة . وصار الكتاب يضحك بعد كل استقبال ، حتى حسبت انه اذا استمرت استقبالات الاهالي فسيصبح الكتاب دائرة معارف .

وهوّن الله فبلغنا سراي « العباسية » . وكان الاستقبال هنالك رائعاً إذ أتت وفود القرى ببيارقها ، واستلفت نظري علم « سرايا » المتعدد الالوان . وعلا الهتاف للوزير . وسرعان ما اعتلى الباشا منبراً وراح يخطب في الشعب . فبعد ان تغنى بالعباسية واجادها النارية واكد لسامعيه ان أباً من ابناء قائمقامية « العباسية » يفوق سوبرمان ، وطرزان ، وغاندي ، وانستين ، ونيوتن ، وعلي الزبيق أو هنري فورد أو غنوة العباسي ، تخلص الى ذكر « الفلبين »

والفاجعة التي نزلت بالشرق المتوسط باستشهاد البطل رشيد المغربي،
وان الباشا حينئذ علم بالخطب من صديقه، وأشار اليّ، اسرع فسانني
ان آتي بنفسي لاحمل لبني العباسية وصية شهيدهم الاخيرة .

إذ ذاك أشرفت عليّ الحقيقة حين عرفت ان زيارة الباشا
للعباسية لم تكن صدقة ، وانه اقتادني الى هناك ليستثمر حضوري
ويبتاع به أصواتاً انتخابية . وكأنه لمح حنقي ، وكنت الى جانبه
على المنبر ، فأخذ يقدمني للجمهور ، ويعزو إليّ مقاماً سياسياً في
المهجر لم احلم به ، وغمرني بالقاب علمية لم أسمع بها ، ولقيني بسموأل
لبنان الذي تحمل اخطار الاسفار ومشاقها الى لبنان لأحمل وصية
الصديق الاخيرة .

وجاء دوري للخطابة فنهضت وفتحت فمي :

« ايها الاخوان

كان رشيد المغربي بين يدي حينئذ لفظ أنفاسه الاخيرة

فهز حامل علم « سرايا » يبرقه وصاح : « فليحي بطل سرايا ! »
فاجابه فتى يحمل علم « الفجيص » : « اخرس ! ان رشيد المغربي ابن
الفجيص ، فليحي رشيد المغربي بطل الفجيص ! »

وتطايرت الشتائم واشتبك بنو القريتين في معركة بترت خطايي،
فوجت واتخذت موقفاً حيادياً . ولقد علمتني معارك « الفلين » ان
الحذر كل الشجاعة ، فهرعت ابتغي مكاناً قصياً ، غير ان
أمواج المعركة غمرتني ، ولم ادر إلا وعصاً كسرت على كتفي
الايسر ، فماجت الدنيا في عيني ووقعت على الارض استمع الى اصوات
القتال يعني اذني ، وأصفي باليسرى إلى زقزقة عصافير الجنة ...

وفرق الجند بين المتقاتلين ، وتوسط العقلاء ، فسكنت الجلبة
واعلى الوزير المنبر ثانية . فبعد ان يجد قرية « سرابايا » وعظم
ضبعة « الفحيص » ، ذكر أن الشهيد رشيد المغربي ولد في « سرابايا »
فهو ابنها غير منازع (هتاف من بني سرابايا) غير أن املاكه
في « الفحيص » وزوجته منها ، وفيها كان عداد تذكرة نفوسه
فهو بدون شك فتى « الفحيص » (هتاف من الفحيصيين) . وكان
الباشا يود أن يطلق على الشهيد لقب « بطل القريتين » ولكنه
يريد ان يزيد إلى أجداد « العباسية » التاريخية فتحاً جديداً ، فهو
يرغب إلى الجمع أن يوافقوه على تسمية الشهيد « بطل العباسية »
فدوى الهتاف ، واطلق الرصاص ، وهاج القوم فرحين وبدين
اقتراح الوزير في حكمته السليمانية ، فشكرهم الباشا وتمنى الشفاء
العاجل للاربعة عشر جريحاً .

حينئذ تقدم زعيم المقاطعة وبلغ الوزير قرارات القوم التالية :
اولا - مطالبة الحكومة الاميركية بتعويض مالي لاسرة
الشهيد .

ثانياً - إقامة تمثال « بطل العباسية » وتوجيه الدعوة للتبرعات
الى المهاجرين في أنحاء الدنيا .

ثالثاً - مطالبة رئيس الجمهورية اللبنانية بتعليم اولاد الشهيد على
نفقة الحكومة .

رابعاً - شكر فخامة الوزير لعطفه على المقاطعة .

خامساً - ارسال تلغرافات الى صحف بيروت بهذا المعنى .

*

قال الوزير لسائق السيارة « تمهل ! ». وأوضح لي : « اريد ان
أتمتع بمشهد هذا المغيب . اودّ في كتابي وصف سيارة تتحدّر إلى
بيروت عند الغروب . وعلى ذكر كتابي آسف أنك لم تنه خطابك .
قل لي ماذا كانت كلمات الشهيد الاخيرة ؟ فقد سمعت انه مات بين
ذراعيك . »

اجبت : « لقد نطق بكلمة واحدة قبل ان يلفظ انفاسه . »

- ايّ كلمة ؟

- كلمة « آخ ! » .

- قل لي كيف صرع ؟

- كان بين نارين .

- اليابانيون والاميركان ؟

- اليابانيون وزوجته .

- وكيف كان ذلك ؟

- ارادت زوجته ان تغسل فستانها ، فأمرت زوجها رشيد

المغربي ان يملأ لها سطل ماء من قسطل قرب اليابانيين فلما دنا منهم
صوبوا البنادق وأمروه بالرجوع .

- ولماذا لم يرجع ؟

- لأن امرأته أمرته ان يملأ السطل ماء ...

- إذا فقد مات ...

- حاملاً سطلاً ...

قال الباشا : « اريد ان اصف ، في كتابي الجديد كيف يتفجر

الدم من صدر قتيل . قل لي بم شعرت حين رأيت الدم يفور من

صدر صديقك ؟

- لم يكن هناك من دم .

- إذاً كيف قتل رشيد المغربي؟

- الخوف قتال يا باشا !

وقبل أن نترجل من السيارة في بيروت شعرت انه جاء دوري
بالقاء سؤال . فتطلعت اليه وسألته بلهجة ايام التلمذة : « مسعود !
كيف حدثت هذا النفاق ؟ » فضحك حتى كاد يغمى عليه ، وامسك
بكتفي الصريحة وخاطبني بلهجة الحكيم يعظ أحرق فقال : « الصدق
قتال يا باشا ! »

وحينما غابت سيارته عن عيني وانقطع صوت قهقهته تبلمجت لي
الحقيقة المؤلمة ، وهي ان مسعود ألبسنا في زمن الكهولة وفي
مدرسة الحياة لقباً خلعهنا عليه . ايام الصبا وفي مدرسة التلمذة
فخاطبت نفسي معترفاً بلقي الجديد : « هذه حال الدنيا يا باشا » .

البُهرانُ القِساطِيعُ

كتاب الفقه

بعد السلام والكلام اسمعني تلك العبارة من جديد ، فامسكت
بكلتا يديّ قميصه من تحت عنقه وهزّزته هزّاً عذيفاً رجرج نظارتيه
وصحت :

- انطق بهذه العبارة مرة ثانية ترّ نفسك مضطجعاً على مخمل
هذا الرصيف تعدّ نجوم السماء في هذه الظهيرة ...

ولقد كنت فظاً قاسياً على مخاطبي ، ولكنها عبارة سمعتها من
كل من لقيته بعد رجوعي الى « مانيلا » على أثر دخول القوات
الاميركية تلك المدينة ، ونحريرها من اليابانيين . اذ طُفّت الشوارع
والمناجر اطلب واتداول مع اصدقائي ومعارفي في شؤون تحصيل
الرزق . وكانت كل محادثة تبتدىء او تنتهي بنفس العبارة :

- « افتح خماره » .

كيف افتح خماره وقد ولدت وشيّت في « بعقلين » لبنان ،
تدوي في أذني كلمة « حرام » . بلى ، حرام ان تقبض « فائظاً » على
دين ، حرام ان ترمي بكسرة الخبز ، أو تنفق من معاشات الحكومة

او من دفعات المهاجرين . حرام ان تدخن سيكارة او تفوه بشتيمة
- كل شيء حرام إلا عبادة الله ، وقهر النفس ، وحرارة الارض ،
والعناية بها .

وهنا في « مانيلا » يريدوني على ان افتح خماره !. أي شيء من
ماضي بان سافلا فشحهم على مثل ذلك الاقتراح !. فلا عجب إذن
ان ثار حنفي حين سمعت تلك العبارة من جديد . واني عصبي المزاج
لا اقوى على كبح غضبي متى ثار . لا سيما اذا كانت خصمي وضع
الحال ، نحيل البنية . عجباً لسراع الغضب : كيف يضبطون
عواطفهم أمام من يفوقهم قوة أو شأناً ! ذكرني متى اجتمعنا ان
اروي لك كيف استطعت ان اكبح جماح غضبي في حضرة ضابط
ياباني يدغدغ كفتي بسوطه ، ويصف السالفين من اهلي بكلمات
تسمع ولا تطيع !.

وحين أفلتت فريستي من يدي تابعت تساري في الشوارع ،
فألقيت حوائثها خماره تجاور خماره ، فضلا عن متجولي الباعة الذين
ملأوا جيوبهم وأيديهم بقناني الوسكي ، والجنود والبحارة يملأون
الشوارع والأقنية بأجسامهم وشتائمهم ودولاراتهم وعراكمهم ..
ولئن جاز ان تسمى دمشق مطبخاً كبيراً ، فقد كانت « مانيلا » في
تلك الايام حانة كبيرة .

وفيا انا أحسب نفسي اسير وحيداً ، تطلعت فاذا بالأسود
الباسم ذي القرنين والذيل الطويل يمشيني قائلاً :

- يا مجنون ! حين ترجع الى لبنان ، سيسألونك كم جمعت من
مال ، لا كيف جمعت المال . ارجع عن غباونك وافتح حانك .

تغنيك في شهرين . تلك الدنيا التي عمرت بها مخيلتك طمست ولن
ينقب عن آثارها الباحثون !

« هلو عمّو ! » بادرني ولیم زعرور الجندي اللبناني الاميركي ،
طارداً الشيطان من جوارى . « أراك سابجاً في التفكير ، بماذا
تفكر عمّو ؟ » قلت :

- اني افكر بوسيلة اكسب بها دولاراً من غير ان افتح فخارة !

قال : - لماذا لا تحاول الخدمة في الجيش ؟

- هاه ؟!

- كمدني اعني . انهم يستخدمون الوف المدنيين . اذهب الى

البنية الكبرى قرب المرفأ وقدّم استدعاءك .

وحين صعدت درجات تلك البنية لم أدر كيف بلغتها فاني لم
اركب أي عجلة تمشي على دواليب ، كذلك لم اذكر ان قدمي
لمسنا الارض . غير اني اعرف من نفسي اني متى أردت الاسراع
شدت على كتفي جناحين .

« اني أطلب عملاً ، اجبت الفتاة الاميركية التي سألتني . « هل
في وسعي ان اسعفك ؟ » فناولتني ورقة ملأتها باسمي ، وجنسيتي ،
وسيرة حياتي ، واسم ابوي ، وثقافتي ، وأمضيت تلك العريضة
ودفعتها الى الفتاة سائلاً :

- متى اعود ؟

قالت : ان لم تكن في عجلة فاصبر قليلاً . نحن في حرب ونفعل
كل شيء بسرعة .

فجلست في قاعة الانتظار هنيهة ، وسرعان ما عادت الفتاة

مبتسمة قائلة :

— تفضل بمقابلة كبتن كلي .

وتبعتها الى حيث اشارت فنفض الكبتن وحياتي وقدم إلي
سيكارة قائلاً :

— اني درست عريضة استدعائك . ان المعاش الذي ندفعه لك
هو ١٥٠ دولاراً . اراك تبتسم . اني ادري ان هذا المعاش
لا يكفيك . انتم المدنيين تدفعون دولاراً ثمن عشرين سيكارة وثمانية
دولارات ثمن كيلو لحم . لهذا دعوتك اليّ . اراك تدعي انك
خريج الجامعة الاميركية في بيروت ! هذا حسن . حسن جداً !
اننا نحسبك كخريج جامعة اميركية في الولايات المتحدة ونجعل
معاشك تسعمائة دولار ، اراك فرحاً . انما لا تتعجل ، فنحن نريد
برهاناً قاطعاً على انك خريج الجامعة الاميركية في بيروت ... هل
لك ان تأتيني بشهادتك ؟

قلت : — انها ...

— احترقت . هذا ما كنت اخشاه .

— لا ... لم تحترق ولكنني احرقتها خوفاً من اليابانيين . غير انه في
وسمي ان آتيك بشهود ...

— شهود ؟ ما نفع الشهود . انا في وسعي ان آتيك بشهود انني
انا الرئيس روزفلت وغريتا غاربو .

— لماذا لا تبرقون الى بيروت ؟

— التلغرافات هي للامور الحربية فقط . ولكن تعال معي
الى ج ٢ - دائرة الاستخبارات . هناك يعرفون متى حشوت

ضرسك ، وماذا همست في اذن حبيبك اذ قبلتها لأول مرة .
هيا بنا فمكتبهم في البناية المقابلة .

ومشينا معاً ، ولم استغرب الاهمية التي يعلقونها على الجامعة
الاميركية في بيروت ، فاني ما حدثت اميركياً الا وجدت انه
قد سمع بتلك الجامعة فمعظمهم يجهلون اين هي سوريا او لبنان ،
ولكنهم يعرفون الجامعة الاميركية في بيروت ... - انها مؤسسة
ثقافية عظمى مكانها اسطنبول او اثينا ، او القاهرة وربما كانت في
القدس او بغداد .

وودعني الكبتن كلي بعد ان عرفني الى الماجور ملر وخوفي
منه قائلاً ، مشيراً الى ملر : « حذار من هذا الذئب . لكن دعاك الى
سهرة فارفض الدعوة . » ثم زاد : « لكن جئتهم بالبرهان القاطع انك
خريج جامعة بيروت ، فابدأ عملك في صباح الغد بمعاش تسعمائة
دولار ، فشكرته وانصرف .

أما ملر فقد كان سريع الخطى ، فلقى الصوت ، يختطف
الكلام ، ولكنه كأكثر الاميركان ، مصقول التهذيب لطيف ،
ففتح الباب الذي وراء طاولته ودعاني : « لنمش الى الشرق الاوسط .
انه في الجناح الايسر من هذه البناية .

ودخلنا غرفة كبرى كتب على رتاج بابها « الشرق الاوسط »
عمرت بالرغوف تحتشد فيها الكتب والاوراق والصور . وما ان
لفظ ملر « الجامعة الاميركية في بيروت » حتى جاءه القائم على تلك
الغرفة بدفاتر وكتب . وراح الماجور يقرأ احداها عابساً بعض
الاحيان ، ومقهقهماً تارة فهقهة هزّت كل خلية في جسمه ، ثم سألتني :

— بالطبع انت تذكر بعض اغاني الجامعة ؟

فوقفت وانشدت منها اغنيتين .

فقلب مجلد صور فوتوغرافية وسأل : « هؤلاء الرجال . هل تعرف منهم احداً ؟ فحدقت واجبت سلباً . وقلّبت الورقات الى ثانية ، فاشترت باصبعي الى تلك الهامة الجرمانية ناعمها عليقة من الشعر الابيض الكشيف واجبت « رحم الله الاستاذ نيكولي مدرسي في علم الاقتصاد »

— وهذه البناءات ؟

— بلى هذه « وست هول » حيث تقام الحفلات .

وكدت ان احذنه عن « لولا المحامي » و« نجب العدر » غير اني ذكرت ان الاميركان يمتنون المتبجحين .

ثم راح يتصفح دفتر آخر ظهرت فيه حوانيت ومتاجر ومطاعم ، فلما ان وصل الى صفحة ٣٣ صحت « قف ! هذا هو المطعم الذي يقابل بوابة الجامعة . هذان صاحبا الأخوان توفيق واديب فيصل ، وهذا الدفتر الاسود الذي بينهما هو دفتر الهوالك . لو تصفحته لرأيت حسابي غير المدفوع — ٣٤ ليرا و ٢٨ قرشاً .

فأطبق الدفتر ودفع به وبالكاتب الى القيم على تلك الغرفة . وصمت برهة مفكراً ثم خاطبني :

— اسمع ! نحن في حرب وانا جندي في جيش . اني مقتنع انك خريج جامعة بيروت ، ولكننا في الجيش لا نتفقد الامور بسبب الاوهام او الاقتناع او الشعور او الظواهر ، بل نتقصى الحقائق الراهنة . ما ادراني انك لم تكن مستخدماً في الجامعة ، أو تلميذاً .

او انك عرفت هذه الامكنة والاشخاص بسبب مصادقتك لاحد
الناس في الجامعة ؟ اني آسف ان ليس في مقدوري ان أثبت
المكبتن كذلمي انك خريج جامعة بيروت اذ انك لم تأتني بالبرهان
القاطع . غير انه في طاقتي ان اخدمك . تعال الى حانوت الجيش
واشتر بعض حاجاتك . اسعارنا بخسة .

وهبطنا الى الحانوت ، وهو في الطابق الاول من البناية
فعجبت لهذا الجيش يحارب ويضطرب معه ما رأيت من بضائع ،
فقد ابصرت الغرائب : كمنجىة ، قيثارة . ماندولين ، كل انواع
العطور والحمر والبودرة ... وما فتح الله ورزق من ضروري
وغير ضروري . لا عجب أن قال ذلك القائد الالماني في ايطاليا
« الجيش الاميركي ؟ ! زمرة مليونارين في اثواب جنود ، ولما
فرغت الفتاة التي تتولى البيع من خدمة احد الزبائن ، اقتربت من
رفيقي المماجور فحبتته !

- مرحباً يا عشيقى .

اجابها :

- مرحباً يا جميلة الوجه !

قالت :

- حسبتني نفضت يدي من كربه خدمتك امس حين اشتريت
كل حاجاتك بتلك المزيقة التي اعطينتها صباح البارحة .
اجاب المماجور :

- ما كنت لارجع الى النطلع الى سجنك البشعة لولا اني
اريد ان اشتري - وأشار الي - بعض حاجات لرفيقي . هاك

وثيقة تخصيصاتي ، ولا تبيعيني ثانية من تلك القاذورات السي
تسمينها بضاعة .

وتطلعت الفتاة الى وثيقة التخصيصات بلحظة خاطفة وكلمتني
« ان جشع صديقك لم يبق له حقاً بالشراء الاّ حذاء واحداً » وشمعاً .

قلت للماجور : « املك في حاجة اليها »

فمد قدمه يريني حذاءً بنيّاً جديداً ، وأشار الى مشمع بحمله
على زنده واجاب « لقد اشتريت هذين امس وعندني في الخيمة
سوامهما »

وقاست الفتاة قدمي وقامت بلحظة خاطفة ثانية ، وجاءتني بسرعة
البوق بمشع قياس ٤٢ وحذاء بقياس ٩ ١/٢ فنقدتها ١١ دولاراً
وحملت ماثته في المدينة ١٢٠ دولاراً : وراح الماجور يشوقني
الى شراء اغراض ثانية مباحة كمياتها ولا ترتبط بوثيقة مخصصات ،
فرفضت شاكراً ، فان آداب السلوك في « بعقلين » لبنان ، هي
ان لا تشبع على مائدة مضيفك مهما برّح بك الجوع .

وكان رفيقي من اولئك الذين تزخر معلوماتهم فتطوف عن
السننهم فتفرق عشراءهم ، اذ ما امرع ما سمعت الماجور يقول :
« انت من العنصر السامي بلاريب . انظر الى قامتك فهي في طول
قامتي وعرضها . كلانا في قياس ٤٢ ، اما حذاؤك فهو قياس ٩ ١/٢
في حين اني البس ١١ ١/٢ . اني اراهن ان ساقى اعلى من ساقك . »
وكشف بنظونه ودعاني الى المقايسة فوجدته صادقاً اذ ان ركبته
علت ركبتى بنحو قيراط . وعاد الماجور الى دلق المعلومات :
« لا عجب فانت سامي وانا انكلوسكسوني . اما هذه الفتاة فهي

اسوجبة الاصل ، واني اراهن ان ساقها اطول من ساقى مع انها امرأة » فدارت الفتاة حول الحاجز الذي يفصلها ووضعت قدمها قرب قدمينا وحسرت عن ساقها الى همامة فغذها ، فباتت ركبتيها اعلى من ركة الماجور بنحو نصف قيراط . وكاننا رفيقي رأى ما أربه فجلس « بطة » ساق الفتاة وصاح : « حذار ! فقد ضخمت بطة سافلك واشتدت وان هذا في المرأة لعيب . خفني من الالاعاب الرياضية » .

فاجابت الفتاة مشمثة : « كذب وبهتان . ان ساقى جميلتان ! ليس من فتى في الجيش لم يهنئي على هندامهما . كذلك لن انقطع عن العتلة » .

ودارت نحوي ودعنتي لأن أجس : « قل لصديقك هذا الحبيث ان كانت بطة ساقى ضخمة العضلات » . فلمست ساقها لمسة خفيفة وابتسمت متأدباً شأن الغريب لا يود ان يشترك في جدال بين صديقين .

وحين صرنا في الباب منصرفين التفت الماجور الى خلفه وسأل « ماذا تفعلين هذه الليلة ؟ » اجابت « اسأل الليوتنان سمث . هو الذي يخرج بي هذه الليلة » .

فغمز رفيقي بعينه وصاح « بعض الفتيات محظوظات » . اجابت صديقتة بعد ان اخرجت لسانها ساخرة : « بعض الضباط طوال الألسنة ! » .

وحين صرنا في الشارع فاضت معلومات الماجور ثانية فجسّد ملاحظاته الفلسفية : « ان الذين لا يفهمون الاميركان يعيبوننا بامور

نحن منها براء . ان دعابتنا مع النساء طاهرة ليس فيه لؤم الفجور ،
 فلسنا نحسب اعضاء الجسم مما يحرم ذكره أو لمسه . اجبت متلعنا :
 « صدقت ، لقد عايشت الامير كان وخبرتهم » واحمر وجهي . تراء
 لاحظ كيف بلغت ربيقي وارتمشت انا ملي حينما لمست تلك الساق ؟
 وارتدت الافتراق عنه فيجرني الى مطعم عبر الشارع وأصر علي ان
 اشاطره زجاجة بيعة ، فجلسنا نتحدث اكثر من ساعة استهلكنا
 خلالها زجاجات لا زجاجة واحدة . ولم يشأ الا ان يدفع عني ،
 فشكرته . وودعني معتذراً ، شاجباً قوانين الجيش التي تغلّ يديه
 عن خدمتي وتسهيل امر استخدامي .

ووقفت في عتمة ذلك الشارع ، خارج الرستوران ، وقد بدأ
 المطر يقع رذاذاً فوضعت المشمع على كنفني من غير ان ارتدبه ،
 وكانت اوركسترا المطعم تعزف لحناً خافتاً ، وفي نفسي ظلمة
 أشد حلكاً من عتمة الشارع ، وفي قلبي وحشة وغمرة حزن .

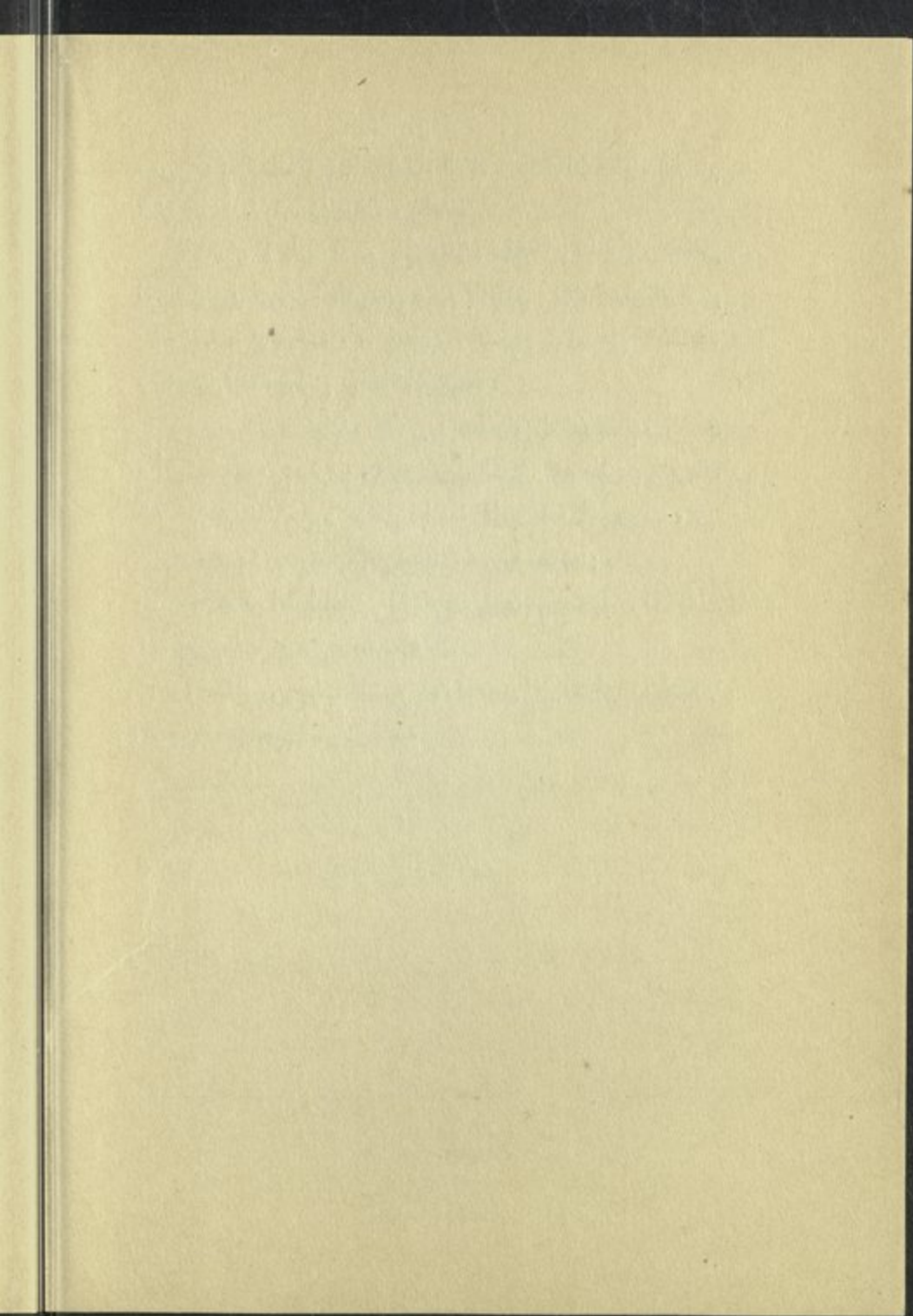
لقد مرت بي مواقف يأس كثيرة في هذه الغربة المريوة .
 اذكر يوم كنت اتمشى بابنتي الصغيرة في البوفار اذ مرّ بائع بالونات
 ملوّنة منفوخة فسادته ابنتي وصرفته أنا إذ لم يكن معي ثمن ذلك
 البالون . كذلك اذكر رعب السجن الياباني حيث ضاجعت
 طيلة الليل رجلاً صينياً ميناً لفظ انفاسه في وجهي وصغت دماء
 قميصي . واذكر يوم اختبأنا رجلاً ونساء واطفالاً في كهف اتقاء
 غارات الطيارات ووقعت القذيفة قربنا بحيث لفعت وجوهنا ريجها ،
 ولكنني لا اذكر مرارة قطعت نياط قلبي مثل تلك التي شدت على
 اوتاره حين وقفت خارج ذلك الرستوران لا ادري الى أين اسير ،

ومن ابن اكسب الرزق في اليوم التالي . حقاً ان الحيرة آلم على
النفس من الحيرة ، والحوف ، والفاقة .

لا ادري كم طال وقوفي هناك : الحظة ام ساعة ، ولكنني
استفقت من غيبوبة آلامي على فقهة الماجور ، تلك الضحكة التي
كان يقهقهها في مكتبه وهو يقلب الكتب وينهال عليّ بالاسئلة .
وفيا هو يقهقه خاطبني بكلمات منقطعة :

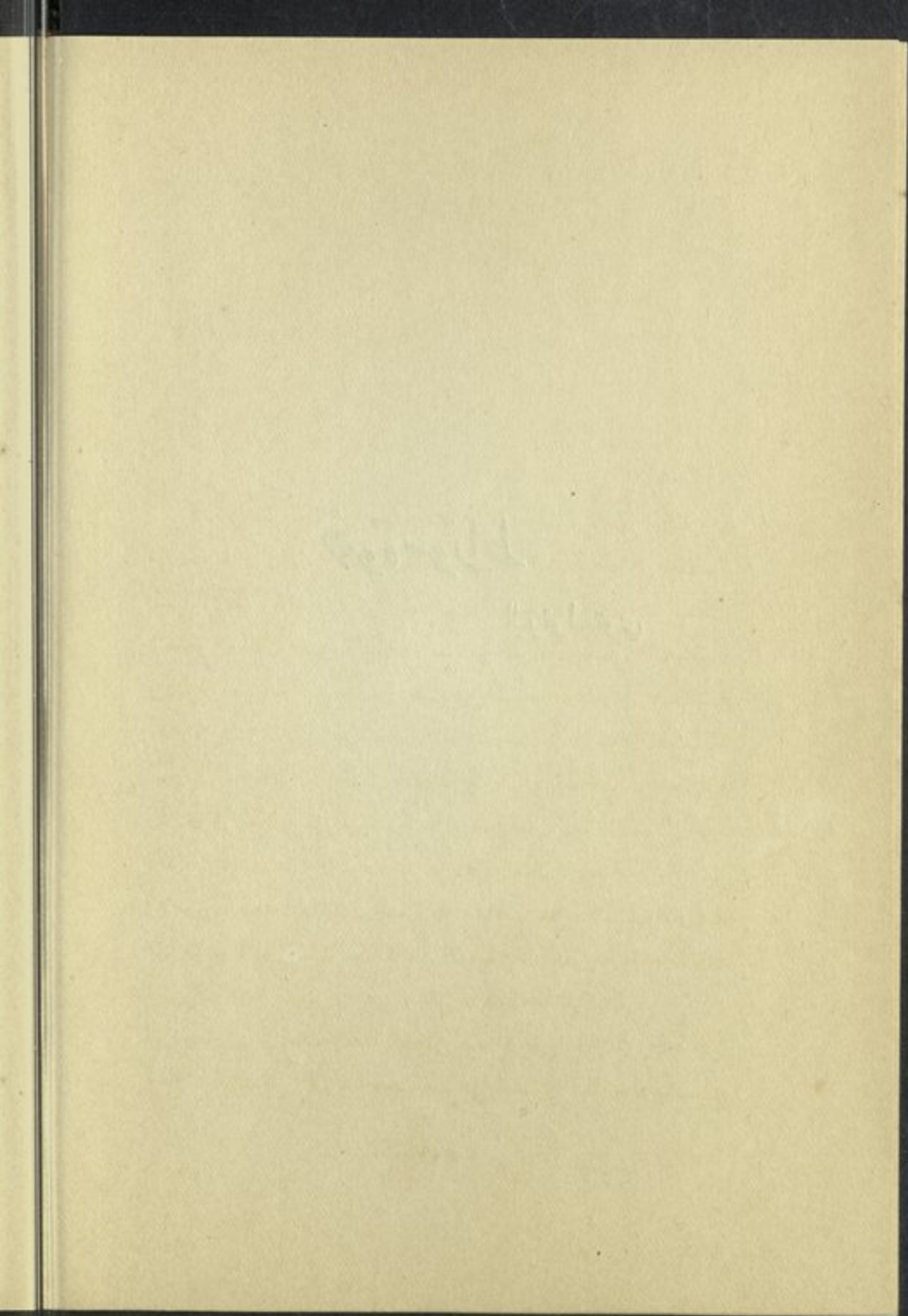
— رح الى الكتبتن « كليمي » غداً وقل له ان يضع اسمك في
قائمة المستخدمين بمعاش ٩٠٠ دولار في الشهر . لقد ظفرت بالبرهان
القاطع على انك من « خريجي الجامعة الاميركية في بيروت » .
وخلع مشععه مقهقهاً من جديد ، متابعاً حديثه :

— الظاهر اننا تبادلنا المشمعين . فحين مددت يدي الى جيب
المشمع اُتطلب محرمتي وجدت هذا ...
وانتشل من جيب المشمع تلك الملاعق الاربع التي استملكته
انا من المطعم حيث شربنا البيرة ...



قهوة سَوراط

لليوتولستوي



كان في سورات - احدى مدن الهند - قهوة يؤمها الكثيرون من المسافرين والاغراب من مختلف جهات العالم ، فاذا هم اجتمعوا أنس كل الى رفيقه وأقاموا يتفكهون ويتجادثون . وقد ساق التقادير الى تلك القهوة رجلاً فارسياً من المولعين بعلم اللاهوت ، وكان الرجل قد اتفق العمر يبحث عن طبيعة الله فدرس كتباً كثيرة ونشر تأليف عديدة . وكأنه استوغل في درسه وتنقيبه استرسالا غير محمود فلم يلبث ان اصابه الحبال ، فكف عن اجتهاده وتماذى في الكفر حتى لم يعد يؤمن بوجود الله . فلما اتصل امره بالشاه ، غضب عليه وطرده من بلاد العجم . وهكذا ساء أمر اللاهوتي ، فبعد أن جادل العمر كله مدافعاً عن « السبب الاول » صارت حاله الى البلبلة ، فبدلاً من ان يفتن الى جنونه وفقده « عقله » أمسى يعتقد انه ليس ثمة من « عقل » يدير هذا الكون .

وكانت في خدمة هذا العجمي عبد افريقي يسير في ركابه أنى توجه ، فلما دخل القهوة ، قعد العبد على حجر في الخارج « يتشمس »

وبلهو بطرد الذباب الذي كان يزعجه بأذنيه . وما ان
اطمان باللاهوتي مجلسه في الديوان ، حتى طلب كأساً من الأفيون
لم يكده يتجرعها حتى اسرعت حركة دماغه وبدأ فعل الشراب
يظهر فيه فخطب عبده من خلال الباب قائلاً :

— قل لي ايها العبد الشقي ، أنتعتقد بوجود الله أم لا ؟

فاجاب العبد ثم امرع فانتشل من منطقته تمثالاً صغيراً من الخشب
وصاح : « هوذا الاله الذي حفظني من يوم ولادتي ، وليس في بلادنا
من لا يؤمن بالشجرة المقدسة التي صنع منها هذا الاله ! »

أما رواد القهوة فقد استغربوا هذا الحديث بين اللاهوتي وعبده
وعجبوا لسؤال السيد . ولكن عجبهم كان أشد حين سمعوا جواب
عبده . وكان ما فاه به العبد قد استغضب احد الجلّاس — وكان
برهيمياً — فصاح بالعبد : « ويحك ايها المعتوه ! افتحسب ان الاله يحمل
تحت المناطق ؟ لا اله إلا براهما ، وانه لأعظم من العالم بأسره ، إذ
انه هو الذي خلقه ، لهذا نحن شذنا من أجل تكريمه الهياكل على
خفاف الكنج حيث يسبحه البراهمة ، فليس في الدنيا من يعرف الله
سواهم . وها قد نشبت الثورة بعد الثورة ، فلم تفت في عضدهم ولا
انقصت من سيادتهم ، إذ ان براهما ، ولا اله سواه ، يحميهم ويصد
عنهم غارات الاعداء .

وما ان فرغ البرهمي من قوله حتى سرت الحيلة الى نفسه ، إذ
توهم انه اقنع الجمهور ، ولكن سرعان ما تلقاه أحد الحضور — وهو
ممسار من اليهود — بقوله :

— ضلت يا صاحبي ، فالاله الحقيقي لم يختتر هيكله في الهند ولا

هو يحيى جماعة البراهمة . ان الاله الحقيقي ، هو اله ابراهيم واسحق ويعقوب ، لا يعطف على غير شعبه المختار ، وهم الاسرائيليون الذين احبهم منذ بدء الخليقة ولم يحب سواهم ، ولئن يكن قد فرقنا اليوم في انحاء العالم ، فهو لم يفعل ذلك تخلياً عنا ، بل ارادة ان يبلونا ، ولقد وعد بان يجمع شعبه يوماً من الايام في بيت المقدس واذ ذاك يعود الى بيت المقدس رواؤه ويهزّ بنو اسرائيل عصا الحكم فوق رؤوس امم الارض اجمعين .

وغلب التأثير على اليهودي فأجش بالبعكاء . وفيما هو يحاول الكلام ثانية قاطعه مبشر ايطالي قائلاً :

- ان ما نطقت به لضلّال وايّ ضلال ، انك لتنسب الظلم الى جلالته تعالى ، فهو لا يستطيع ان يحب امّكم اكثر من حبه سائر البشر ، ولئن خص اليهود بحب في سالف الايام ، فلقد مضى على ذلك الزمن اكثر من تسعة عشر قرناً اذ اغضبوه وحملوه على محو امّتهم وتشايتهم حتى انك لا تجدهم الا بقية مبعثرة هنا وهناك ، وليس الدينهم تأثير فلا يعتنقه احد . ان الله لا يفضل امة على امة بل ينادي الجميع ان ينضموا الى صدر الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وهي وحدها كفيّة الخلاص .

وانفق انه كان بين المستمعين قس بروتستنتي فاصفر وجهه وتطلع الى المبشر الكاثوليكي وطفق يتكلم :

- عجباً لك ! افترغم انه لا خلاص بغير اعتناق دينك ؟ وان الخلاص نصيب الذين يخدمون الله متمشين على سنة الانجيل في نصه وفي روحه ؟

وكان الى جانب المتحاذين رجل تركي يشغل وظيفة في جمرک
سوراط لم ينقطع طيلة الحديث عن تدخين غليونيه ، ولكنه حين
سمع تنمة الحوار التفت الى المسيحيين معاً وخاطبهما بلهجة الغطرسية :
— يا بطل ما تؤمنون بتلك الديانة الرومانية التي حل الدين
الحقيقي — دين محمد — محلها منذ اكثر من الف ومئتي سنة . وهل
في وسعكم ان تنكروا انتشار الدين الحنيف في اوربا وآسيا
وتجاوزة الافطار الى بلاد الصين المنورة ؟ لقد قلتم لهنية خلت إن
الله قد نبذ اليهود واستشهدتم على ذلك بندهم ومسكنهم ، وبأن الناس
يعرضون عن مذهبهم فلا يعتنقه منهم أحد فأقرروا اذن بحق الاسلام
إذ انه خفاق اللواء في مشارق الأرض ومغاربها . حذار حذار فلن
ينجو من عذاب الله الا المؤمنون برسالة خاتم الانبياء وصفوة
المرسلين ، ولن يخلص من هؤلاء الا اتباع سيدنا عمر لا اشباع علي ،
فان هؤلاء قد نشروا عن الدين القويم » .

وحاول اللاهوتي الفارسي ، وهو من شيعة علي ، ان ينجح على هذا
الكلام ، ولكن ارتفعت اذ ذاك ضوضاء ملأت المكان فقد كان
اولئك الاغراب ينتمون الى مختلف العقائد والمذاهب ، فكان
بينهم مسيحيون من بلاد الحبش ولاميون من تيببت واسماعيليون
واناس من عبدة النار فاشتركوا جميعاً في اللفظ والمحاكاة في طبيعة
الله وكيفية عبادته واصر كل علي ان بلاده انفردت بعبادة الله
الحقيقي عبادة صحيحة ، ولم يعتزل وطيس هذا الجدل الا صني من
تلامذة كونفوشيوس انكمش في اقصى زاوية من القهوة وأخذ
يشرب الشاي على مهل ويصغي الى حديث الباقيين من غير ان يفوه

بكلمة . فلحظ التركي هذا الصامت فخطبه بلهجة الشاكي يختصم الى قاض وقال :

— إنك لنقوى على تثبيت الذي ذكرته يا اخي الصيني . لقد بقيت ساكناً حتى الساعة . على انك لو نطقت لما ابدت غير اقوالى . فان التجار الذين يؤمون سورا ط من بلادكم فيأتون اليّ في طلب المساعدة يؤكدون لي ان قد تسربت الى بلاد الصين ديانات كثيرة غير ان احبها للصينيين هي الديانة الاسلامية ، لذلك هم يعتنقونها هن طيبة خاطر . فلا تثبت كلامي وتبسط لنا معتقدك في الله وفي رسوله ؟

فالتفت اليه الحاضرون جميعاً وصاحوا به : « بلى ، بلى ، اسمعنا رايبك في هذا الأمر ! » .

فاغمض الصيني عينيه وفكر هنيهة ، ثم عاد ففتحهما ثانية وسل يديه من كميه الواسعين وطواهما على صدره وأخذ يتكلم بصوت هادي . خافت فيقول :

— بخيل اليّ ايها السادة ان لا شيء يمنع الناس من الانفاق * في الايمان الاعجبهم وكبرياؤهم . اسمعوا لي أن أضرب على هذا مثلاً بالقصة التالية :

« غادرت الصين وقدمت الى هذه البلاد على باخرة انكليزية كانت قد طافت حول الارض . وقد تحتم علينا ان ننزل الى الشاطئ الشرقي من جزيرة سومطرا في طلب الماء العذب . فلما بلغنا البر وكان الوقت ظهراً ، نزل البعض منا يتفأوت اشجار جوز الهند ، وكنا جماعة ننتمي الى مختلف البلدان . ولم يطل

مكوثنا حتى وافانا رجل اعمى عرفنا عنه بعدئذ انه فقد بصره
لطول تحديقته في الشمس يبغى ان يستكشف طبيعتها ويحاول ان
يقبض على ضيائها ، وأجهد نفسه فأطال نظره الى الشمس فلم يعد
عليه هذا الجهد الا بان أضرت اشعتها باصريه فأخمدت فيها النور ،
يحدث نفسه حينئذ بقوله :

— ليس ضياء الشمس بسائل ، فلو كان سائلاً لسهل سكبها من
اناء إلى اناء ، ولا استطارتها الريح كما تفعل بالماء ، وما هو بنار ، فلو
كان ناراً لاطفأها الماء ، وليس ضياؤها بروح لأنه يُنظر بالعين ،
وما هو بمادة اذ يستحيل تحريكه ، اذن فما دام ضياء الشمس ليس
بسائل ولا نار ولا روح ولا مادة فهو اذن — لا شيء !

تلك كانت حجته . أما استمراره على التحديق في الشمس
والتفكير باسرارها فقد سبّب له فقد بصره وادراكه . فلما ان عمى
جاء عماء مثبتاً لاعتقاده بان الشمس لا وجود لها !

وكان يرافقه هذا الاعمى عبد له فلما اجلس سيده في ظل
شجرة جوز الهند ، راح فالتقط جوزة أخذ يعدها سراجاً لليلة ،
فجعل من خيوطها فتيلة ، وعصر من جوفها زيتاً غمس فيه الفتيلة .
وان العبد لجأ في عمله ، اذ بسيدته يتنهد ويسأله :

— أفما كنت مصيباً يا عبدي حين قلت لك ان الشمس غير
موجودة ؟ أفلا ترى أي ظلام يحيق بنا ؟ مع هذا يقول الناس ان
الشمس موجودة ! لئن صح ما يزعمون ، فما هي الشمس ؟

فاجابه العبد : — أنا لا ادري ما هي الشمس ، وليس من شأنى
أن اتعرض لمثل هذا البحث ، غير انني أعرف ما هو الضياء ؛ أنا ذا

قد اعددت لك سراجاً استعين به على قضاء امورك في الليل ،
والوصول الى أي شيء تطلبه في الكوخ .

ثم التقط قشرة جوزة وقال « هذه شمسي » . وكان إزاءهما
رجل اعرج يسير على عكازين ، فضحك حين سمع هذا الكلام وقال
« يلوح لي انك أعمى منذ ولدت ، فانت إذن لا تعرف ما هي
الشمس ، فاستمع إلي اخبرك : الشمس هي كرة نار ترتفع في الصباح
من البحر وتنحدر كل عشية بين جبال جزيرتنا . ولقد شهدنا هذا
كله - نحن سكان الجزيرة - ولو كان لك ان تتمتع بناظريك
لتحققت صدق ما قصصت عليك »

فعارضه صياد سمك كان يصغي الى الحديث بقوله :
- ما اسهل ان يعرف الانسان انك لم تبارح جزيرتك قط !
ولو لم يبتلك الله بالعرج فكنت قادر أعلى ان تطوف مثلي في قارب
صيد لعرفت ان الشمس لا تغيب بين جبال جزيرتنا ، بل ترتفع من
الافقيانوس كل صباح ، وتغيب في البحر كل مساء . واني ارى هذا
المشهد كل يوم ، فهو اذن صحيح لا ريب فيه .
فقاطعه حينئذ رجل هندي كان بين الجماعة فقال :

- إنه لبيدهشني ان ينطق رجل ذو بصيرة وروية بمثل هذا
الذهبان . أفيعقل ان كرة نار تنغمس في المياه من غير ان تنطفئ ؟
ليست الشمس بكرة نار ولكنها آله اسمه « ديفا Deva » يعتلي
عربة ويطوف الدهر كله حول « مارو Meru » الجبل الذهبي ، وقد
تهيج الحيتان الشريرتان « راغو Ragu » و« غاتو Ketu » فتبتلعانها
فيعم الارض ظلام ويسرع كهنتنا الى نجدة الشمس ، فيضرعون الى

الآلهة ان يطلقوا سراحها ، فيستجاب دعاؤهم ويحل عقال الشمس .
وليس في الدنيا من يزعم ان الشمس لا تشرق الا في بلاده غيور
امثالك من الذين ضرب الجبل على عقولهم ، وقضي عليهم ان لا
يفارقوا جزيرتهم »

وجاء دور ربان سفينة مصرية فقال :

— أخطأت يا صاح فليست الشمس آلهة ولا هي اختصت الهند
بالتطواف حولها وحول الجبل الذهبي ، اني جواب آفاق ، طواف
بحار ، فلطالما دغدغت الرياح شراع سفينتي في البحر الاسود وحبال
شواطئ بلاد العرب ، ولطالما زرت جزائر الفيليبين ومدغسكر .
ولقد علمتني اسفاري ان الشمس لا تنير الهند وحدها بل نضي
على الارض جميعاً ، ولا هي تطوف حول جبل واحد ، بل ترتفع
في الشرق البعيد فيما وراء جزر اليابان وتغيب بعيداً بعيداً وراء
اقصى جزر بلاد الانكليز . فمن أجل هذا اطلق اليابانيون على
بلادهم اسم « نيبون Nippon » اي « مولد الشمس » . أنا واثق بما
اقول ، فلقد سحت كثيراً وسمعت كثيراً من جدّي بلغ في تجواله
أقصى زوايا البحر .

وأراد الربان المصري ان يستمر في الشرح ، ولكن انكليزياً

من بحارة سفينتنا قاطعه الحديث فقال :

— ما من اناس يجيدون معرفة حركة الشمس اجادة سكان بلاد
الانكليز . ان كل انكليزي يعرف حق المعرفة ان الشمس ، لا تشرق
ولا تغيب ، ولكنها تظل دائمة أبداً حول الارض . وليس أدل على
هذا من اننا طفنا العالم بأسره ، فلم نصطدم بالشمس بل كنا أنى

ذهبنا ، نجد أنها تظهر في الصباح وتستتر في العشية
ثم أخذ بيده قضيباً ورسم على الرمل دوائر وحاول ان يشرح
دوران الشمس حول الارض ، فأعياه ذلك ولمح في تلك اللحظة ربان
السفينة الانكليزي فأشار اليه وقال : هذا الربان اعرف مني
بحقيقة الأمر فسيتولى عني ابضاح ما غمض عليكم .
وكان الربان رجلاً فظناً وقد لبث صامتاً طيلة الحديث . فلما
توجهت اليه الانظار وسأله رفاقه ان يتكلم قال :

- ان كلاماً منكم يخدع نفسه ويضل رفيقه . فان الشمس لا
تدور حول الارض ، بل ان الارض هي التي تدور حول الشمس
وحول نفسها أيضاً ، فلا يمضي على هذه أربع وعشرون ساعة حتى تواجه
الشمس في اليابان والفلبين وسومطرا وفي افريقيا واروبا واميركا
وفي بلدان غيرها كثيرة . فانتم ترون ان الشمس لا تقتصر منفعتها
على جبل او جزيرة او بحر ، حتى ولا على الارض وحدها ، بل هي
تشارك في الضياء سيارات كثيرة غير ارضنا هذه . ولو رفعتم
بانظاركم الى السموات العلى ، بدلا من ان تخفضوها الى ما تحت
اقدامكم ، لوضح لكم ان الشمس لا تشرق من اجلكم واجل بلادكم
فقط ... »

تلك كانت اقوال الربان الحكيم التي اكتسبها من طول تحديقته
في السموات ومن تجواله في بحار العالم .

*

فلما فرغ الصيني من سرد قصته قال :
- ما اشبه هذا المثل بالأمر الذي اختلفتم عليه ، فان

الخيلاء التي حملت كلا من ربان السفينة في سوط طرده على ان يدعي ملك الشمس ، واقتصار منفعتها على بلاده ، هي التي تحملكم على ادعاء ملك الله ، واقتصار منفعته عليكم او على اهل مذهبكم . يا شذ ما يفرق العجب بين الرجل والرجل . افليست كل أمة تبغي أن تحبس في هياكلها ذاك الذي يقصر العالم بأسره عن ان يسعه ؟ وما هو الهيكل ، مهما عظم اذا قيس بالعظيم الذي ابتناه ، الله ، لكي يضم فيه الناس اجمعين الى معتقد واحد وديانة واحدة ؟

إن الناس ابتنوا هياكلهم على مثال هيكل الله العظيم . فجمعوا لكل هيكل اجراً ، وسقفاً مقبياً ومصابيح وصوراً وتماثيل ونقوشاً وكتاب شرائع وتقدمات ومذابح وكهنة ... ولكن قولوا لي : أي هيكل حوى جرنأ كالافينانوس ، وسقفاً مقبياً كالسموات ، ومصابيح كالشمس والقمر والنجوم ، وأي رسوم تماثل الرجال الاحياء المتحابين المتعاونين ؟

اي آثار هي اظهر من آثار هذه البركات التي اغدقها الله على الانسان لسعادته وهناءه ؟ واي كتاب شرائع هو أوضح معاني من الكتاب الذي خط في قالب الانسان ؟ وأي ذبائح توازي التضحية التي يقوم بها رجال هذا العالم ونساؤه اذ يكونون متحابين ؟ واي مذهب شرف حتى ضارع قلب الرجل الصالح ؟

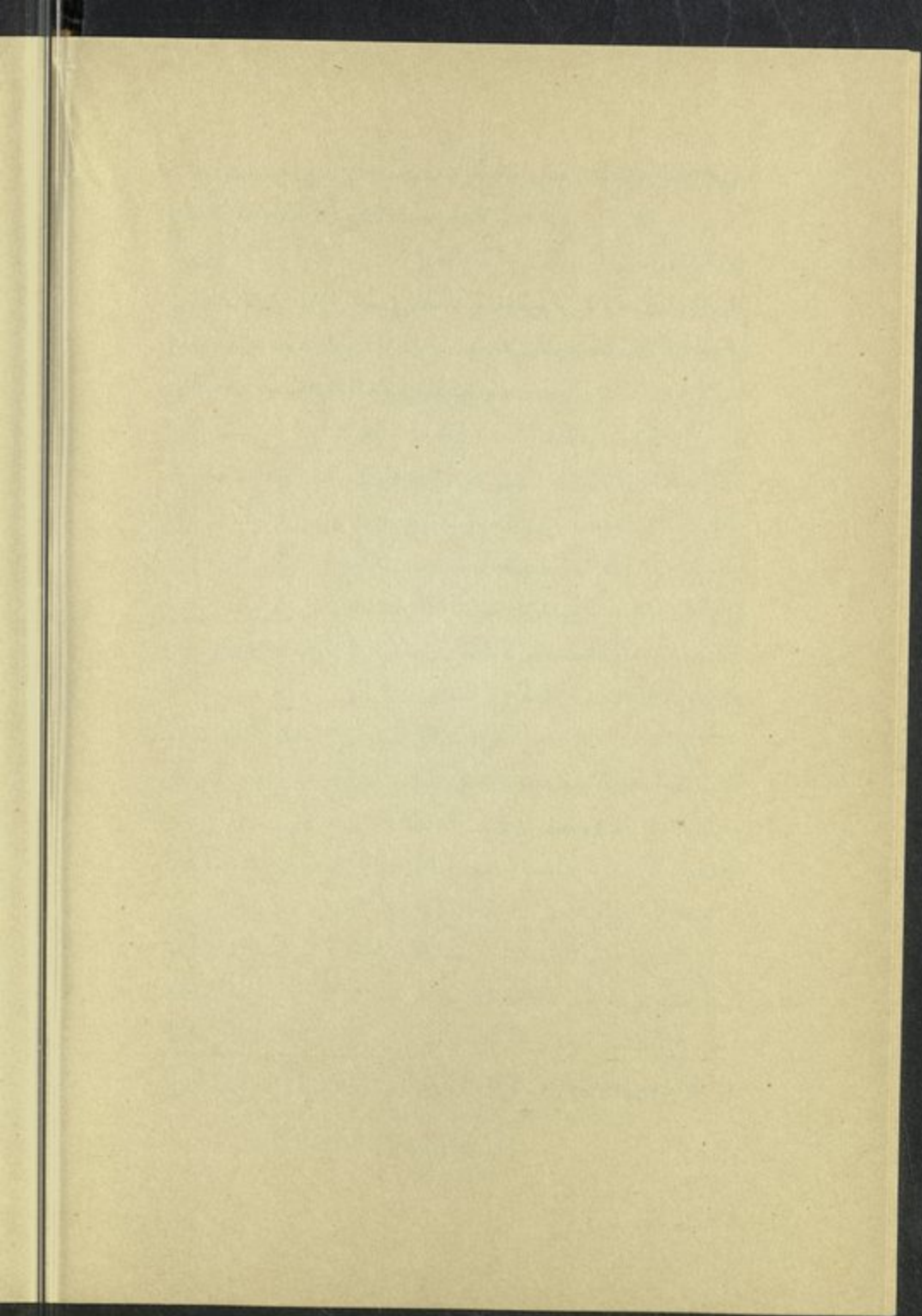
كلما سما نظر الانسان في خالقه ، ازداد معرفة له ، وكلما ازدادت معرفته لله ، ازداد اقترابه منه وتحمديه اياه في صلاحه ورحمته ووجهه للانسان . فخليق بالرجل الذي يرى شعاع الشمس تملأ العالم أن يترفع عن تأنيب ذاك الذي لا يرى من الشمس الا خيطاً واحداً

من خيوط نورها ، وان يتنكب عن احتقار غير المؤمن الذي عمي
فلم يعد يستطيع ان يرى الشمس اصلاً...

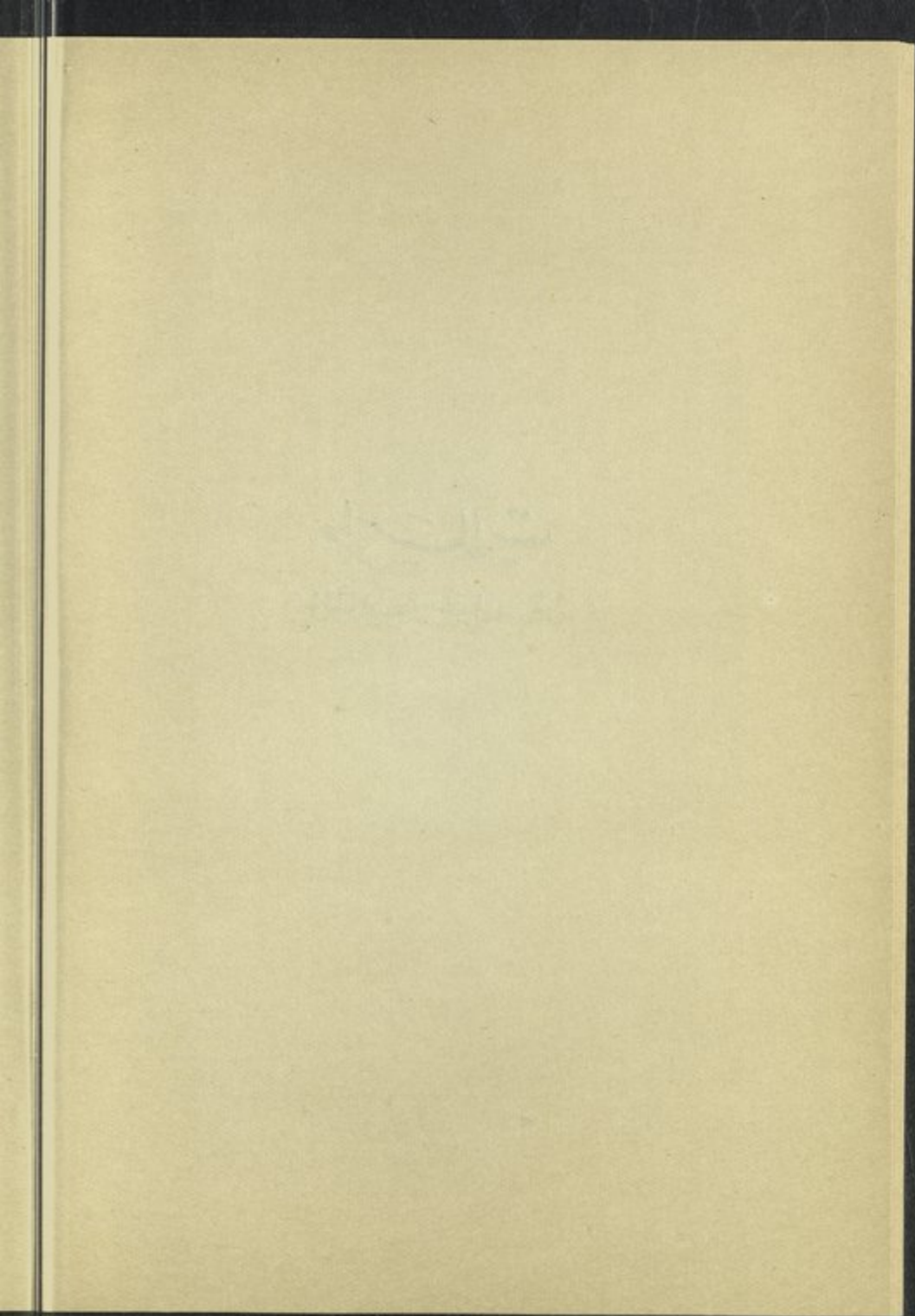
*

تلك كانت أقوال الصيبي تلميذ كونفوشيوس ، وقد أصغى اليها
من في القهوة معجبين ، فلما فرغ منها بقي القوم صامتين وكفوا
عن التباهي بعقائدهم والتفاضل بأديانهم . *

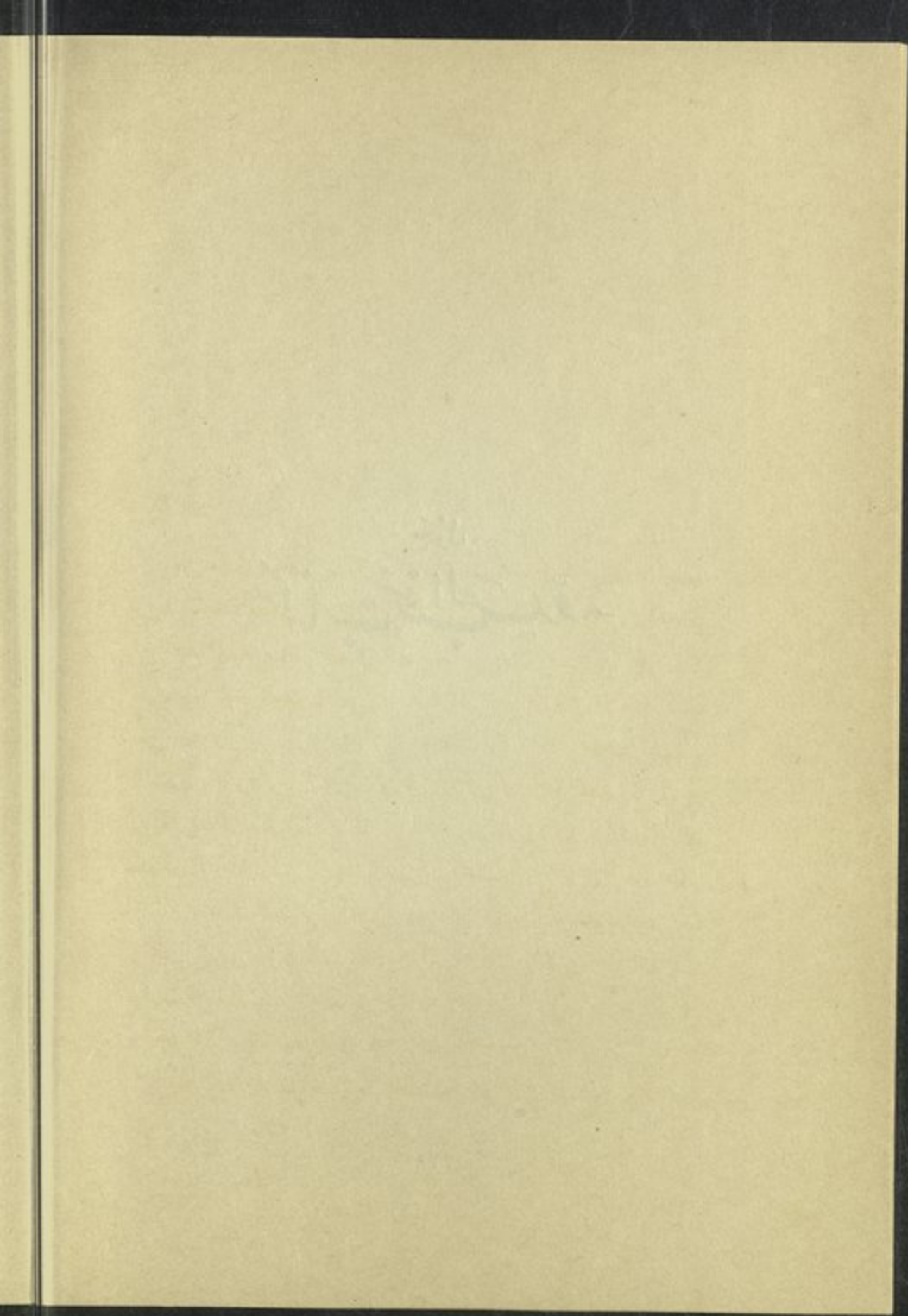
* نشرت في الجزء السادس من مجلة « الكلية » - نيسان ١٩٢٥



مَراسِلَات
بَيْنَ الْمُؤَلِّفِ وَصَهْبِيلِ اَدِرْلِيْنِ



جَوَل
کتاب «نخب العبدو»



١
من عادي ، حين اتناول كتاباً بالنقد ، ان ابدأ بتلخيصه
واختصاره لأمكن القاري من متابعة النقد الذي يلي . ولكنني
لن اعمد الى هذه الطريقة في الحديث عن هذه المسرحية التي بين
يدي : « نخب العدو » من تأليف المهاجر اللبناني الاستاذ سعيد
تقي الدين . ومرد ذلك ان المسرحية في حد ذاتها تستعصي على
التلخيص ، ولا ريب في ان الذي بصر على عرضها مختصرة يشوهد
ويفقد معظم خصائصها . ثم انني لا أود ان احرم القاري لذة
مطالعة الرواية بأكملها لانها تستحق القراءة حقاً ، بل تستحق الدراسة .
و « نخب العدو » كتاب ينقسم الى قسمين ، في اولها مسرحية
« نخب العدو » وفي الثانية مجموعة من القصص بقلم المؤلف نفسه
واذن فان الاستاذ سعيد تقي الدين كاتب مسرحي وقصاص في آن
واحد . فما مبلغ توفيقه في كل من الميدانين ؟
لقد قدم المؤلف لمسرحيته مقدمة متمعة حقاً ، فيها التفاعات

ادبية موفقة ، وان كنا نخالفه في ان « النقد فن زائف ومهنة طفيلية ... لانه يوم صاحبه ولو ضمناً بالتفوق على المنقود » وهذا رأي يكوهه الناقد الحق ، لانه لا يؤمن بصحته ، ولا يشعر به في نفسه . وليست هذه المقدمة وحدة قائمة بذاتها ، فان المؤلف يتناول فيها كل ما يعرض له من آراء في ميدان الادب والكتابة ، وهو لذلك قد وضع لكل رأي عنواناً صغيراً يختلف بالفكر عن سابقه ولاحقه ... فهو يتكلم عن « الدرامائي رجل الشارع » و « لماذا لم تنشأ عندنا الدراما » و « الادب لا يطعم خبزاً » الخ ... وفي هذه المقدمة فصل طريف عن « اللغة » يبدو فيها المؤلف متحرراً ، على انه اذا وجد ان « السندويش » كلمة مأخوذة عن العربية « سندس من السندوش : عشبة خضراوية ورقها كالهندباء ، كانت العرب تضعه بين قطعتين من معجون البلح فيأكلونه » فانه لم يجد لنسبها اصولاً عربية لاستعمال فعل « سردن » من « السردن » و « عتليت » وجمعها « عتاليت » عن كلمة « Athlète » الفرنسية ، وفعل « تطربش » و « سرغس » و « تمجدل » ... كما اننا لانستطيع استعمال فعلي « تعذلب » بمعنى استلذ التعذيب ، و « حلفظ » كان كثير احلام اليقظة ، لان هذا الاشتقاق ، او قل هذا « العصور » لم يرد له شبيه في كلام العرب يقاس عليه .

على اننا نكرر ان المقدمة التي تسبق المسرحية متمعة وطريفة حقاً ، لانها تكشف لك عن كاتب اديب ، غني التفكير والشعور . ويتبع المؤلف المقدمة بفصل عن سيرته ، كتبه بقلمه . ولئن كنت تلمس في هذا الفصل غروراً من المؤلف ، فان روحه الخفيفة المرححة

تبرر هذا الغرور ، بل ان ثقته بنفسه في محلها ...
فالواقع ان سعيد تقي الدين فنان بكل ما في هذه الكلمة من
معنى ، وهو الى ذلك اديب بارع . وقد التقى الاديب والفنان فيه ،
فاذا هو مؤلف مسرحي وقصاص من الطراز الاول .

فاما مسرحية « نخب العدر » فلست اتعدى الحقيقة اذا قلت
اني لم اقرأ أجمل منها في ما كتبه ادباء لبنان ، بل ادباء العربية
جميعاً ! فانت تعجب كيف اجتمعت فيها كل عناصر النجاح ،
وتألبت عليها جميع وسائل التفوق . فاذا انت مسوق الى تلاوتها
دون ما توقف . واذا انت تخرج من مطالعتها ، في عينك دمعة ،
وعلى فمك بسمة !... لقد نقل لك سعيد تقي الدين في مسرحيته
جميع « النماذج » البشرية في لبنان ، سواء منها القروي او المدني ،
الطيب او السيئ ، والرفيع او الوضع ، ونقل لك الاخلاق
اللبنانية في شتى مظاهرها وآفاقها ، وحشد لك الحادثة المؤثرة تهتز
لها نفسك جزعاً ، والحادثة المفرحة يضطرب لها قلبك جذلاً وحبوراً ،
وهو بعد ذلك كله قد اعطاك صورة بالغة الصحة والصدق عن هذا
الجليل اللبناني وما يجيش فيه من اختلافات وحزبيات وطوائف
وشيع ، وما يقوم بين اهله من احقاد وضغائن ، ومن حب ووداد ،
ومن عداوة وصداقة .

ولعل المؤلف شاء الا يرهق القارئ في تلمس خصائص ابطاله
فاذا هو يقدم له هؤلاء الابطال محللاً شخصياتهم بكثير من الوضوح
والجلاء . فهذه « ام وسيم » تعبد بعد الله ولدها وسيم ، حريصة
حذرة بقطعة كثيرة الجد ، ذات انفة وكبرياء ، طاهرة من العجرفة ،

وهذا الدكتور نجيب (واليه اهديت المسرحية) تمشط الدنيا فلا تجد له مثيلاً ، وذلك هو راجي البيروتي ، الفتى النحيل القلق الضجر صاحب النكتة والدعابة ، وهذا وسيم الحموي ، شديد الثقة بنفسه فوار الطموح الخ ...

اما ميزات المسرحية والعناصر التي كفلت نجاحها فهي :
١ - حسن اختيار الموضوع : هذا النزاع الشديد على المجد بين اسرتين لبنانيتين وذلك الحلق العظيم الذي يكنه - بل يظهره - كل منهما للآخرى ... مثل خالد سيبقي الجبل محتفظاً به أبد الدهر .

٢ - روعة الفكاهة والنكتة : وهذا عنصر قوي جداً في المسرحية ، وهو يقود معظم الفصول حتى ان بوسعنا ان نقول : ان الفكاهة هي الاساس الاكبر من اسس « نخب العدو » ، وهي فكاهة موفقة أبعد حدود التوفيق ، تطلق النفس من عقال الرصانة ، فاذا هو ضحك شديد بل قهقهة يكاد المرء ينقلب منها على قفاه . ولا ريب في ان سعيد تقي الدين يقف ، في حقل الفكاهة ، في طليعة الكتاب الفكاهيين العرب .

٣ - قوة الحوار : فان ذلك الحديث يدور بين الابطال بقوده تسلسل منطقي رائع ، في جمل مقتضبة قوية لا تدعو الى الملل .
٤ - جمال القصة : هي درامة عنيفة ، وان كانت الكوميديا تطغى عليها فهي تنتهي بفصل رائع مؤثر جداً يمثل أجلى صور الصفيح والغفران والعتو . ويبدو المؤلف عالم نفس دقيقاً ، لان في حوارهِ تحليلاً عميقاً للشعور الانساني .

وبعد ، فان الرأي الفاصل في هذه المسرحية انها من الروائع
القليلة التي صدرت في البلاد العربية . وكل ما نرجوه ان يقيض لها
فرقة تمثيلية قديرة تخرجها على المسرح اللبناني ، ولا شك في انها
ستكون خير تمثيلية عرضت في لبنان .

*

اما القسم الثاني من الكتاب ، فمجموعة تتألف من احدى عشرة
قصة كلها لبنانية من صميم الجبل ، والحقيقة الواضحة ان ابطالها جميعهم
مهاجرون ، غادروا لبنان الى العالم الجديد او الى الفيليبين ، ثم
عادوا اليه او لم يعودوا . فان فكرة «الهجرة» تطغى على القصص
وهذا في الحق واقع المؤلف الذي هاجر الى مانيلا ، فهو اذن
يعيش حياته ويقتبس منها ويطابق عليها ، فليس من عجب ان
يوفق في هذه القصص ، لانه يكتب عن واقع حياته وحقيقته .
وبوسعنا ان نقول ان هذه المجموعة القصصية تشكل لوناً جديداً في
الادب اللبناني ، هو أدب المهاجرين الذي يقتصر على المهاجرين .
على ان ابطال هذه القصص جميعهم من هؤلاء الاشخاص الذين
يحبههم كل انسان ويؤثرهم على سواهم ، لان «الطيبة» اساس
حياتهم وعيشتهم واخلاقهم . وكما ان الفكاهة هي العنصر الاساسي
في المسرحية ، فهي كذلك في القصص تلعب دوراً كبيراً . والملاحظ ان
المؤلف ينعم بحس شديد «لواقعية» ، حس صادق صريح ، لا يحاول
ان يكتبه او يخفيه ، بل يجابه به القارئ بجأفة لا يهجم ما عساه
ان يكون وقعها على نفسه . وهذا ظاهر في خاتمة قصة «الثلج
الاسود» التي تكشف لك عن ان البطلة التي اصبحت عاهرة ، انما

هي تلك الفتاة الطاهرة الجميلة التي تفيض نفسها بالبواء ، والتي كانت تملك نفس البطل بحبها وسذاجتها . وكذلك خلقة قصة « دون كارلوس » التي تواجهك بحقيقة مؤلمة هي ان اجمل الفتيات قد اصبحت زوج الأم الرجال !

ومن القصص التي تستثير بالغ الاعجاب قصة « حمود » ، فهي مؤثرة ابعد حدود التأثير ، وهي تدل على ذلك العقوق الذي يلاقيه رجل من اهله واراضه وعشيرته ، بعد ان قضى كل حياته يخدم اهله واراضه وعشيرته . ومثل هذا القول يصح في « شيخ القافلة » التي تمثليء بالمفاجآت . والواقع ان عنصر « المفاجأة » قوي لدى المؤلف ، وهذا ما يجعل لقصته قيمة كبيرة . وأنا أوصي القاري خيراً بـ « قصص » صورة أم فريد » و « الشيخ عجاج » و « التجارة شطارة » . وتمتاز قصة « الثلج الاسود » بروعة السرد المتسلسل واستدعاء الذكريات الاثيرة وان كانت نهايتها لا تنسجم كثيراً مع منطق الحوادث التي تؤلف القصة . واما « حمار الصف » ، فتفتقر الى حرارة وحيوية لم تعوز سائر القصص ، وقد طغى عليها السرد طغياناً غير يسير .

وبالاجمال تمتاز قصة سعيد تقي الدين بقوة الحادثة وجمالها وبهذه الالتماعات الذهنية الموفقة والبدوات الفكرية التي تنم عن الروح الادبية المستقرة في اعماق المؤلف ، وهي بعد مقطعة من صميم هذا الجبل اللبناني العريق ، فلئن كان المؤلف يعيش في مانيلا ، ان روحه وحسه وتفكيره معلقة بذروة جبل ، وغنة عصفور ، وحداء راع في وهاد لبنان .

وتسألني عن أسلوب المؤلف ؟ انه أسلوب سهل يسير من غير
 ركافة او ضعف ، بل هو الى الجزالة اميل ، وهو مشرق الديباجة
 متين التركيب . وينعم الاستاذ سعيد بحساسة وصفية ممتازة ، وله
 اوصاف وتعابير تملك النفس بروعتها . من ذلك قوله : « وكنت
 اسمع جدران نفسه تهتم » تعبيراً عن الحيرة والغم عند صاحبه ،
 وقوله « اقتنلت اثوابهم مع اجسامهم » دليلاً على ضيقها ، وقوله :
 « اميركي يتكلم لغة عربية هي لتكسرهما كأنها لوح زجاج وقعت
 عليه بلاطة » ... الخ (اقرأ المقطع الذي يصف فيه عودة حمود
 الى ارضه ص ٢٨٧)

على انه لا بد لنا من ان نلاحظ ان المؤلف يتبع احساناً في
 تسجيل الحوار طريقة اجنبية ، اذ يبدأ بسرد الجملة المقولة ، ليقطعها
 بعد كلمات بغية ذكر قائلها : - ذهبت اليه عند المساء ، قال حمود ،
 فوجدته نائماً (مثلاً) وهي طريقة عقيمة ، وطريقتنا العربية اجمل
 واسهل . ثم اننا كنا نحب ان يتقاضي المؤلف اخطاء نحوية واملائية
 وقع فيها كقوله : « العينان الضحوكتان (ص ٢٥٢) وصحتها
 « الضحوكان » ومثل ذلك قوله « أحب الحياة جموحة » وصحتها :
 جموحاً - صار له في تلك الزاوية اثنتا عشر عاماً (ص ٢٥١) الصحيح
 اثنا - الفلق الذي يحمل باؤلئك الخمسة واربعين تليدلاً (ص ٢٦٧)
 وتصويبها والاربعين - غلام في نحو الثانية عشر من عمره (٢٠٧) الصحيح
 الثانية عشرة - ١٣٥٠٠ دولاراً : دولار - ثائب (ص ٢٨٩)
 وتكتب هكذا ثائب ، وفاجئه (٢٧٩) وتكتب فاجأه الخ ...
 فعسى ان يتدارك المؤلف ذلك في الطبعة القادمة .

اما بعد ، فاننا موقن انني لم أف المؤلف الفاضل حقه في هذه
الكلمة ، ولعلني أندارك بعض هذا التقصير حين اسارع الى ارسال
تحية اعجاب عميق ، وتقدير بالغ الى الاديب اللبناني المبدع الاستاذ
سعيد تقي الدين ، نزيل مانبلا عاصمة الفيليبين ، وادعوه بل ارجوه ،
ان يثابر على كتابة المسرحية والقصة ، لانه لا ريب علم من
اعلامها ... فهل نسعد بين حين بتمثيلية جديدة لا تقل روعة عن
« نخب العدو » او قصص اخرى تفوق مجموعة « الثلج الاسود »
جمالا وقوة ؟!

سرييل الربيع

مانبلا ٢١ كانون الاول سنة ١٩٤٦ .

اخي سهيل

اخاطبك باسمك عارياً عن الالقاب، اذ اني شعرت بقربى تربطني
بك بعد قراءة نقدك الرائع في جريدة « بيروت » « لنخب العدو »
ولوانه اعطي لي قبل اليوم ان اطلع على مثل هذا النقد لترددت
في قول « النقد فن زائف ومهنة طفيلية » .

كانت كلمتك مخرصة فطنة ، واني لم اقرأ في الذي نشر عن
« نخب العدو » ، وفي الكتب الخاصة التي وردتني ، شيئاً يمكن ان
يقاس بعق تفكيرك . فسلمت يدك .

كان بحثك بالرواية بحكم ضيق ذنبك العمودين مقتضياً ، ولكنه
كان بحثاً نزيهاً ، بفيض طلاوة ، ويظهر ثقافة واسعة ، يشعر القارئ

منه ان صاحب البحث يتكلم في موضوع يفهمه . اكتب لك بعد
منتصف الليل ، وفي رأسي مشاكل عدة، منها هذه الاربعة الاف
سرير التي استوربتها من مخلفات الجيش ، وحوالة مرفوضة من زبون،
ورجفة سوق الاقمشة بسبب قرب وصول شحنات يابانية . اسرد
هذا لاعتذر عن تشويش قد يبدو في هذه الرسالة، ولكنني اود ان
اؤكد لك ان اعجابي بنقدك لم يكن سببه انه طغى المديح عليه ،
وبعد فهل تسمح لي : Counter — attack

أ - سندش ، وسندش : هذه « تقریقة » على الاستاذ اسعاف
النشاشيبي والمدرسة اللغوية البالية التي يمثلها . اراك لم تعترض عليها
حين رددتها الى اصل عربي في كتاب موهوم اسمه « الحواشة
العزقولية » ولكنك اعترضت على غير كلمات ، لاني لم اردھا الى
اصلھا العربي . من الذي اعطى الاقدمين امتيازاً حرماناً من اختراع
الكلمات ؟ اقول اني استغرب ان اری رجلاً له ادب سهيل
ادريس ينكر علينا حق خلق كلمة نحتاجها .

اما « عتليت » فهي كلمة انا فخور بها . عندنا رياضة روحية ،
رياضة « Athletics » ورياضة او رياضيات « Mathematics » . يلزمنا
كلمة ، واعتقد ان صدى كلمة « عتليت » يفي بالحاجة .

« تطربش » لم اختراعها بل دونتها .
« تمجدل » اعتقد انها لن تثبت على الدهر لانها كلمة جبلية .
« سرغس » قد تموت لانها كلمة بيروتيبة . « حلقظ »
و « تعذلب » لم اوفق بها . واعتقد انه لو ان بين يدي الآن قاموساً

عريباً لكنك احور هاتين الكلمتين الى لفظتين تستجبان . ولكنه

يلزمنا ترجمة Day-dreaming

« السادية » : اعتقد انها اشتقاق موفق لـ Sadism

« الغرور » : لقد اصبحت في قولك ان في الفصل الاوتوبيوغرافي غروراً . اتدري لماذا ؟ لاني كتبت تلك الرواية في اتعس ايامي . ولقد اثارت الفاقة ، وهيج ازدراء الناس لي كل ما في نفسي من قوة مقاتلة . كان ذلك الغرور من قبيل تشجيع نفسي والبهورة ، واصارحك انه لم يستقر الغرور بي الى ثقة بالنفس ، حتى رأيت اجماع الناس على الاعجاب بالكتاب .

تقدمة الرواية : لم تكن للدكتور نجيب ، بل ان دور « الدكتور نجيب » قدمته للدكتور المرحوم نجيب الصليبي .

« ولعل المؤلف شاء ألا يرهق القارئ في تلمس خصائص ابطاله الخ . » عدا عن ملاحظتك ، كتب لي اخي بهيج شيئاً في هذا الصدد . فالذي اود ان اوضحه ، هو ان هذه السيرة كتبت للممثل لا للقارئ . اردت للممثل ان ينسجم بدوره ويتلاشى به ولم اجسد أيسر من الوصول الى تلك الغاية ، من ان اسرد للممثل حياة الدور كما تخيلته وعاشته . اشكرك على اصلاحاتك اللغوية . واعتقد انه من الضروري ان تدفع مطبعة « الكشاف » غرامة مالية على كل غلطة نحوية تظهر في كتاب تطبعه .

في السنة القادمة سيظهر لي كتابان احدهما مهزلة في فصل واحد والثاني مسرحية كبرى . بعد هذا سأنقطع الى الانكليزية .

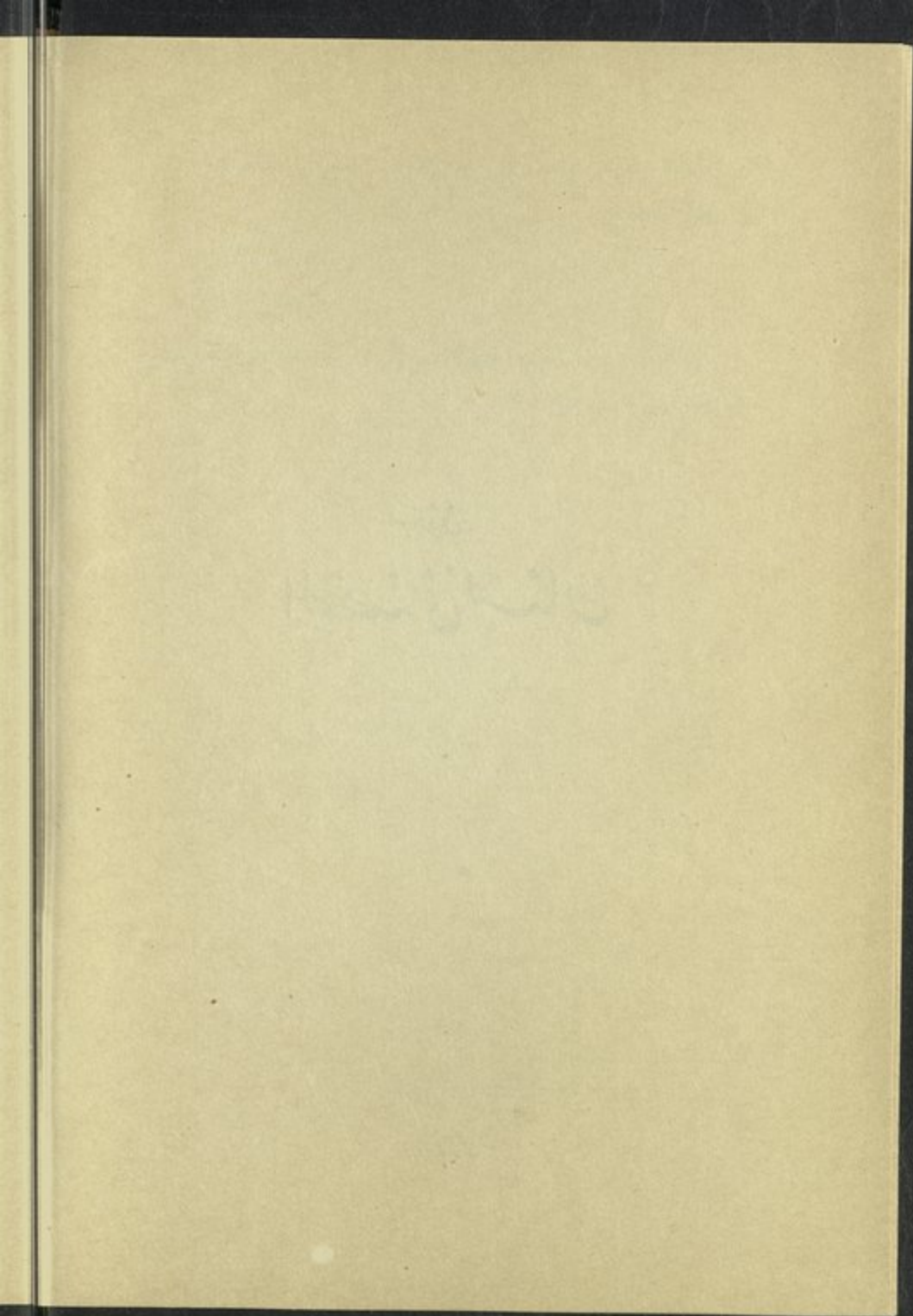
تأكد اني فرح جداً بانني اكنشفتك . تقبل مني شكري الحار
واعجابي الصحيح .

سلمت لاختيك

سعيد تقي الدين

على فوقه : لماذا ابحت لنفسك استعمال « كوميديا » وانكرت
عليّ استعمال « تطريش » ؟

جَوْل
القِصَّةِ فِي لُبْنَانِ



اخى سهيل !

تفهم من الحكاية التي ارفقها بهذا الكتاب ان « اشواق » لم
تصلني ، وسامرع بابداء رأني بكتابك ساعة اقرأه .

غير اني أحذرك اني سأكون قاسياً بالنقد لاسباب منها :

١ - انك من الحبي المعادي : حي النقد .

٢ - انك أصبحت لي صديقاً .

٣ - انه ينتظر من الشخص غير العادي ، شيء غير عادي .

واثن شئت ان تنشر هذه الحكاية ، ففي عنقك جريمة كل غلطة

نحوية ، أو صرفية ، أو املائية . فاني اعترف لك ان الذي اعرفه

عما تفعل - مثلاً - كان واخواتها وصار واخواتها هو من قبيل

الشائعات لا الحقائق .

يدي على قلبي .

سجل لي اني اول من استعمل هذا التعبير ، بدلا من
« السلام » أو « اشواق » .

سعيد تقي الدين

حكاية سهيل ادريس كما رواها سعيد تقي الدين لحفيده
كنت في مساء العمر ، في عشية ذلك النهار المزهر من شتاء
١٩٨٤ ، وقد غطت الثلوج مدينة « صهبا » اللبنانية ، اذ أقفّت
هالعاً من رجة على سطح البيت ، فانتفضت صائحا « ما هذا ؟ ! » .
أجابني حفيدي ضاحكا : « أكلما حطت على سطح البيت طائرة
ذُعرت ، يا جداه ؟ ! هذا أبي عائد من الاسكا . والان وقد
استفتقت ، هلا رويت لي حكاية وعدتني بها هذا الصباح ، حكاية
الرجل الذي حاول القفز من قمة إلى قمة ، حكاية سهيل ادريس ؟
قلت : يا بني ! كان جميلا ذلك العام عام ١٩٤٧ ، وكنت في
الشرق الاقصى أتمياً للرجوع إلى هذه الجنة .

وكان سهيل في لبنان قد بنى مسكناً على ذروة قمة ، وكان الناس
يحمّلون اليه الجديد من المؤلفات فيجبل في نظره بعضها ويقرأ
البعض الآخر ، ثم يدعو اليه الجماهير ، فيحدثهم عما قرأ فيمدح هنا
وينتقد هناك ، وهو يقيس بالمترو والذراع ويزن بالرطل والكيلو ،
يتناوب المكرسكوب والتلسكوب الجلوس على ارنبة انفه ، وفي
بعض الاحيان ينفعل فيرمي بالموازين والمقاييس ، والنظارات ،
ويصرخ : « هذا كتاب جميل ! »

— ألم يكن في بعض الاحيان يبصق كما رأيتك تفعل البارحة

حينما جاءك البريد بنسخة من ...

- لا يا ولدي ! في عام ١٩٤٧ كان اداؤنا يبصقون في مناديلهم
وفي عزلة من الناس . كانوا مهذبين ...

- ومن هم غير المهذبين ؟

- من هو في عمرك أو عمري !

وكان هذا الرجل هنيئاً في عيشه، يرى الناس يشيرون الى
صرحه لئن مروا به ، ويسمع قولهم : « هذا قصر سهيل ادريس
بناه على قمة » النقد » .

وفي ذات يوم ادار نظره فيما حوله، فرأى ذروات غير ذروته ،
فنزح سترته وشعر عن ساعديه ، وأحكم شد حذائه ، وقفز الى القمة
المجاورة ، قمة « القصة » .

- وما الذي حدا به الى تلك القفزة ، وقد كانت سعيداً

حيث هو ؟

- ان الناس يا بني يقفزون من القمم لاسباب شتى . فالرجل
تواق ابدآ الى ما ليس يملك . أنظر الى أبيك وهو التاجر الماهر
كيف أحمر وجهه كبراً أمس ، اذ قال له صديقه ان له منطق المحامي ،
واسمع رئيس مجلس الشيوخ الاميركي يتباهى بأنه أمير الطبّاحين .
من يزدهي بشهادته الجامعية غير الجاهل ؟

- أكان سهيل ادريس دعياً ؟

- لقد قاطعتني قبل أن أوفي على ذكر الاسباب التي تهيب
ببعض الناس للوثوب من القمم . اذ أن بينهم من فقد حاسة التناسب
فيخطئ . يتخذين المسافة بين مكانه وبين مطعمه . وآخرون يريدون

الفهار حياً بالفهار . وغيرهم ألف النعمة فتبرم بها . وسواهم يرى في
الجليل المقابل حقلاً لمعوله .

فقاطعني حفيدي ثانية سائلاً :

- قبل ان تهرم ، هل كنت يا جداه حسوداً ؟
- حسوداً ؟ ! ألم أقل لك أن سهيل كان صديقي ؟
- ألم تقل لي ان الحسد يكون على أشده بين الاصدقاء ؟
- ألم أقل لك كذلك ان بين الناس من له جنبية تحرسه ،
ومن شدت نفسه إلى رفاص ، ومن جنىح الالهام قدميه ، فمن
السهل عليه الوثوب من قمة إلى قمة ؟
- وهل بلغ صديقك القمة الثانية سالماً ؟

- قلت لك يا ولدي انني كنت أنهيأ لهجر الشرق الاقصى . ولم
يكن في تلك الايام تبادل الرسائل بالصواريخ كما نفعل اليوم ، بل
كانت الرسائل المستعجلة ترجّ في بطون الطائفة ، وغير
الرسائل المستعجلة ومنها الكتب ، ترسل في البواخر . وقد جاءني
رسالة صاحبي بالطائفة تقول ان مؤلفه « اشواق » في طريقه اليّ ،
فدهشت وبهت ، وذكرت النابغين الذين هلكوا في مثل تلك
الوثبة - اولئك الادباء العالمين الذين طالما ذكرت لك اسماءهم ،
وراحت أضيء الشموع وأبهظ النذور ، واتممت الدعوات . وحقاً لم
يعجبني اسم الكتاب « اشواق » .

- وهل العنوان من الاهمية بحيث يستحق النقد ؟
- العنوان في غاية الاهمية : يجب ان يكون جذاباً غير عادي .
- ليته سمي مؤلفه « بحيرة تلتهب » او « فيل في ثقب فارة » او

« طلع الفجر يا طنوس » أو ...
 - أو شيئاً جميلاً غير عادي مثل « نخب العدو » أو « الثلج
 الاسود » أو « لولا المحامي » ...
 - صدقت يا ولدي ...
 - جدي ... !
 - حبيبي !
 - تصبح على خير !
 - ألا تريد أن تسمع قصة سهيل ادريس ؟
 - كلما ابتدأت بحكاية تنتهي بالتحدث عن نفسك ، ألا
 تضجر من الحديث عن ...
 - ابدأ . « انا » الدنيا « وانا » الحياة ، ولست انت ولا سهيل
 ادريس بالامر الذي آبه له الا بقدر ما أننا شطر من نفسي .
 فاني أن أخبرك أن هزة جذل ملكتي اذ وافتني رسالته بان
 ظهر له مؤلف قصصي . فرح سادي كمن رأى قاضياً طال أمسه
 جلوسه في صدر المحكمة ، يقتعد قفص المتهمين . وطربت ان فتى
 له دماغ مثقف نير هجر قمة النقد ، ففي الادب النقد يا بني هو
 مهنة من ليس له مهنة . ونحن بالانتاج نقنات ونقوى .
 ولقد ذكرت لك ان خبر صدور الكتاب جاءني قبل أن
 أضع يدي على الكتاب ، فأفف هنا ، وتصبح على خير .
 - جدي ! لقد سمعت الدكتور يسر في أذن أبي ان قد تقضي
 نخبك في غفوتك . فائت أذاك حتفك في هذه الليلة فمن يقص علي
 بقية الحكاية في الصباح ؟ وكيف أقوى على التثبت من أن وثبة

سهيل ادريس كانت موفقة ؟

قلت : يا بني اقرأ الكتاب .

اجابني حفيدي : اكاد ان اكون امياً ، اذ اني لم انه دراستي
القراءة إلا في الصيف الماضي . فهل في مقدوري ان افهم «اشواق» ؟

— ان لم تفهم «اشواق» فاعلم انه ليس بمجموعة قصصية وان
مؤلفه وقع دون مرماه .

— وكيف ادري انه «كتاب جميل» وان لا اعرف الوزن لا

بالرطل ولا بالكيلو ، وما ادري الفرق بين المتر والذراع ، وليس

في بيتنا تلسكوب ، ولا مكرسكوب ؟

— انذكر انفعالك لمحمة النفث اصابك على الضفدع في بركة

الجيرات ؟

— نعم .

— وحققك حينما عصاك التقاط الجندب القفاز ؟

— نعم .

— وبكاهك حينما مات كلبك الاسود الكبير ؟

— نعم .

— واهتزازك اذ رقص ضيوفنا على الحان راديو سان فرنسيسكو ؟

— نعم .

— اثن شعرت وانت تقرأ «اشواق» بمثل تلك الرعشات ، فأعلم

ان سهيل ادريس بلغ القمة الثانية سالماً .

وساد سكون بان خلاله «مورفيوس» ، فمد انامله الناعمة الى

جفني ، وما ان غفوت حتى افقت مذعوراً للمرة الثانية اسمع صوت

خفيدي قائلاً : «سؤال اخير يا جدي - حينما انرت الشموع ،
وايمظت النذور ، وتمتت الصاوات ، هل فعلت ذلك تمنياً لنجاح
سهيل ادريس ؟ »

فاعتصمت بالشخير . وذكرت ذلك العام الجميل ١٩٤٧ حين لم
يكن على سطح البيت في لبنان الا المخلدة ، وحين كان الاحفاد
يوقرون اجدادهم ولا يخرجونهم باسئلة خبيثة .

سعيد تقي الدبر

اخي سعيد

تلقيت رسالتك المؤرخة في اول آذار فسعدت بها واغتبطت
سعادتي برسالتك الاولى ، فقد اصبحت من اعز اصدقائي وآثرهم الى
نفسي ، على الرغم من انني لم اعرفك ولم اجتمع بك من قبل ،
ولكن حسبي اني عرفتكم في كتابك « نخب العدر » وصادقكم من
رسالتيك اليّ .

ولقد ابلغتني في هذه الرسالة ان كتابي « اشواق » لم يصلك
بعد ، وانك ستسارع الى ابداء رأيك فيه ساعة تقرأه ، وستكون
قاسياً في نقده ... ولست اراني في الحلق الا شاكرآ لك هذه الرغبة ،
رغبة القسوة في النقد ... فانا منذ اصدرت كتابي ، متحرّق لأن
أرى من يقسو عليّ في نقده ، فما اجد الا مقرّطين لا ناقدين ، مع
احترامي وتقديري للذين كتبوا عن « اشواق » !

ولكني - يا سعيد - أراك تستكثر عليّ كتابة القصة ، وتحشى علي من قفزة بين قمة وقمة ، كما حدثت حفيدك ذلك النجيب إذ رويت له حكايتي كما فهمتها ... واحسب ان حفيدك هذا سيكون له شأن ، لأنه ذكي وطّاعة ... شأنك تماماً ، ولكنني ارجو ان لا يكون في مثل خبتك ! ولكن لعلك تعجلت الامور ، حين قصصت عليه حكاية صاحبنا ... فقد جعلته في حيرة شديدة من امر بطل حكايتك هذا ، وما من شك في انك - انت نفسك - كنت محتاراً في امر هذا الذي لا تعرف عنه الا انه نشر يوماً نقداً قصيراً لكتابك الاخير ... فهل كان ذلك كافياً لان تعرفه حقاً ، معرفة تبور لك ان نجعله بطلاً لقصة او لحكاية من وضعك ؟

انا اقول انه كان بوسعك ان توثق حتى يملك الكتاب فتقرأه وتعرف بعضاً من شأن صاحبه ، فتروي لحفيدك الذي رواه اقرب الى الصحة والصق بالواقع .

ولكن صديقك وصديقي الاستاذ محي الدين النصولي صاحب « بيروت » يزعم انك قد تسلمت الكتاب ، وقرأته ، ولم تشأ ان تبدي فيه رأيك الا رموزاً واحاجي ، وانك عمدت الى وضع هذه الحكاية لتسجل بعض خيبة في نفسك ، يمازجها إنكار عليّ ان اتطلع الى ما لست املك ، وأنشد ما ليس في مكنتي ان ابلغه ... ومن جميل الصدف ، ان يوافق الكاتب الساخر الاستاذ المشوق على رأي زميله الاستاذ النصولي ... وهذا شيء نادر !

على اني لم اقتنع بما ذهب اليه الصديقان لاسباب :
اولها - ان ليس في رسالتك ما يبور مثل ذلك ، بل ان

أشار أنك جميعاً تدل على أن الكتاب لم يصلك وأنك لم تقرأه ،
فاعتقاد بعضهم بخلاف ذلك تحميل الكلامك أكثر مما يحتمل ...
وثانيها - أنك صريح جداً ، ولا سيما مع أصدقائك الذين ليس
عهدك بصداقتهم بعيداً ... أمثالي ! فليس ما يمنعك من مهاجمتي ،
لو أنك قرأت الكتاب ولم يعجبك .

وثالثها - وهو الأهم ، أنك أديب مغرور بأدبه وقصصه ...
وهذا الغرور ينبغي أن يدفعك دفعاً إلى مصارحة غيرك من الأدباء
- ولا سيما في ميدانك - بأخطائهم ونقائصهم ، أراضاً لتزعة غرورك ،
وهذا لم يحدث . غير أنني أسارع فأقول : أنني لا أنكر عليك هذا
الغرور ولا استكثره ، فقد سبق أن أشرت إلى ذلك واشدت به ،
فانت لست دعياً ، لأنك تملك ما يدعو إلى الفخر والاعتزاز
والإدلال ... وإلى الغرور أيضاً ! ولعل تعجلك بإرسال هذه
الرسالة إليّ ، تعبر فيها عن خشيتك من أن أكون وقعت دون
مرمائي ، وقصرت دون مطمحي ، يتصل من قريب أو بعيد بهذه
التزعة التي تملأ نفسك .

وإذن فانا موقن أنك بعثت إليّ برسالتك قبل أن تقرأ كتابي ،
وعلى هذا الأساس أود أن أذكر لك أو - لحفيدك النجيب -
حقائق كان يسعى لمعرفة كل السعي ، فلا يجد ما يرضي به
فضوله ..

لقد ذهب جدك بعيداً - يا بني - حين روى لك أن ذلك
الكاتب قد بنى على ذروة قمة من قمم لبنان مسكناً ، هو قصر
« النقذ » ... فان عهده بهذا الميدان قريب جداً ، وهو لم يجمع

بعد من المعدات ، ولم يتوفر له من اللبانات ، ما يجعله يقتنع بان في وسعه بناء قصر والسكنى فيه ... انها ثلاثة اعوام فحسب ، كان يحاول فيها ان يقرأ في بعض الكتب ، يلتمس المتعة والفائدة ، قبل ان يقصد الى الدرس والنقد والتحليل .. ثم خطر له ان يفيد من هذه المطالعة ، فراح يسجل ملاحظات كانت تخطر له بينما هو يقرأ الكتاب ، وينشرها في مجلة عزيزة على نفسه ، هي مجلة « الاديب » ، ولكن هذه الكلمات — على هامش النقد — لم تكن يوماً ميدانه الاصيل ، ولم يعتبرها احد من قرائه ، وقراء تلك المجلة العزيزة مجال ابداعه ودائرة فنه ... كان صاحبنا جالساً على الجبل الثاني ، ولا أقول « القمة » الثانية ، كما روى لك جدك ... وكان هذا الجبل ، جبل « القصة » بعينه .. فهو منذ ان ولد ، وُلد على ذلك السفح ، وكان يصبو ابدأ الى ارتقاء ذلك الجبل .. وقد ظل يجدد ويعمل ، ويدرس ويطلع ، ويستجمع اسباب الفن ، ويستثير مشاعر النفس ، حتى اتبع له آخر الامر ان يبلغ مكاناً ما من هذا الجبل ، فاصدر كتابه الاول ، بعد ثمانية اعوام انصرف فيها كلها الى هذا اللون من الادب . وظل يتربص ، تملاً الحشية نفسه ان يكون قد زلق او سقط في حفرة ، فتحطم جسمه وتبددت آماله هباء ، وطارت جهوده شعاعاً .

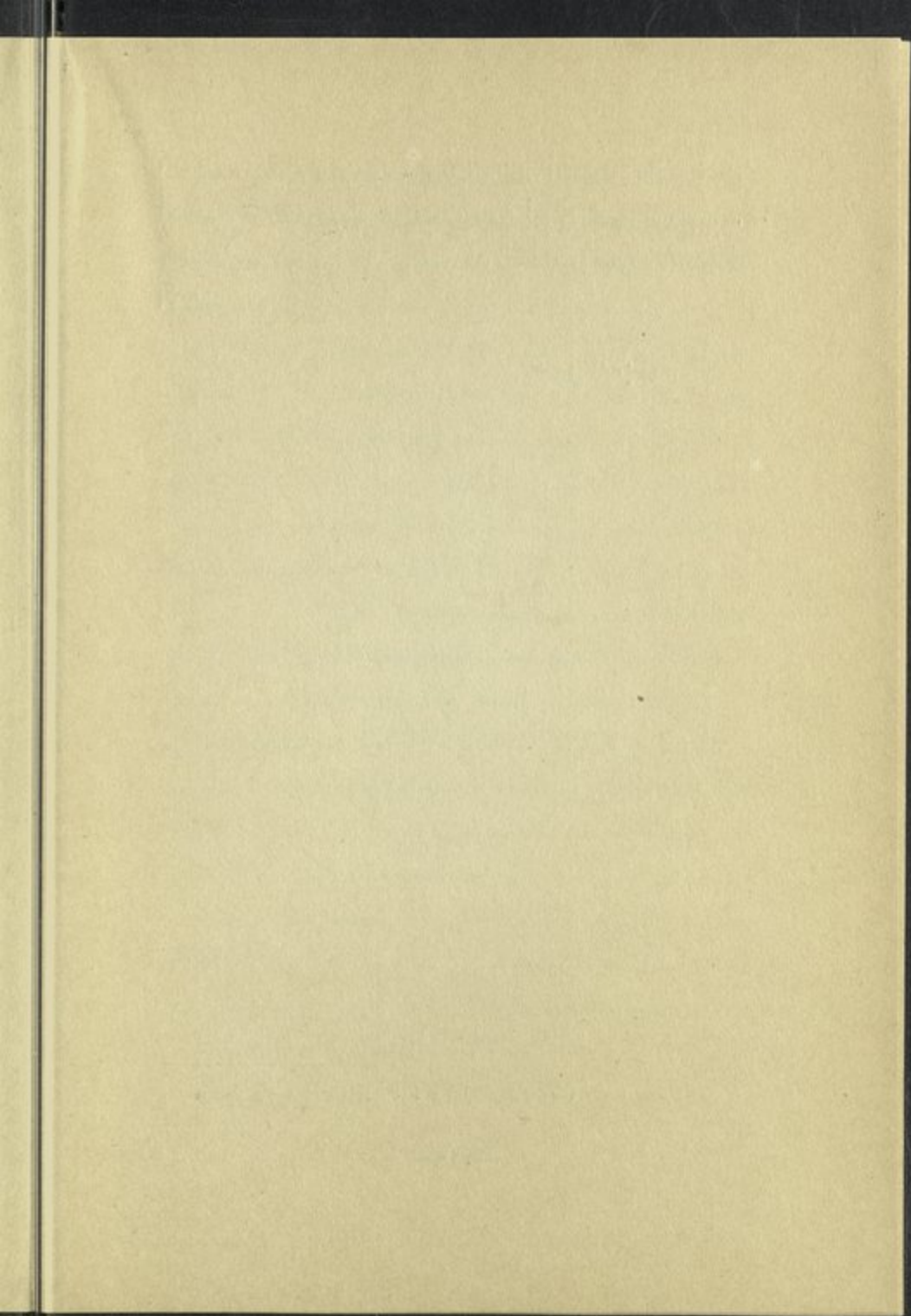
لقد خدع جدك عن نفسه ، حين اراد ان يعتبر صاحبنا ذاك جالساً على قمة « النقد » .. فهو لم يحاول كما ذكرت لك الا محاولة يسيرة في المطالعة وابداء الرأي على هامش النقد .. بيد ان هذه المحاولة نفسها كانت محدودة جداً . فصاحبنا لم يتخذ النقد مهنة ،

وانما كان يتناول الكتاب الذي يمت الى ميدانه ، ميدان القصة ،
فيطالعه ليستفيد ويستزيد ، غير ان ذلك لم يكن يمنعه من ابداء
الملاحظات ، فهو اذن لم يخرج من ميدانه .. انهما القصة التي تهمة
وتعنيه .. و'خدع جدك مرة ثانية عن نفسه ، حين تعجب ودعش
لدن بلغه نبأ ذلك الكتاب .. فلو كان معنيا بادب بلاده ، ولو كان
متبعاً لانتاج كتابه وادبائه ، ما فاته ان يلاحظ ان صاحبنا هذا كان
من اكثر الكتاب القصصيين انتاجاً في فترة الحرب الاخيرة ، بصرف
النظر عن قيمة هذا النتاج .. واذن فان جدك كان مقصراً في
رسالته كاديب .. ولو أن صاحبنا لم يكن معتقداً أنه يفهم القصة
ويتذوقها ، ما جرؤ على ان ينقد كتاب جدك « نخب العدو »
الذي ضمنه أقاصيص جميلة تبلغ حد الروعة أحياناً ..

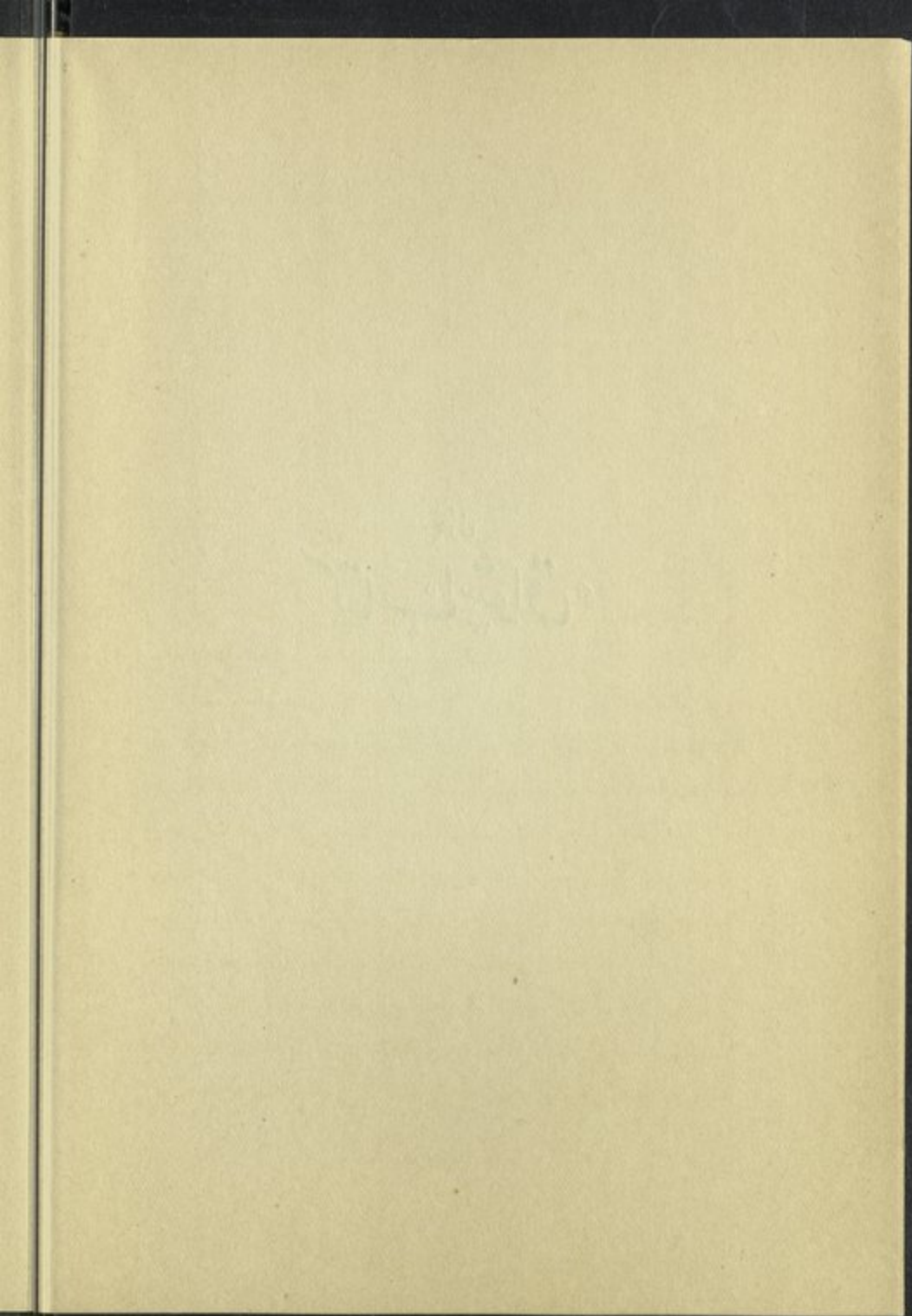
وبعد ، فهذه حقيقة أحببت أن أوضحها لك ايها الحفيد البقظ ،
وأحب أنك ستأخذها أو يأخذها جدك بعين الاعتبار ساعة يصدر
حكمه عـلى باكورتى المتواضعة ، وارجوك ان تثق بان اهتمامي
لحكم جدك وتلفي لمعرفة رأيه يفوقان اهتمامك وتلفك ، لان جدك
أديب قبل كل شيء ، ولانه سيكون صريحاً بل قاسياً كما قال ،
ولانه ليس حسوداً ، ولو انه صديق ، إذ انك رأيتـه غير
مرة ينير الشموع ، ويبهظ النذور ويتم الصلوات .
وما احسبها الادعوات لي ، لا علي .. بقي أن أدعوك إلى العناية
بجدك واحاطته بجميع ضروب الاهتمام والرعاية ، فهو يملك ثروة
كبيرة .. ولست أفصد الثروة التي تقدر بالمال والدراهم ، وانما
الثروة الادبية .. ومهما يكن من امر ، فارجو الاتليه أشغاله

المادية ، عن أشغاله الادبية ، وعليك انت أن تحته دائماً على
الانتاج والكتابة فجدك سعيد تقي الدين أديب بالدم والروح ...
وانا بعدُ منتظر رسالته في نقد الكتاب فعسى الا يطول
الانتظار . *

سرييل اوريي



جول
کتاب «اشواق»



مرحباً سهيل !

هل سمعت بـ « حمى الذهب » ؟ تلك التي تلهب وعي المصاب بها ، فيجازف بما فوقه وتحتّه مطّلباً المعدن الاصفر ؟
فشت تلك الحمى في « مانبلا » عام ١٩٣٦ ، وكنت انا من صرعاها . واقد صحبت مهندساً امير كياً في رحلة الى الغابات نفّث عن الذهب ، فكان المهندس يكسر الصخر بمعوله الصلب الصغير ، ويصوّب مجهره على الشظايا فيحدّق بها ، ثم يهز رأسه ويمشي . ومرة اذ كنا نأكل على ضفاف غدير ، قفز المهندس وانتشل حصاة من الماء ، وصوّب مجهره اليها ، وراح يضرب بذراعيه على جانبيه فرحاً ويصيح كأنه ديك يصفق بجناحيه :
- انظر ان هذه الحصاة تحمل ذهباً . لئن كان الذهب في الغدير فالذهب في الجبل . هذه الحصاة لم تظرها السماء ، ولكنها انشطرت عن صخور بالذهب حبل . قد تكون صخور التبر على بعد شبر منا ،

وقد تكون على بعد ألف ميل . ولكن الذهب موجود بلا ريب .
علينا ان نتهدي اليه .

في كتابك « أشواق » لم ألق منجم ذهب ولا عروق تسير ،
ولكنني وجدت الكثير - اقول الكثير - من الحصى حوامل
الذهب . فهل تهتدي الى المنجم في غدك ؟ او بعد عشرة اعوام ؟
لا ادري ! هذا سؤال لن يجيبه سواك .

ان غابتي في هذه الرسالة ان ادلك على اقصر طريق بين الحصى
والمنجم . ولئن كان قد ساء لك من الكتاب عدم رواج ، او فتور
من النقدة الذين المخلصين ، فليس لانك عديم الفنى ، بل لان هذه
الحصى حوامل الذهب ، لا يراها الا المهندسون .

واني الان وقد استلكت « أشواق » من « ترمين » بضعة شهر ،
أشغف به مني حين قرأته لأول مرة . وهذا اصلب دليل على
جودة عناصره .

ما هي القصة ؟

القصة كما افهمها ، هي حادثة غير عادية محتملة الوقوع ، تسرد
باسلوب جذاب سهل ، وتنتهي بمفاجأة حلوة معقولة . لئن وجدت
هذا الوصف في كتاب ما ، فلك ان تصدقني انه من قبيل توارد
الخواطر ، ولك ان تسيء الظن . بالطبع في وسعك ان تأني بـ ٤٦٢
وصفاً آخر . لن اجادلك ولن اقاتلك ، ولئن سجت على مسدسك .
فانا منهزم . هكذا افهم القصة ولك ان تفهمها كما تريد . واني
أرى قصصك في « أشواق » اكثرها حوادث غير عادية ، ولكنها

غير محتملة الوقوع . خذ مثلين : فتاة تقتني كلباً تدله ، لن تنهال عليه
بهرارة غليظة كما فعلت فتاتك في « هي وكلها » . ومثل تلك الفتاة
لم يكن في متناولها هراوات ... كذلك لا أفهم لماذا رمت فتاة
« بوارج » بنفسها منتحرة في « راحة الضمير » .

اقرأ في صحف بيروت انكم اقمتم للشيخ ابراهيم اليازجي حفلة .
اني اخال اليازجي بحوم طيفه فوق المحتفلين به ويقفه هازناً « لماذا
هذه الحفلة ؟ » ان النثر العربي اليوم — هذه السنة — في أوجه .
ان اياً من ينشر المقالات في « الاديب » او « الصياد » هو اغنى
واصفى في نثره من اليازجين ، وانت ياسهيل ادريس ، جزل ،
جميل العبارات ، مليونار الفاظ ، ولكنك كأكثر كتبتنا ، فقرك في
غناك . اذ ان هذه الثياب الانيقة من الفاظ وتعبير وعبارات
تصرفك عن ترويض جسدك فتكتفي بجمال ما يعاوه من ثياب ولا
تطلب في الجسم صلابة عضلات .

خذ هذا الازدواج المعيب الذي يكاد لا يتفقت منه اي من
كتابنا . اني انقل اليك بعضاً من عباراتك المزدوجة فيما انا اقلب
صفحات كتابك : « خوالج النفس ، ورغائب الروح » (ص ٨) .
اطفئت عيناه فهو لا يبصر (ص ١٠) . اذا اطفئت عيناه فهو طبعاً
لا يبصر ! — « ... سرّاً يستكن بين جنبي هذا الشاب ، وينطوي في
جانحيه » — « فرق وفرع » (ص ٩٩) — « مطمئنة اليه كل الاطمئنان
سعيدة به غاية السعادة » (ص ١٦) — « من حب ورد وسرور ورضى »
(ص ٤٥) — « شذى وعطراً » (ص ٢٥) رويدك ! اراك انفعلت .
تريد ان تقول لي انك لست من عبيد التقاليد . وان الازدواج لا

يركب قلمك . تريد ان تشرح لي الفرق بين «الاطمئنان والسعادة»
و «الحب والود» ؟ قبل ان تفعل ذلك، هلا افهمتني الفرق بين
ان يصمت وان يسكت ؟ (ص ٥٦) . غريب ان لم يقم قبل
اليوم ناقد - فيما اعلم - ينادي بنا ان اقتصدوا بالكلمات واقتطعوا
هذه العبارة الثانية التي هي في نثرنا في معظم الاحيان ترديد للعبارة
الاولى يستغنى عنه ، هي صدى السجع الذي مرض به الادب العربي
في اسقم ايامه . (كان في وسعي ان ازواجها : « وبلي به في زمن
نحو له) .

وفضلا عن الازدواج، فاني اراك تؤمن بان اي كلمة غير مألوفة
هي كلمة جديدة . لماذا « تصرمت » ايام ؟ (٢٧) اي اجمل :
« تصرمت » او « مضت » و « ولت » او « فأتت » و « انقضت » ؟
ثم لماذا « زجيت » لدى صديقك في كيفون تسعة ايام ؟ لماذا « زجيت »
لماذا ؟ ما عيب « قضيت » او « صرفت » او « انفقت » او « لبثت » او
« مكثت » ؟ ما عيب هذه الالفاظ غير ان الناس كلهم يفهمونها واننا
ربينا على خطأ ان البلاغة هي في كتابة ما يصعب فهمه ؟
ولماذا نتحدث الامور في كتابك في « ذات اصيل » و « رآد
الضحى » ؟ ومن هي هذه الفتاة البيروتية التي تريد ان تتعلم الكمان
ثم هي لا تزال « تتعثر باذيالها » (ص ٩) ؟ اذا كان في بيروت مثل
هذه الفتاة، ارسل لي عنوانها فاني اريد ان اتبرك بتلك الاذيال !...
ثم قل لي أحقاً حينما صيفت في بوارج كنت تطالع « اذا شرعت
طيور الدوح تصدح » ؟ على علمي ان كل الطيور الصداحة في لبنان
هجرت الدوح وعشعت في قصائد بشارة الخوري !...

تراك ذكرت اني وعدتك بنقد قاس ؟ ربما . وقد تكون انت
القاسي على نفسك ، لانك بين فتي « يصمت ويسكت » و « ايام »
« زوجيتها » وامور تحدث في « ذات اصيل » وفي « رآد الضحى »
وبيروية « تتعثر باذيالها » ومطالعة « اذا شرعت طيور الدوح
تصدق » - قد خلقت جواً مصطنعاً يوم القاري . لاول وهلة انت
ليس هنالك من قصص ولا مواهب ، بل ان احد غلمان المنفلوطي
يفامر بنشر كتاب !...

ولئن آلمتك هذه العبارة ، فليفرحك ان تنظر الى نفسك في
اللحظات التي اعتقت بها قلمك من العبودية اللفظية . ما اجل اللذة
الكبرى « وشعرت بلذة تقطر من اسناني » (ص ٧١) يا جميل ! هذا
أدب ! وما ابداع وصفك للفتى « ظفر بفتاة وهي خجلة مستسلمة » ،
وحين استقر بها المقام نظر اليها وفي عينيه بريق النصر ، وعلى
شفثيه بسمه متكبرة ، واذا هي تغضي وتصرف نظرها عنه
علوت بقارتك الى الاثير في « سراب . سراب » لقد بلغت الابداع
بامر بسيط - اعادة لفظة عذبة (ص ١٢) . وهات لي كأساً اسكر
منها وصب لي فيها « ليس يهمني ان تحدثني عنك ، فانا اراك بل »
عيني . .

ولكنني ارى اني لم أدلك بعد على الطريق المختصرة ، ولا اشرت
الى الحصى حوامل الذهب . فلنبداً اذن الامور من اولها !

عنوان القصة

عنوان القصة ، يجب ان يكون ، عدا عن جماله ، لغزاً . لم

تكن موفقاً في عناوين قصصك . لقد دنوت بـ « صراع » من النجاح . ولعل الحيلة في العنوان كانت على اوضحها بـ « تذكر ثورة » . وهذه القصة هي اقرب الى « مقالة » منها الى قصة . لقد سميتها « تذكر ثورة » ثم اظهرت العكاز تحت إبط الفتى . ومن غير ان تمنح الابام قارئك بشهادة جامعية من اكسفورد ، او بوجود عليه كرم الدهر بان يولد في « بعقلين » ، يفهم من غير ان يقرأ الحكاية ان القصة هي حكاية فتى جرح في ثورة او كسرت رجله . حذار حذار ان يفضح عنوانك قصتك !

لقد كان أبواك سليمي الذوق اذ دعواك « سهيل » ، وان جدك الاعلى كان موسيقياً حين اختار « ادريس » له اسماً . ان لك اسماً موسيقياً تحسد عليه . فلتكن عناوينك الغازاً موسيقية . انني أسائل نفسي أكان جبران خليل جبران اصاب هذه الشهرة لو ان اسمه « قزحيا مطانيوس بو غنطوس ؟ »

العبارة الاولى : اول عشرين كلمة من اي خطاب او مقالة يجب أن تكون جذابة تلصق عيني القارىء بالكلمات فلا تستطيعان الزيفان عن الصفحة . لو ان نثر كطهر من منغلوطيته لكان في هذه « الطلعات » نجاح عظيم . ان ابتداءك جملة قوية فيها نفس الاديب الموهوب .

الموضوع

تلاحظ ان من يحاول تعلم سواقة الاوتوموبيل ، لا يبدأ بالزوارب . كذلك ترى ان البادئين من القاصيين يكتثرون من

احاديث الغرام ، والموت ، والانتحار . الحياة فيها غرام وموت وانتحار . ولكن اساطين الفن لا يطلبون المواضع في الطريق العريضة الكبرى . وهم اثن عاجلوا هذه المعضلات الاولى ، جعلوا لقصصهم « لفتات » غير مألوقة .

ان قصص « أشواق » هي من صالون الحياة ، لا من زوايا غرفها .

العبارة الاخيرة في القصة يجب ان تكون قنبلة ذرية تنفجر بين عيني القارئ . جملة قصيرة جعلها كلها ديناميت . لو ان احداً قرأ عليّ عباراتك الاخيرة في قصص « أشواق » من غير أن يتلو القصص لقلت ان مؤلفها قصاص عالمي . ان معظم حوامل الذهب وجدتها في نهايات حكاياتك .

الصنعة

ليس في الدنيا من ليس عنده قصة . قليل من يعرف كيف يروها . خذ أي اثنين يخبرانك حكاية ما . تفهمه للواحد ، وتتأهب للآخر ، والحكاية هي هي .

انت تعلم ان التاريخ ذكر العظام من جنود يلهمون رسم خطط المعارك ، وآخرون تقصر مقدوراتهم على تنفيذ الخط . انما الجندي الخالد هو من يبدع في رسم الخطة ويحقق تنفيذها .

وفي القصة يعوز الراوي اما سليقة العبقرى ، أو ميكانيكية صناعة الدارس . واني لاظلمك ان قلت انك عديم السليقة . اما الصناعة فلقد فلتشت عنها في كتابك فلم أجدها ولم أجدها من أثر .

هاك مثلاً في « نداء الاعماق » : حينما وضعت اصبعك مشيراً الى الموجة ثم اعدت الاشارة الى الموجة - حينما فعلت ذلك فضحت نهاية القصة . ان أي قارئ يدرك من توجيهك الاشعة على الموجة ان القصة ستنتهي بانتحار ، ومتى فهم القارئ نهاية الحكاية ، فلم يعد هنالك من حكاية .

لقد صدقت حين أتهمني بأني أجهل محاصيل الادب العربي في هذين العقدین . لذلك لا أعرف أي مكان يشغله « سليم بطي » في هياكلكم الادبية . فلقد جاءني مجلة « الاديب » بعدد منذ شهر وفيه قصة بقلم « سليم بطي » . العدد ليس بين يدي ، واني لا أذكر عنوان القصة ولكنني أقول لك أنه يكفيني أن أقرأ هذه القصة الواحدة لاحكم ان سليم بطي قصاص . ان تلك القصة هي في مستوى ما ينشر في (Saturday Evening Post) والتي يقبض مؤلفوها عليها ٦٠٠ الى ١٥٠٠ دولار . انما صاحبنا تعوزه الصناعة . اذ أنه وقع في مثل الفخ الذي وقعت فيه أنت . كان في قصته قناة ماء فسلط عليها كل الانوار الكهربائية وهكذا فضح قصته فقتلها .

ان لبطي جرأة المتجدد ، أو ثقة نفس المقتدر . إذ أنه سرد حكايته بلغة سهلة التركيب وكلام مألوف . ولروايته انسياب النهر السائل بهدوء - ذلك الانسياب الذي يجب أن يلزم سرد القصة . ألعن ما يركب القصاص هو « التدحرج » . وما دما نتحدث عن قصته ، فخذ نهايتها الجميلة إذ تلتف أصابع ذلك المقعد أو الاعمى على عنق النذل فتدفعها . نهاية جميلة غير منتظرة . هكذا ينهي القصاصون الحاذقون حكاياتهم . القصاصون الحاذقون . أما « براهيم »

القصاصين فيجمعون لها نهاية تنهض بتلك القصة من الجمل العادي إلى الابداع العبقري ، وهم في ذلك لا يشردون عن وقائع الحياة أو حقائق العلم . ذلك المقعد بين يدي قصاص عبقري ، كان مشي ، ولو لم أخف التطويل لانتيتك بشواهد من الحياة ، واستشهادات من البسيكولوجيا أنه في الازمات الكبرى تحدث العجائب .

الصناعة هي أن تمشي بقرائك إلى جهة مجهولة يعتقدون أنها مثلاً ، طرابلس ، وحينما تقف بهم في النهاية - تلك الوقفة الجالحة ، يتلفتون فإذا هم في دمشق . فبتهيجون ويقولون : حقاً لقد كنا في طربقنا إلى دمشق . كيف لم نفقه هذا ؟ ما أسعدنا أن وصلنا إلى دمشق !

الصناعة هي أن تدس الحادثة التي تريد ان تستغلها بين كثير من الحوادث بحيث ترسخ في عقل القاري ، الباطن ، من غير أن ينتبه إليها . ولكنك حين ترجع الى استثمار تلك الحادثة أو الصورة أو العبارة ، تغفر تلك الحادثة أو الصورة أو العبارة من العقل الباطني وتنسجم بما تريد ان تستغله .

حتى تقوى على « الدس » المنسجم في حادثة القصة ، يعوزك خفة أيدي نشالي مرسليليا ، وذراية بياعي الكرت بوسنال في بورت سعيد ، ووداعة المرشحين قبيل الانتخاب ، ومراوغة الف ثعلب .

التفاصيل في القصة

ومن عناصر الصنعة انتباهك إلى التفاصيل . ذلك الاستاذ لم يحيي تلميذته بـ « بونسوار أيتها الأنسة » . لقد قال لها إما « بونسوار

مدموزال ، أو « مساء الخير ايها الأنسة » . أحقاً أن القرويات في
الجليل اليوم يبادئون المصيفين التحية ؟ وتلك الام - هل جادت
بتلك العبارة الخالدة عن الموجة على فراش الموت ؟ ابتعد عن مثل
هذه السذاجات . إن الناس لا يفوهون بالعبارات الخالدة على
فراش الموت . خذ « مهاتما غاندي » و « جلال زريق » ، انهما يفوهان
بالعبارات الخالدة ، ويأتيهما الوحي - في بيت الخلاء . ان لم تصدق
فاقرأ سيرة المهاتما وأسأل جلال . هو منك على ضربة حجر . اني
أعلم علم اليقين عن احد رجالات لبنان في العهد الماضي ، رجل ملائ
صوره واحاديثه الصحف والمنازل . أتدري ما كانت كلماته الاخيرة
على فراش الموت ؟ - « آخ على صحن مهلبية » ! ...

ومن عناصر الصنعة ايضاً ان تخلق في القصة جوّاً حقيقياً .
ذلك المعلم في « ظامئات » وصفته بأنه « فارع » ، ولقد استعملت
كلمة « فارع » لانها كلمة غير مألوقة ، ولانها مثل « ساهم » هي
موضة كتابية في هذه الايام . لو كنت طليقاً من رق الالفاظ ،
لانتبهت فيك سليقة القصاص ، ونظرت الى ما وراء المعلم في
« ظامئات » فبصرت بالالوح الاسود ، وقلت ان انف المعلم يعلو حافة
اللوحة العليا .

هكذا تضع قارئك في تلك الغرفة . اذاً فحينما تؤلف حكاية عن
بقال كبير الانف - فنخاره اكبر من اي من خياراته ، اوسائق
سيارة تزق الاطباع فاخلاقه مثل زمارته ، لا يأتي منها إلا الصياح ،
او أردت ان تصف فتاة تزرع المروج في شهر ايار فقل ان
الاعشاب كانت في علو ركبتها . هكذا تغمر قارئك بواقعية

الحوادث وترجّح في جغرافية حكاياتك ، فينسى نفسه ويروح يصدق ما أنت له راوٍ .

قصة المرأة

ان اجمل قصة قرأتها حتى اليوم هي « المرأة » . خلاصتها ان فتاة تزوجت عشيقها وكانا في فقر ، غير انها سعيدان . كانت الفتاة فتاة الجمال ، وكان زوجها يرغب في ارضائها . وبعد شقاء سنوات ، ادخرا شيئاً من المال . فاراد الزوج ان يهبط لندن من كوخهما في الريف ، فسأل زوجته اي حاجة تريد ان يهبها . اجابت « امرأة » . ورجع الزوج من لندن فرحاً بمرآة كبيرة وضعها في اعلى درج البيت . فلما تطلعت بها الزوجة تحققت لأول مرة ان جهاد السنين صير منها عجوزاً شمطاء .

لو ان هذا المؤلف سمى قصته « المرأة الفادرة » ، لكان فضح القصة ، فقتلها . ولو ان رشيد شقير نقدّها لقال ان فيها « حشواً واسهاباً » اذ ان المؤلف مهّد لهذه الحادثة الضئيلة ببضع صفحات . في هذه القصة ارى رشاقة الدس او « الزرع » في اعلى ذراها . اذا لم تكن قرأتها بعد فاقرأها .

امومة

بين يديك يا سهيل شيء من مثل مواد « المرأة » . خذ قصتك « امومة » . خلاصتها ان امّاً تكلمت وحيدها مرتين . شيء بديع . شيء جميل مبتكر . هذه حجارة يبني منها ناطحة سحاب ، وارك

قد عمرت منها كوخاً متصدع الحيطان . هذه التيم (تعريب Theme) بين يدي ماهر الصنعة يحوك منها قصة عالمية . لو انك مهدت لها بحوادث معقولة مثل : ان يسمع الفتى جاراته الشكى تنوح ، فيشير نواحيها حينئذ الى امه ، ومثل : ان ترى الارملة الفتى ثم تحلم تلك الليلة بابنها ، ولكن بابنها لا بساً وجه جارها : شيء معقول . فالعلم يثبت ان الصوت يوقظ الذكريات (ولكن الرائحة افعل بايقاظ الذكريات ، اذاً فلينشق رائحة العطر من جاراته الشكى او رائحة طبخة كانت امه تجيد صنعها او ... اي شيء يسوق الى النهاية) . اما الام التي فقدت وحيدها مرتين فهي ، على ما يظهر من بينتها ، امرأة جاهلة تؤمن بالاحلام . ومن الطبيعي انها في مصيبتها كثيرة الاحلام ... شيء من هذا .

قصة « هي وكلبها »

اسمع في « اشواق » هدير ارض باطنياً ، فاططلع فلا ارى حمماً ولا دخاناً . « هي وكلبها » طيبة الصلصال ، قبيحة التمثال . لو ان الفتاة أحبت من الفتى عنصرية جسمه ومظاهر الاقدام فيه ، وفيما هو يقبلها القبله الاولى فاجأهما الكلب بنباحه ، فذعر العاشق وهرب والكلب راكض في اثره ، والحبيبة تقهقه ، وهكذا انتهى الغرام ، لكن في مثل هذا « قصة » . اولاً : الحب في نظر السذج هو حب . اما في نظر براهمة الادب فهو الف نوع . اذاً فانت حين تقول انها اغوتها في فتاها مظاهر العنصرية ، دخلت في صفوف البراهمة . ثم انه من الطبيعي ان ينبع الكلب اذا رأى صاحبه في ذراعي رجل .

ومن الحقائق العلمية ان الحائف تنبعث منه رائحة كريهة لا تشمها غير الكلاب . وان الكلاب تتقزز نفسها اذ تنشق هذه الرائحة فيشتد نباحها وتهيج . هكذا يمي في قصتك (١) حادثة فكهة قوية (٢) فضح الذين لهم مظاهر الرجولة ولكن فيهم قلوب الارانب - جورج برناردشو الف كتاباً طويلاً عربضاً يثبت ان الملاكم المحترف هو جبان - (٣) الهزء من الفتيات المغفلات اللواتي يولع غرامهن بوم وينطفيء بمجادة تافهة - (٤) ان الكلب ، صديق الانسان الاوفى ، في غيرته على صاحبه ، كشف لها مزيف المظاهر التي اغويتها .

واني اشجعك على كتابة القصة الحيوانية اذ ان الحيوان يلعب دوراً مهماً في حياة الانسان . كذلك في هذا اللون من الادب فائدة اجتماعية . لكننا شعباً أقل فظاظمة ولكن احكامنا الى المسدسات اقل ، لو اننا ندلل الكلاب بدلا من ان نرميها بالحجارة . ولا تنس أن من أجل ميراثنا الادبي ما قاله الاولون في حيوانين - الجمل والحصان - . « هي وكلها » تقدران تدور بها عشرين دورة وتجعل منها عشرين قصة . ان هذا ما يثير حنقي عليك . اجعل نظري في بضائعك فارى فيها الكثير من الجيد النادر ، ثم اتطلع في حانوتك فاذا الملفوف فوق أبواب الحرير ، وقشر البطيخ في جوار كلسات النيلون (عفوك عن هذا الازدواج) !

القصة والموسيقى

ليس من فنين تشابها مثل القصة و « الصوفانة » . استمع

لصونانة من يتهوفن - تشعر ان النقرات الاولى توقظك في رفق
أو عنف ، ثم تهزك وتتماوج بك (حشو واسهاب في نظر رشيد
شقيز) ثم تندفع بك في صخب و جلب ، ثم تهتز في وقفة جاحمة . هذه
هي القصة التي يربط أولها بآخرها خيط هبولى ارق من غزل
بشاره الحوري .

مستقبل القصة العربية

إني متفائل بالمساهمة التي سيقدمها كتبة العرب في أدب « القصة »
العالمي لسببين ، أولهما اننا قوم ملهمون كسالى . والقصة ، على
عكس الدراما والنوفل ، تحتاج الى جهد قليل . والالهام ملازم
للإبداع ولنا من الالهام حظنا . ولكن حذار ان يحاول الواحد
منا قطع « المانش » قبل أن يصبح في مقدوره أن يطفو في
البركة !

أما السبب الثاني الذي يوجب بي أن اتفائل في مستقبل القصة
العربية ، فهو ان العرب منتشرون في بقاع متراصة الاطراف
تكاد كل بقعة منها ان تكون دنيا ليس بينها وبين الثانية شبه -
« البسطة » « دير مشموشة » « خيام الرولة » « عزب دمنهور »
« السوبدا » « حي السرايقة » - الله الله ! كيف لا تشبهه
الواحدة الثانية !

ومن كنوز هذه الدنيوات ستفتني اللغة العربية وتغني الادب
العالمي . هذا اذا استوحى الكتبة الحياة لا الكتب فحسب . وأن
هم لم يشرعوا اقلامهم ولم يمدوا طاوولات الكتابة في صالون اموات

مصطفى لطفي المنفلوطي .

التضخم الاطرائي

ان اكبر نكبة على اقتصاديات اي بلاد ، هي التضخم المالي ، وفي معتقدي ان اعظم مصيبة على الادب العربي اليوم هي «التضخم الاطرائي» ، ولا ادري ان كان اعجبك هذا النقد لكتابك ولكني واثق ان ما فيه من مديح دفعته لك دولارات اميركية ، وذهبيات «ام حصان» ، وعندني انك اغنى بهذه العملة منك بملايين الدولارات الصينية . يعني جداً ان تحبني ولكن يعني اكثر ان تحترمني ، واني لاؤثر أن أهمرك الى العمل بكلمات مؤلمة من أن اقلبك رويداً رويداً بشيء تستلذه أنت وأستلذه انا ويستلذه الناس اجمعين : هو مورفين المديح .

اخرج الى الحياة

اخرج الى الحياة وعبّ منها . ان ابراهيم حيدر ما كان جاد على العربية بتلك العبارة الخالدة «الوزارة نائمة على الثقة» لو لم يكن مارس من الحياة ناحية لعبة البوكر . نوّع حياتك . انت مسلم تصلي في الجامع كل يوم جمعة . عال ! رح الاحد القادم الى الكنيسة واحضر القداس واشق عير مبخرة الكاهن ، واصغ الى الترتيل في اللاتينية . ان تجويد القرآن وأذان المؤذن يغسلان الروح ، رح اختبر ما يفعله لروحك بخور الكنيسة . كيف تأتي الى المكتب؟ ماشياً؟ تعلق بالترامواي مرة بعد مرة ، واركب التاكسي في بعض الاحيان!

تعلم الرقص ! غنّ المرسلiaz ! اركب على حمار ! تبادل الشنائم مع
طنبرجي ! رشع نفسك للنيسة ! ادخل في الكتاب ! انضم الى
النجادة !

انسحب من الكتاب ! استعف من النجادة ! افتح دكان
بوظة في البادية ! هرب اسلحة ! تاجر بالحشيش ! تضارب مع عبد
الستار الطرابلسي ! ترحم على الانتداب بقصيدة ! ادرس اللغة
السكريدية ! تزوج ! ابق اعزب ! ادخل في الاطفائية ! احرق
اثاث البيت ! قامر في سباق الخيل ! ستم جيرانك ! انتحر ! اسهر
الليل كله ! نم النهار كله ! افز من النافذة ! امش حافياً ! امش
عارياً ! الف كتاباً ! لا تؤلف كتاباً ! احمل السلم بالطول ! احمل
السلم بالعرض ! تبرع بدمك لمريض ! الق قبلة على مستشفى !

هذه هي الحياة فعبّ منها . انما امراً واحداً ارجوك ان لا
تفعل - وهي ان لا تسأل اباً من الناس رأيه في كتابك . استشر
ما تشاء ومن تشاء قبل ان ينشر الكتاب ، اما متى ظهر فافعل ما
يفعله القبضاي بمسدسه - لوح به في الفضاء وصح : « الكل
بيخدموك » .

وان في كتابك الكثير من الفضائل السلبية . مثل انك لم
تحاول اغتصاب النكتة . فان الكثيرين من ادبائنا اليوم يتوهمون
انهم متى ذكروا اصطلاحات عامية ، او وضعوا بعض كلمات بين
أهله ، او رويوا نكتة ضحك لها من قبلنا جدنا آدم ، صاروا كتبة
فكبين .

واني من المؤمنين ان الفن يعلو ولا يعلى عليه . ولو اني ايقنت

انك مجلّ في ميدان التبدّل والتهتك ، لما سألتك ان ترعوي عنه .
ولكن هذا الميدان ليس ميدانك . انظر الى عبارتك العجراة ولقد
ارجعتني ... يا حسني ... حسبتك لا تزال مبتدئاً ... انت حقاً
قوي ! ، انظر الى تلك العبارة ثم لنفس انها كتبت ! ...

تصميم القصة

اخالك لا تضع تصميماً لقصصك ؟ هذا غلط ، وهو غلط خطر
على كاتب مثلك موفور الالفاظ . ضع لقصتك تصميماً كما يفعل
المهندس بخريطة البناية قبل ان يباشر البناء . بالطبع حينما تجلس
لتكتب ، ستشرد عن الخارطة قليلاً ولكن التصميم ضروري . اياك
ان تستشير صديقاً يشتغل بالادب ، قبل ان تشرع بالكتابة . إذ
انه اما صديق صديق لا يرى المعايير ، او مخاتل يهدم معنوياتك .
حينما تضع التصميم للقصة وتسمي واضحة في مخيلتك ، إروها لاجنبية
أو اجنبي يجمل العربية ، وقل له او لها انها قصة قرأتها الليلة البارحة .
لا تنتظر منه او منها ابداء الرأي . ان لم يشب او تشب بعبارات
الاعجاب ، فالقصة فاشلة . وان لم يكن لك من الاجانب صديق
فاروها لامي وتبصر بانفعالاته .

الى نادي البراهمة

امامك ، قبل ان تبيضّ لحينك ايام كثيرة وانتصارات كثيرة ،
وافي لوائق انك نام الى مبتغاك ، وانك واجد منجمك ، وانك في
محاولتك القادمة ، ستأبط كتابك المقبل جواز دخول الى ذلك

القصر القائم بين الغيوم ، ووثيقة عضوية في ذلك النادي « نادي
البراهمة » ، واذا تقبل عليه لا يفتنّ عزمك عظم ابراج القصر ، فلن
تكون هناك غريباً ، إذ سيخف الى لقائك فرحاً بقدمك ، ذلك
المزدهي باوسمته ، الراحل بطيلسانه ، من قامته تقزّم ابراج « نادي
البراهمة » ومن يطفح بالحبلاء اناه حياته : اخوك

سعيد تقي الدبريه

ملاحظة : سجل لي هذا التعبير الجديد « برامه الادب »
(جريدة « بيروت المساء » ١١ آب ١٩٤٧)

- ٢ -

مرحب سعيد !

ألا تشعر أننا نكاد نضائق قراء « بيروت المساء » ؟ انت
تتحدث عني وعن كتابي ، وأنا أتحدث عنك وارّد عليك ؟ ... مهما
يكن من أمر ، فالحطأ - ان كان هناك خطأ - يقع على صديقنا
الاستاذ المشنوق ، فهو الذي فتح لنا الباب ، وأحسب انه لن
يغلقه هو نفسه ، وانما سيدعنا نتناقش ونتساجل ، وقد نذهب
إلى أبعد من ذلك ، إلى أن يغلقه أحد منا أو كلانا ... والضحية
دائماً هو القارئ !

واباً ما كان ، فقد كاشفت الاستاذ المشنوق برغبتي في أن
أكتب - أنا نفسي - نقداً لكتابي « اشواق » ، بعد أن يؤت
من النقاد ، ولم أقع على من يشفي غليلي ، وان كان معظم الذين

تناولوه أثنوا عليه الثناء المستطاب ... أجل هممت بقراءة كتابي
 نافداً ، محاولاً جهدي أن أنجزه عن نفسي ، واعتبرني اجنبياً عن
 صاحبه ، فاتتني رسالتك الممتعة البارة ... ولست أقول إنها
 صرفتني تماماً عما كنت اهتم به ، ولكنها بردت ظمأي ، وهدأت
 همي ، يراودني منذ خرج الكتاب إلى السوق ... وأما ذلك النقد
 الطويل الذي كتبتة بعد ان أخرجت القصص من التعتيق وقرأتها
 ثانية ، فاشكرك عليه ، لانه كان صريحاً نزيهاً ، ولانك انفقت وقتاً
 غير قصير لتدبيجه . واني لارجو أن أكون جديراً وكفوياً بما
 سقته لي من التقرير ، واصارحك القول ، كما صارحت بعض اصدقائي ،
 انه كان حسبي أن أعلم ان نقداً كمثل هذا سيكتب عن قصصي حتى
 أكون سعيداً بنشرها .

على ان لي ملاحظات أود أن ارد بها على ما آخذتني به
 ألخصها فيما يلي :

أردت أن تثبت ان حوادث قصصي غير محتملة الوقوع ،
 فاستشهدت بقصة « هي وكلبها » فائلاً : « ان فتاة تقتني كلباً تدلله
 ان تنهال عليه بهراوة كما فعلت فتاتك ، ومثل تلك الفتاة لن يكون
 في متناولها هراوات » . والواقع ان البطلة لم تنهل على كلبها بالهراوة
 إلا حين رآته هاجماً على خطيبها يعضه ويمزق ثيابه ويسيل دمه من
 جرح عميق في ذراعه ، ثم رأت خطيبها يتراجع ويكاد يسقط
 خائراً ... وانت طبعاً لا تطلب منها ان تظل مكتوفة الايدي ،
 وان تؤثر العطف على كلبها ... وانما يكون طبيعياً منها جداً اذا
 « شعرت بموجات من الغضب الشديد تندافع في صدرها » فتضرب

كلبها بهراوة ، لم تكن في متناولها ، وانما وجدتها « ملقاة في الحديقة » ! أما لماذا رمت فتاة بوارج بنفسها منتحرة في « راحة الضمير » فلأن هذا الشاب الذي كانت تحبه أشد الحب وبقيت عليها مضجعتها ، قد أخلف وعده في ان يضطجها معه ، فرأت حياء يتبعه ، والفت أملها المنشود الذي تغذيه بكل قوى حياتها يجيب ... ألم يحدث ان انتحر قبل اليوم عاشق هجره حبيبه ، او فتاة تخلت عنها فتاها ؟ ... فإين الغرابة في هذه القصة ؟

وتأخذ عليّ الازدواج : رغائب النفس وخوارج الروح ، لست أدري كيف تريد أن تتجاهل الفرق بينهما ! هل الرغبة هي الحاجة ، وهل النفس هي الروح ، دون ان نتم بالرجوع إلى خلافات الفلاسفة والمنكلمين ؟ « اطفئت عيناه فهو لا يبصر » انك اولاً لم تورد العبارة على صحتها : « اطفئت عيناه فهو لا يبصر النور » فاحسب أنها الآن اكثر استقامة .. وحتى كما اوردها ، أيها « ابلغ » اطفئت عيناه « وبس » - ألا تراها « واقفة » ؟ - أم اطفئت عيناه فهو أكثر جداً مما تفيد نصف هذه العبارة ؟ وأيها أكثر موسيقى وأعذب جرساً في السمع ... انك يا اخي سعيد صاحب ذوق أدبي مرفه ، فكيف تهو هذه المأخذ ؟

ان العربية لا تحتوي كلمتين تفيدان معنى واحداً ، ففي الثانية معنى أوضح أو أعمق أو أبسط ، اختلاف عن المعنى الاول على كل حال ، مثل هذا فرق وفرع ، وهل « مطمئنة اليه » تفيد المعنى نفسه الذي تفيد « سعيدة به » ؟ وثمة بون كبير بين « حب وود » و « سرور ورضى » و « شذى وعطر » . ومن اخاعة الوقت

تبيين هذا الاختلاف ، والا لماذا لم تقم به أنت نفسك بعد ان همت ؟ ... الحقيقة انك « تكره » الازدواج ، لكن كرهك له لا يعني انه ليس وجهاً من وجوه البلاغة ! .. ثم ألا ترى انه يكسب الاسلوب رونقاً وبهاء (ازدواج معيب في نظرك !) ومع ذلك ، فما قولك في انك عمدت انت إلى المزاوجة - التي تعيها - في « نخب العدو » : ألم تقل (ص ٧) : « فصير شيعهم شيعة ، وطوائفهم طائفة ، وجماعاتهم جماعة » - أليست شيعة مرادفة - إذا صح ان ثمة ترادفاً في العربية - لطائفة وجماعة ؟ « فاشمكي وتذمر من عطل الحال » (٢٣١) - « بدر على صاحبه الريح الادبي من « صيت وشهرة » (ص ١٠) هل الصيت غير الشهرة ؟ « حنكة السياسي ودهاؤه » (ص ١٠) - « مفلس خالي الوفاض » (٣٢) « بحور متشابكة التيارات متدافعة الامواج » (٢٤) الخ .

انا لا انكر عليك هذه المزاوجات فهي جميلة ، ولكنك انت تنكر الازدواج على غيرك وتبيحه لنفسك ... بقي ان نبحث مبدأ المزاوجة ، فانا لا احبذ في كل موضع ، ولا انكره في كل موضع ، فالمزاوجه جميلة في مواضعها ، بل هي ضرورية في المواضع التي لا يستقيم فيها نغم العبارة وموسيقاها . فلمهم في الموضوع حسن استعمال المزاوجة ، وهذا معنى من معاني البلاغة . فهل تراني اخفقت في تلك العبارات المزدوجة ، وهل تراك انت اصبت بها ؟!

اما قضية استعمال الالفاظ والتعابير غير المألوفة ، فان لي فيها رأياً مبنياً ، فانا لا اعمد الى هذه الالفاظ حباً بالاعراب ، وهي لا ترد على قلبي اعتباطاً ، ولكنني ارى ان نحي هذه الكلمات العربية

الجميلة الوقع ، الرفيقة التركيب ، فنتفادى من جهة تريد تلك
الكلمات المبتذلة لكثرة الاستعمال ، ونفني من ناحية اخرى لغتنا
ونرتفع بها الى مستوى اسمى من التعبير . فانا اجد « تصرمت
ايام » اجل من « مضت » او « انقضت » ، واعتبر « زجيت » خيراً
من « قضيت » . وأود انا ان اسأل : اليس فطاحل الكتاب يتميزون
— فيما يتميزون به — باللغة الرفيعة والكلمات المتخيرة من بين
مئات الكلمات « العادية » ؟

ولماذا تعجب من هذه الفتاة التي تتعثر باذيلها ، وهي تريد ان
تعلم الكمان ؟ اذا كانت في سن « سميعة » — السابعة عشرة —
وكانت مسلمة مثلاً ، تعيش في ذلك الجو المتحفظ ، فان العجيب ان
تكون جريئة ولا تتعثر باذيلها ! وعلى ذلك فبوسعك يا اخي سعيد
ان تبهر باذيل كثيرات من فتياتنا اللبنانيات ، حتى لتعكره
التبرك والبركة ! وارك بعد ترش سهامك للمنفلوطي ... وانا
اصدقك القول اني لم اقرأه كثيراً ، واخلاني لم اتأثر به ، على اني
رجعت اليوم اليه ، فما ترى عيبه ؟ اني ذلك الاسلوب المشرق ،
والديباجة الجزلة ، والبيان العربي الرائع ، على الرغم من رغبته
احياناً في الاغراب ؟ ان المنفلوطي خليق ان يكون صاحب مدرسة
في البيان العربي !

اما رأيك في عنوان القصة فعجيب ... لماذا تريده لغزاً ؟ لا
اريد الآن ان اناقشك ، ولكن قل لي اين اللغز في عناوين قصصك
في « نخب العدر » ؟ باستثناء « الثلج الاسود » — ما اعجب هذا
اللغز ! — اقرأ : « حلم البولفار » — « التجارة شطارة » : يصلح

هذا عنوان قصة ؟ - « دون كارلوس » - « صورة ام فريد » -
 « حمار الصف » : عنوان موفق من حيث الروح الفكاهية - « حمود »
 « شيخ القافلة » - « الكتاب العظيم » - « الملك فردننس » -
 « ذنب الطاووس » : ان معظم عناوين قصصك تحمل اسم بطل
 القصة ، فابن اللغز ؟ اترك تنسى يا اخي سعيد ان الناقد يجب ان
 يكون منسجماً مع نفسه !

وفي ميدان « الصنعة » ، أخذت علي اني فضحت نهاية قصة
 « نداء الامحاق » . وأنا اعجب كيف حكمت على نهاية هذه القصة
 بهذا الحكم ، وهي أغضض نهايات قصصي وأشدّها خفاء ! واسمح لي
 هنا ان استشهد بحكم كاتب كبير من كتاب القصة في العالم العربي ،
 هو الاستاذ محمود تيمور رائد القصة العربية ، فهو يعتبر - في رسالة
 خاصة لي منه - نهاية هذه القصة « رائعة موفقة » بفضل غموضها
 وإلمامها !

وأنا وافقك على ما اخذته علي بشأن تحية الاستاذ لتلميذته ،
 ولكن ادعش كيف يغيب عنك ان القرويات يبادئن المصيفين
 التحية .. هل انساك البعد في الفيليبين عادات قومك ؟ ! وأما
 العبارات التي يتفوه بها الذين هم على فراش الموت ، فاحسبك كنت
 تمزح اذ قلت ان الناس لا يفوهون بالعبارات الخالدة في ذلك
 الموقف ، فانت تعرف ان اخلد عبارات فاه بها كثيرون من
 العظماء والساسة والقادة والادباء كانت حين تنازعهم الروح .. واذا
 كان جلال زريق يفوه بعباراته الخالدة في بيت الحلاء ، فما احسبك
 انت قد جدت بطرفتك المسرحية « نخب العدو » في مثل ذلك

الموضع والظرف !!...

وعلى الرغم من احترامي لرأيك في الشكل الذي كنت تفضل ان تصاغ فيه قصتا « أمومة » و « هي وكلبها » ، فانا لا أزال اعتقد انها اجمل كما وردتا في المجموعة .

*

وبعد فقد كنت انت سعيداً باكتشافي ناقداً ، اذ درست دراسة موجزة كتابك الرائع ، وارانني لا اقل عنك سعادة ، فانا ايضاً اكتشفتك ناقداً بمتازاً ، وقبل ذلك «متذوقاً» كبيراً للادب والفن . ان لك يا سعيد طريقة في النقد فذة بين الطرائق ! ان « الابداع » دأبك في كل شي : في التأليف او النقد او التعليق . وما اروع نصائحك لي بالخروج الى الحياة : انني اعترف لك ان الحياة تنقصني ، واني بحاجة الى خوضها والتعمق فيها ، وهذا اعتراف بوسع « كثيرين » من « محبي » ان يستفيدوا منه !! ولكن لعلك التمت لي انت نفسك المعاذير اذ قلت « امامك » ، قبل ان تبيض لحيتك ، ايام كثيرة وانتصارات كثيرة ... وكم انا سعيد في ان أراك تنتظر قدومي الى ناديك العبقري ، نادي البراهمة ...

ولكنني اخشاك يا سعيد ! انك ذو هيكل نحيف ، وانا مخلوق اقرب الى القصر والمزال ، ثم انك ذو دماغ جبار ، فكيف سأقوى على الوقوف امامك ! لا ... لا ... سأرفض ان أراك يوم تعود الى لبنان ... فما يدريني ؟ لعلك أن تغير بي رأيك ! فلنتظر تنظر إلي على الورق ، من خلال السلور !

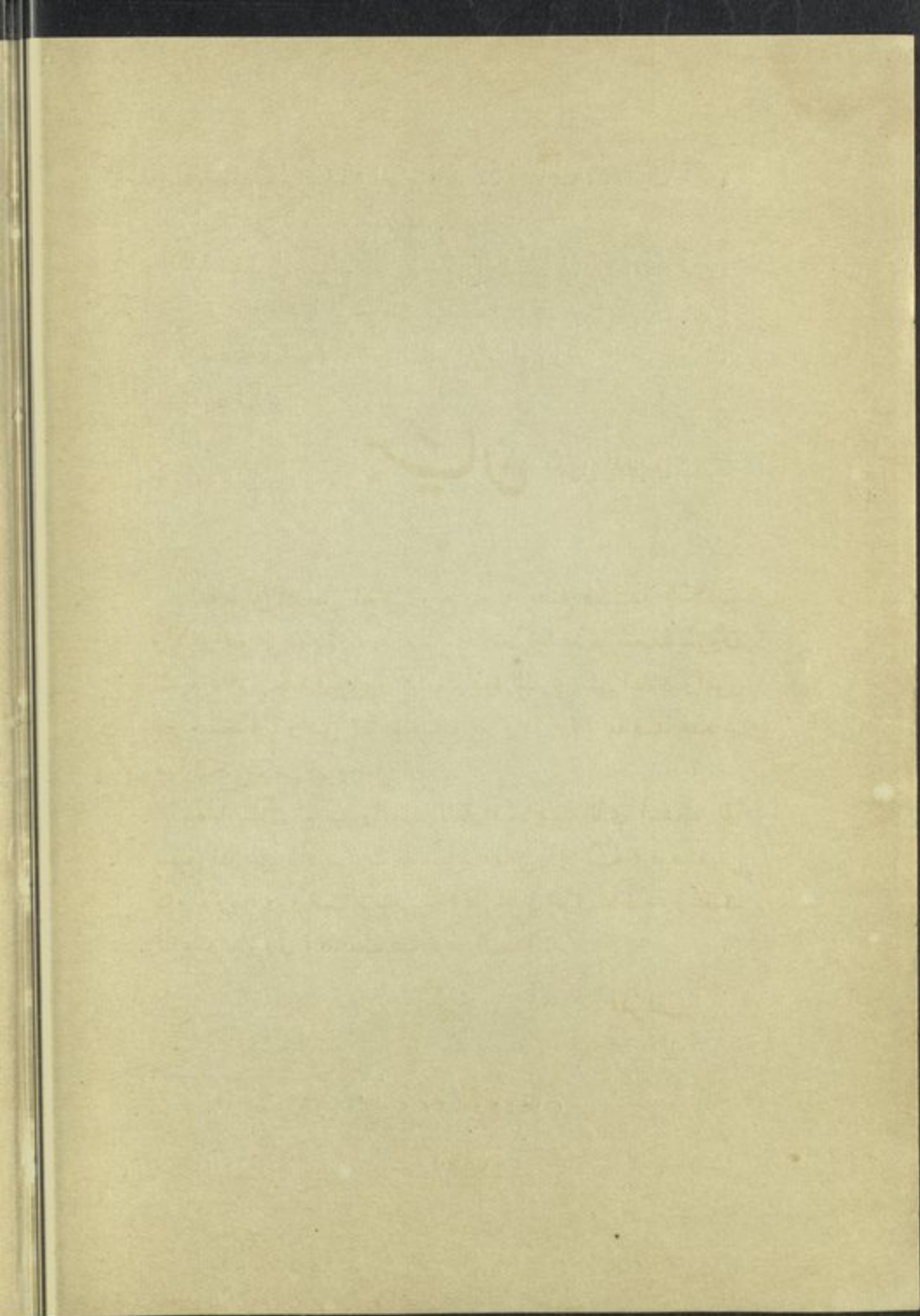
لقد أحببتك يا سعيد من زمان ، وازداد حبي لك اليوم ...

اما الاحترام فاني اكنفته لك منذ قرأت كتابك ، وما زلت اكنه
ولعله ارتفع وسما درجة جديدة ...

لقد سقت لي نصائح كثيرة ، فهل تسمح لي بواحدة : ان
الكبر جريمة تتركبها في حياتك هي ان تنصرف يوماً عن الادب !
'عد الينا ، فان لك بيننا المقام المرموق ، وان لك في الادب
العربي لشأنا ! *

سهيل الربيع

* (جريدة « بيروت المساء » ، ٢٥ آب ١٩٤٧)



بيان

•

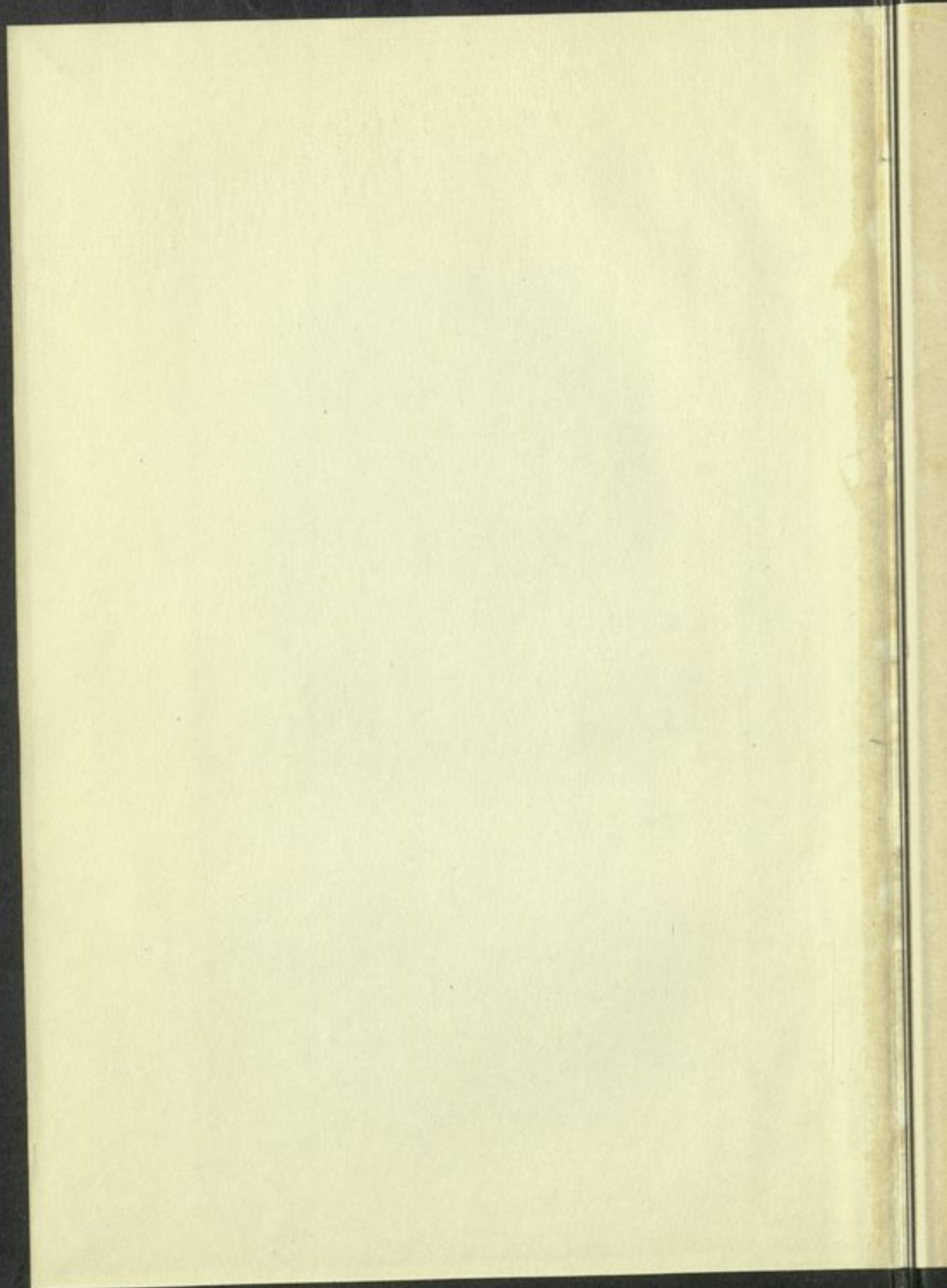
ان سهيل ادريس الذي روّح نفسه بطبع هذا الكتاب والاشراف على تنسيقه ، و نعيم ساعات كذا عدّها بتعبه شؤون نشره ، هو رحمة المسؤول عما قد يجده القاري من اغلاط وامور غير مستحبة . وليس للقاري ان يعزو اليّ الا ما قد يجده في هذا الكتاب من قيم وجميل .

هذا بيان يوحيه واجب الاعتراف بالجميل الذي أسديته إلى سهيل ادريس ، اذ بسّرت له سبيل خدمتي المجانية ، فوقيته من داء الاثرة ، وروّضت كتفيه بهذا الحمل الذي قوّى عانقه ، وشغلت ساعاته بشؤوني ، فدفعت عنه خطر البطالة .

المؤلف

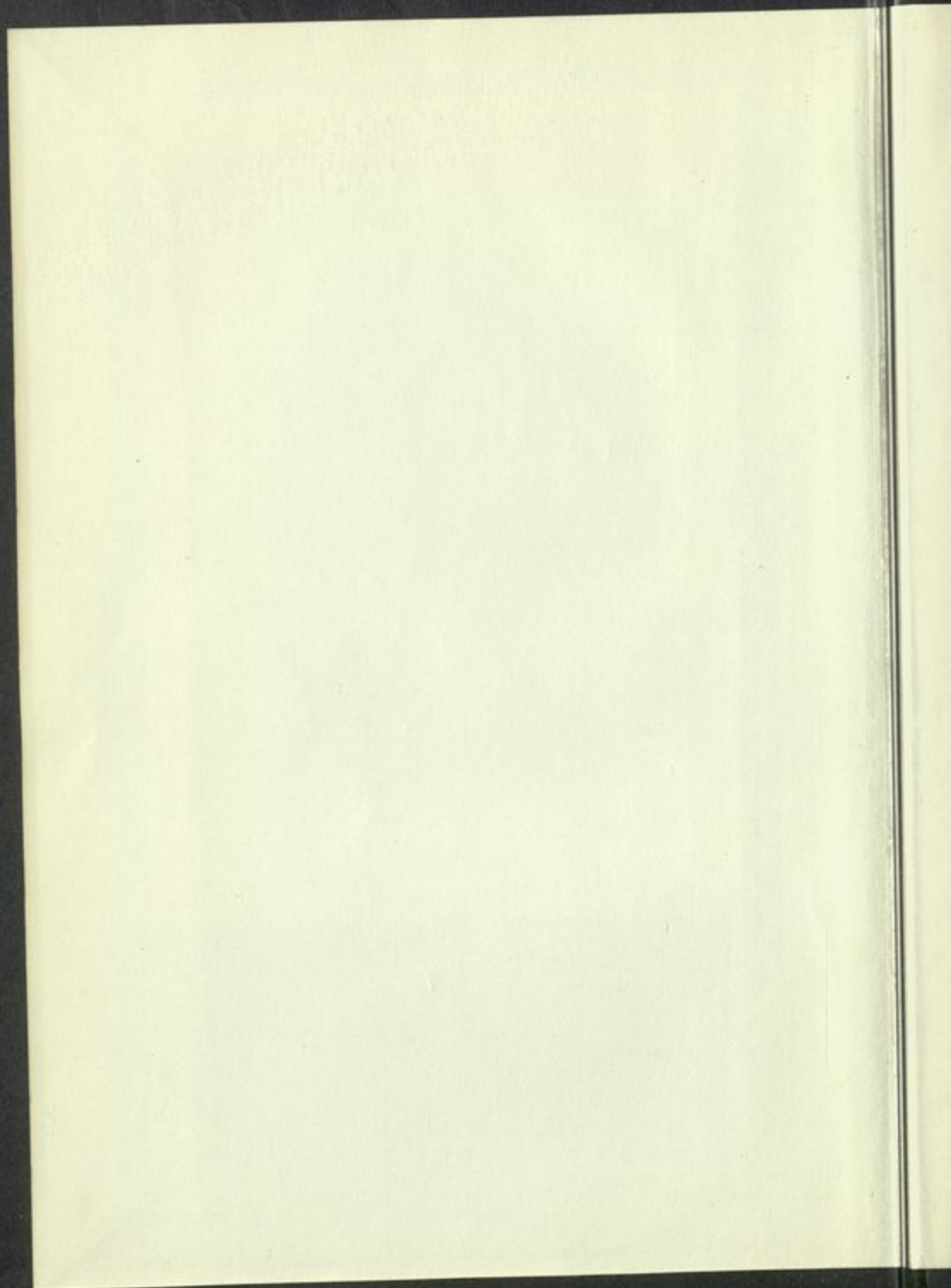
فهرست

٥	الاهداء
٨	رسالة
٩	لمحة تاريخية
١١	طبعروس
٢٩	حفنة ربح
٩٧	إلى المخرج
١١٣	موجة نار
١٢٩	آلام الذكرى
١٣٧	لعنة كتاب
١٦١	الدواة
١٨١	الخطاب المبتور
١٩١	البرهان القاطع
٢٠٥	قهوة سوراظ
	مراسلات بين المؤلف وسهيل ادريس
٢٢١	حول كتاب «نخب العدو»
٢٣٥	حول القصة في لبنان
٢٥١	حول كتاب اشواق
٢٧٨	بيان



المجلد الثاني

١٠٠	الأمم
١٠١	الدين
١٠٢	الحياة الزوجية
١٠٣	الطريق إلى
١٠٤	الحياة الزوجية
١٠٥	الحياة الزوجية
١٠٦	الحياة الزوجية
١٠٧	الحياة الزوجية
١٠٨	الحياة الزوجية
١٠٩	الحياة الزوجية
١١٠	الحياة الزوجية
١١١	الحياة الزوجية
١١٢	الحياة الزوجية
١١٣	الحياة الزوجية
١١٤	الحياة الزوجية
١١٥	الحياة الزوجية
١١٦	الحياة الزوجية
١١٧	الحياة الزوجية
١١٨	الحياة الزوجية
١١٩	الحياة الزوجية
١٢٠	الحياة الزوجية



DATE DUE

SAFET LIB.

5 NOV 1980

J. Lib.

18 DEC 1985

J. LIB.

10 MAR 1981

J. Lib.

30 MAY 1985

J. Lib.

10 FEB 1986

SAFET LIB.

20 MAR 1981

J. Lib.

J. Lib.

1 FEB 1984

JUN 1986



A.U.B. LIBRARY

892.72:T13hA:c.2

نقى الدين، سعيد

حديقة ربيع: مهزلة في فصل واحد: مو

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01039022

